الجمهـــوريـــة الجـزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشـــعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالـــي و الـبـحـث الـعـلـمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة وهران
Université d'Oran

كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية

قسم: الجغرافيا والتهيئة العمرانية

-ماجستير في الجغرافيا والتهيئة-

تخصـــص:

المدن: الحركية المجالية والديناميكية الحضرية

Option:
Villes: mobilités spatiales et dynamiques urbaines

الأنماط الحضرية الجديدة بالمدن الصحراوية ، حالة مدينة غرداية.

Les nouveaux modèles urbains des villes sahariennes, cas de la ville de Ghardaïa.

من إعداد الطالب:
عدون الطيب

تحت إشراف الأستاذ:
حـــداید محمد

لجنة المناقشة:

الرئيس: مـــوسى لصقع،	أستاذ محاضر – أ–	جامعة وهران
المشرف: محمد حـــــداید،	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران
الممتحن: معاشو حـــاج محمد ،	أستاذ محاضر – أ–	جامعة وهران
الممتحن: بـدرالدين يوسفـــي،	أستاذ محاضر – أ–	جامعة وهران

أكتوبـر-2014-

افتتاحية.....

نشكر المولى عز وجل الذي أكرمنا بنعمة العقل والوجدان وفتح بصيرتنا على العلم والمعرفة ووفقنا لانجاز هذا العمل المتواضع.

وافر الشكر والعرفان لأستاذ الفاضل "محمد حدايد" الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة،

وكانت لنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته الأثر البالغ في إنجازها،

أسأل الله أن يجزيه خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة كل من الأساتذة : لصقع موسى، يوسفي بدر الدين، معاشو حاج محمد.

الذين جهدوا في قراءة هذه المذكرة من أجل تقويمها وتثمينها.

كما أتوجه بشكري لكل من الأساتذة: داري واسيني، طراش سيدي محمد، عثمان طيب، طهراوي فاطمة، حجيج الجندي، مساهل عبد الله، سويح سيد أحمد، بن قولة سيدي محمد الحبيب الذين اشرفوا على تأطيري للسنة النظرية ما بعد التدرج .

واشكر والداي وأخواتي الذين تجندوا ماديا طوال فترة تكويني الجامعي لمدة سبع سنوات.

وبالمثل أيضا، أشكر كل من ساعدني في إتمام هذه الدراسة وعلى ما قدموه لي من تعاون صادق،

كما نشكر كل من قدم لنا يد المساعدة لانجاز هذا العمل ونخص بالذكر كل من موظفي:

الديوان الوطني للإحصائيات بولاية ورقلة (ONS) وبالخصوص الموظف "عثمان ميدون"

مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية بولاية غرداية (DPSB).

مديرية التعمير والسكن (DUCH) وبالخصوص الموظف "عبد الرحمان بودحرة، عثمان ، عبد الباسط عبد السطار...

المصالح التقنية على مستوى كل من بلدية غرداية وبنورة، ممثل الوكالة العقارية لكل من وكالة غرداية وبنورة....

إلى كل أبناء غرداية أينما كانوا وحيث ما وجدوا.....

وفي الأخير أهدي ثمرة عملي المتواضع هذا:

إلى والداي الكريمين اللذين ربياني بحنان وعطف وظلا يشجعاني ويحثاني على الصبر من أجل إتمام العمل.

إلى أهلي وأقربائي، أصدقائي وزملائي

إلى كل من أنار لي طريق العلم والمعرفة

إلى المتمسكين بالمبادئ النبيلة.

الطيب عـــدون

مقدمة عامة:

شهد العمران في منتصف القرنين 19 و20م نموا معتبرا للمدن والشبكات الحضرية، خلالها تزامن التحضر مع قيام الثورة الصناعية في أكبر المدن الأوروبية التي قلبت مفاهيم العمران، فقد تضخمت رقعة المدن والمراكز الحضرية وتضاعفت وتعقدت تركيباتها، وازدادت أحجامها، وهذا راجع إلى طغيان النمط الحضري على التجمعات البشرية. وسيطرت ثقافة المدينة ونمط حياتهم على الذهنيات، كصبغة ينعم بها المجتمع في المدينة. مما أدى إلى ظهور المراكز الحضرية الصغيرة التي تلعب دورا كبيرا في دفع عجلة التحضر.

من هنا أصبحت ظاهرة التحضر منتشرة في العديد من التجمعات السكانية في الجزائر، سواء كان ذلك على مستوى المدن الكبرى أو المتوسطة أو الصغرى. حيث أدت سياسات التعمير والإجراءات المتبعة على المستوى الوطني إلى تحولات جذرية في تركيبتها العمرانية، وظهور أنماط حضرية جديدة وأنماط استهلاكية مختلفة للمجال العمراني وطابع معماري جديد. ولكل منها خصوصيتها في التوسع، الذي كان من نتائجه ظهور أنماط سكنية جديدة على شكل النمط الحديث الموحد وبمواصفات معمّمة. هذه الأخيرة جاءت لتلبية حاجيات السكان سواءا تلك المتعلقة بالسكن، أو حتى بالتجهيزات والمرافق الاجتماعية والاقتصادية، كما أنها تشير بالضرورة إلى التغيرات المعقدة والمتشابكة لنمط الحياة والتي تترتب على ساكني المدن[1].

الجزائر الشاسعة التي تمثل صحراؤها حوالي 80% ليست بعيدة عن هاته التحولات، أين اتجهت معظم الدول العربية إلى تعمير المناطق الصحراوية من خلال سياسة إنشاء التجمّعات العمرانية الجديدة في صورة مدن جديدة ومدن توابع، بهدف إحداث تغير أساسي في الخريطة السكانية والهياكل العمرانية الاقتصادية، والحد من الامتداد العمراني على الأراضي الزراعية المنتجة، وحل جزء من مشاكل المدن الكبرى المزدحمة.

فربما تكون تنمية المناطق الصحراوية أحد أهم القضايا التي يجب وضعها في اعتبارات التخطيط المستقبلي في العالم العربي، فأغلب المناطق العربية تسيطر عليها الصحـــاري التي تعاني من نقص المياه، وتتطلب تطوير عمارة حساسة للظروف المناخية الصعبة، ولذا فإن تخطيط وتنمية المدن الصحراوية يجب أن يكون من خلال عمليات تخطيطية منهجية تبعا للأسس والمعايير العلمية الخاصة بها، لأنها تمثل مفاتيح النجاح للتنمية، و ذلك لتوظيفها في المشاريع المستقبلية و توسع المدن.

[1]-فتحي محمد أبو عيانة، 1995: جغرافية العمران، دار المعارف الإسكندرية، ص59.

ان الصحراء الجزائرية كإقليم واسع النطاق، لم تـــكن سوى إقليم آخر لامتداد أطماع المستعمر لفرض الهيمنة أو لشق طرق أخرى نحو أقاليم أخرى. وحتى مع اكتشاف الثروات فيها، فإنها لم تحظ إلا بتجمعات بسيطة للمعمرين ومناطق عسكرية، وكانت نسبـــة السكان المتمـدنين لا تتجاوز10% في1954[2]. واستمر الوضع على حاله إلى غاية الاستقلال.

ومع منتصف العشرية الثانية من سبعينات القرن الماضي، توجهت الدولة إلى احداث التوازن الجهوي من خلال تطوير المناطق الداخلية والصحراوية، وذلك بترقية المراكز العمرانية الموجودة إلى مقر البلدية أو مقر الولاية وكان ذلك على إثر تنشيط المناطق الصناعية وشق طرق جديدة واستحداث شبكة نقل حديثة. وانعكس هذا إيجابا على واقع العمران بالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية.

لم تعد الصحراء الجزائرية كما كانت عليه في السابق، حيث أنها عرفت ثورة عمرانية واسعة التي تصب في عمق التحولات التي تطبعها. إذ أن الواقع الإحصائي يثبت أن 80%من سكان الصحراء أصبحوا اليوم حضريين، بقدر ما برزت حقيقتها في العشرية الأخيرة من خلال ما شهدته مـدن الجنوب من حركة عمرانية لم تشهدها طيلة آلاف السنين من وجودها. هذا الواقع الجديد، يبرز أساساً ما عرفته مدن الجنوب الجزائرية من ديناميكية عمرانية برزت حتى على مدن الشمال[3]. مُحركها الأول المشاريع الوطنية بعد الاستقلال بالجنوب من جهة وأيضا التطور الاجتماعي لمجتمعات من جهة أخرى، واقع أصبح يطبع مدن الصحراء اليوم، أفرزته عوامل التحديث بالاندماج في المجتمع الوطني العام، وأيضا الديناميكية الداخلية لمجتمعات هذه المناطق.

هاته التحولات التي تشهدها المناطق الصحراوية على صعيد تنمية المناطق الحضرية في صبغتها الجديدة التي تستجيب لمتطلبات العصر، حيث بدأت الأنماط العمرانية التقليدية وعلى رأسها القصور التي كانت تشكل مجتمعات مصغرة عبر التاريخ، تعرف تراجعا ملحوظا مما سيؤثر سلبيا على استمرارية قيم المجتمعات بما تحمله من سلوكيات محافظة ومعايير قائمة على التعايش والتجانس بين أفرادها.

فكثير من المدن العربية عملت على استنباط بعض التجارب العمرانية الغربية وتجسيدها، رغم أن المعاصرة منها تحفل بمزيج من الأنماط المعمارية والعمرانية البعيدة عن بيئتنا واحتياجاتنا الإجتماعية والإنسانية، حيث شاع في الآونة الأخيرة عدة محاولات تهدف للوصول إلى ملامح معمارية وعمرانية أصيلة في صورة استهلاك للأشكال العمرانية المعمارية بعيداً عن هوية المدينة.

[2]-KOUZMINE Y., 2007 : *Dynamiques et mutations territoriales du Sahara Algérien*. Thèse de Doctorat en Géographie, Université de Franche-Comté, P,149.

فمدينة غرداية كغيرها من مدن الصحراء الجزائرية ليست ببعيدة عن هذه التحولات، حيث شهد ت نمو عمراني سريع وتحولات مجالية واسعة انجر عنها بروز أشكال عمرانية جديدة للتعمير ضمن المنطقة مغايرة تماماً للعمران القديم، المتواجدة خارج نطاق الوادي والمتمثلة في مجمعات حضرية التي أنشأت استجابة لتوسع "المدينة الأم". حيث تداركت السلطة المحلية الحالة التي آلت إليها المنطقة، نتيجة إستنفاد الاحتياطات العقارية بسبب العوائق المختلفة التي تمنع استمرار توسعها الطبيعي ما يحتم عليها البحث عن مناطق جديدة للتوسع، فجاء التفكير في إيجاد حلول على المدى المتوسط والبعيد للتقليل من تدهور الواحة، بخلق عقارات جديدة متمثلة في مشاريع وقصور جديدة تحمل في طياتها استمرارية للعمران المحلي، وتشمل مناطق أقل انحداراً متمثلة في المناطق المنبسطة بكل مـــن (النوميرات، منطقة تافيلالت، بوهراوة، واد نشو)، التي تمثل في مجملها مجال دراستنا، وكما يراهن عليها في عملية التنمية ببعدها الاجتماعي والاقتصادي.

إن الملاحظات الميدانية والتحليل المجالي للأنماط الحضرية الجديدة للنماذج المدروسة، التي تعد من أهم النماذج العمرانية الحديثة بمنطقة وادي ميزاب، والتي توفر نموذجا متكاملا لمحاولة تفسير العلاقات بين المدينة المرجعية والمجالات الجديدة المستحدثة الناتجة عن تحولات البنية الاجتماعية للسكان. والحديث سوف يقودنا إلى التركيز على الأنماط الحضرية المشكلة للنسيج المتواجد خارج نطاق الوادي، مع تسليط الضوء على دور العمران الذي ساعد على احتواء حياة السكان والمحافظة على خصوصياتهم الداخلية السائدة بالمنطقة.

وأشير في الأخير أنه تم اختيار دراسة الأنماط الحضرية الجديدة في مدينة غرداية، لما لها من تأثير على النسيج العمراني القديم وسير المدينة ومستوى رفاهية السكان. كون الموضوع تطبعه صبغة حضرية فهو يمثل وضع الجزائر العميقة وما يقدمه من صورة متجددة للتعمير الحديث بصورته المصغرة في الأوساط الصحراوية.

صورة رقم 01: براعة الإنسان في تعامله مع الطبيعة. (التكامل ما بين الموقع وتاريخ المكان.) (أفريل،2014).

صورة رقم 02: نصب تذكاري[4]. "Carrefour"غرداية على محاور التقاء الطرق(أفريل،2014).

[4] - نصب تذكاري «Monument» : رمز من الرموز الجديدة لمعالم المدينة التي نلمسها على نقاط التقاء محاور الطرق، وهي المباني المهمة المرتبطة بقيمة جماعية إنسانية، وتهدف لحفظ الذاكرة من الضياع.

الإشكالية:

عرف العمران الصحراوي في العقود الأخيرة نمواً معتبراً للمدن نتيجة لديناميكية المجتمعات وتطورها. فمنطقة واد ميزاب بصفة عامة ومدينة غرداية بصفة خاصة عرفت مجموعة من التحولات في مجالها الحضري مع تغيرات محتوى الإطار الاجتماعي، رغم أنها من المناطق التي مازالت مجتمعاتها محافظة على الكثير من تقاليدها وعاداتها الاجتماعية، التي تعكس مدى هوية وأصالة سكانها. فالعمران والأسس العمرانية السليمة هي التي تستمد أصالتها من بيئتها فلكل مجتمع عاداته وتقاليده وبيئته الخاصة.

وعلى عكس هذا نجد الدول النامية و من بينها الجزائر تعتمد كلياً في استيراد مظاهر العمران الحديث كوسيلة لحل مشاكلهم العمرانية و المعمارية، و هذا ما تجسده النصوص القانونية الإجرائية لوسائل التهيئة و التعمير في مشاريع تبلورت في أوساط وبيئات أجنبية، و حسب مفاهيم مغايرة تماماً للحضارة الأصلية دون الأخذ بعين الاعتبار المقاييس العمرانية و المناخية الملائمة للتخطيط المجالي لكل منطقة، و لا حتى الخصوصيات الاجتماعية و الاقتصادية و القيم الثقافية للمجتمع، و تشابه بذلك عمران مدن الشمال بمدن الجنوب، مع ظهور أنماط استهلاكية مختلفة للمجال العمراني دون مراعاة خصوصيات كل منطقة.

المدن القديمة الغرداوية التي تنتمي إلى منطقة وادي ميزاب الأثرية، صنفت سنة 1971 كتراث وطني، كما صنفت من طرف منظمة اليونيسكو (UNESCO)سنة 1982 كتراث تاريخي عالمي يستوجب الحفاظ عليه، وفي سنة 2005 صنفت كقطاع محمي (secteur sauvegardé). حيث ان هاته المدن تكونت عبر القرون من تقاليد اجتماعية وأسس تصميمية وتخطيطية أصيلة تتركز على معطيات فكرية، عقائدية، تراثية، تاريخية، بيئية، مناخية، واقتصادية.

عرفت مدينة غرداية نموا سريعا نجم عنه توسع عمراني تجاوز المدينة العتيقة، وهذا منذ الفترة الاستعمارية حيث بدأ التخلي عن الطابع العمراني المحلي واللجوء إلى طابع دخيل. ومع خلق نشاط صناعي مؤخراً بالمنطقة نتج عنه ازدياد السكان داخل القصر مما أدى إلى ضرورة البناء خارجه، بالإضافة إلى النزوح المعتبر للأفراد على أثر تنشيط المنطقة الصناعية التي كان لها انعكاسا هاما على نظام الحياة التقليدية لساكنة المنطقة، حيث أدى هذا إلى استحداث أنسجة عمرانية جديدة خارج حدود المدينة القديمة، رغم أن هذه الأنسجة تتماشى مع المقاييس العمرانية الحديثة غير أنها لا تعكس الهوية الحقيقية للعمارة والعمران المحلي، ما نتج عنه إضعاف علاقة الاتصال والتعاون والحميمية داخل المجال العمراني.

ان التوسع العمراني للمدينة القديمة يعتبر كحتمية طبيعية للديناميكية الحضرية التي انجر عنها بروز أشكال عمرانية حضرية جديدة للتعمير في المنطقة مغايرة تماماً للعمران القديم. من هاته الأشكال أخذت أسس المدينة القديمة بعين الاعتبار، كما هو الحال بقصر" تافيلالت" إلا أن تصميمه كمدينة جديدة راعى طبيعة الحياة العصرية بنمط عمراني متميز. وأشكال عمرانية أخرى حديثة لا تعكس الهوية الحقيقية للمنطقة، كالمتمثلة في البرامج السكنية والتجهيزات التي أنشأت خارج نطاق الواد على مستوى المناطق المنبسطة، بكل من منطقة النوميرات وبوهراوة باعتبارهما مناطق تعمير جديدة.

يضاف إلى كل هذا وجود إشكالية طبيعية وإيكولوجية، التي ولدها وادي ميزاب على إثر حملات متكررة للمدينة وللمنطقة ككل، وتقسيمها إلى قسمين على امتداد الوادي العابر بها، زيادة على أن هذا الوادي هو مكان رمي النفايات وبقايا ورشات البناء والمياه القذرة بسبب الشكل التضاريسي للمنطقة.

إن الواقعية التي تفرضها منطقة وادي ميزاب كوحدة إقليمية متجانسة مشكلة مجال ضمن صحراء، فتركيبتها الاجتماعية المختلفة المكونة لسكانها وتعدد الهويات في المدينة الواحدة، جعل من هذه المنطقة من أكثر المجالات ديناميكية بالجنوب الجزائري. حيث عرفت غرداية في الآونة الأخيرة تفجر العديد من الصراعات التي فرضتها ظروف وضغوطات اجتماعية، حملت الطابع الطائفي التي باتت تهدد استقرار كثير من المجتمعات، ومنعرج خطير فيما تعلق بالظروف الأمنية.

ان تراكم الضغوطات الاجتماعية من جهة وندرة العقار من جهة أخرى واستحالة التوسع العمراني للمنطقة (عوائق طبيعية، صناعية أو ملكية خاصة) وغلاء سعره بقلب المدينة، طرحت العديد من المشاكل لساكني المنطقة على حد اختلافهم. والحقيقة تثبت غياب التوافق والإنصاف في تقسيم الثروة والإشراك في فعالية التنمية المحلية، مع العلم ان القانون الجزائرية لا يقصي أي طرف مهما كانت طبيعته وانتماؤه الحزبي أو الفكري.

إن الإقرار بحقيقة التنوع بأشكاله المختلفة، العرقي والثقافي، سمة أساسية لكافة المجتمعات البشرية، وأن الدول تتمايز طبقاً لكيفية التعامل مع هذا التنوع وإدارته، ومحاولة تفسير الأسباب الكامنة خلف اندلاع الصراعات والتوترات، التي من بينها: ارتباط المجتمعات سلبياً بالموروثات التاريخية، على نحو يجعلها حبيسة للتاريخ ومرتهنة له. ومن هذه الأسباب كذلك غياب ثقافة التعددية الفكرية والتوافق السياسي.

والمقصود من هذا، ان لا نخفي الصراع الثقافي والسياسي الدائر بالمنطقة بل أن الباحث يدعم دراسته انطلاقا من خلفيات هذا الصراع الذي يرجع جزء منه إلى الحالة الراهنة.

كما أضفى عامل التسيير والتهميش الذي يخيم على الجهاز الإداري المحلي، على أن مجال توسع مدينة غرداية محدودا جدا لطبيعة السطح وقلة الأراضي لذلك، وإذا أخذنا بعين الاعتبار قابلية الأراضي الموجودة في بلدية الضاية بن ضحوة للاستصلاح الفلاحي، والتي تمنع سكان بلدية غرداية من العمل أو

الاستصلاح أو البناء بها، إلا أننا نتساءل كذلك عن المسالك المتبعة في تنفيذ خطط التنمية التي تتبناها السلطة المحلية في إنجاز المشاريع تماشيا مع متطلبات العصر، وبغية تحقيق حالة من الاستقرار الدائم أو شبه الدائم لسكان المنطقة التي تتسم بالتنوع الثقافي والفكري ...

من خلال اطلاعنا على مختلف المراجع والدراسات التي تصب في موضوع الدراسة وما قيل عنها، وجدنا أن الأنماط الحضرية التي نراها اليوم ما هي إلا تطور للعمران البشري عبر مر العصور وانعكاس صادق للبيئة الحضرية السائدة من جهة، ومن جهة أخرى هناك بعض العوامل البيئية التي تفرض أن نتعامل معها بمقتضى قوانين الطبيعة، ويبرز هذا بصدق في العمران التقليدي من خلال الوظائف والبيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية السائدة.

إن مجال الدراسة لم يكن حكراً على الدراسات الجغرافية فحسب، بل كان بمثابة خزان للبحث في مختلف العلوم. فقد تناولته بالدراسة علوم كثيرة كلٌ حسب إطاره المفاهيمي ومقاربته العلمية وجهة نظره ومنهجيته وأدواته وأهدافه، فنشهد الحضور الواسع للهندسة المعمارية، علم الاجتماع، الانتروبولوجية، التاريخ، أصول الدين وغيرها، غير أن الدراسات الجغرافية هي الأكثر الماماً واهتماماً بهذا الموضوع.

الدراسات الجغرافية التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة نجد فيها الرسائل الجامعية والمؤلفات والمقالات، وتشترك في تركيزها على الظاهرة الحضرية بمنطقة وادي ميزاب والسياق الذي اتخذته، وحتمية توسع المجال بحكم طبيعة المنطقة وحفاظها على موروثها الحضري في ظل التحولات العميقة في بعدها العمراني. بالاضافة إلى ظاهرة التوسع المجالي على حساب الواحة والبناء على ضفتي الوادي وظهور تجمعات جديدة خارج نطاق الواد خلال عشرين سنة الأخيرة.

في هذا السياق "**شيهاني عمر**"[5] عند دراسته للتحولات العمرانية بوادي ميزاب، تمحورت إشكاليته حول المجال العمراني الغرداوي مع إبراز مختلف التغيرات الحاصلة بالمنطقة حيث أخذت دراسته طابعاً إقليمياً أكثر منه ما هو حضري. مركزاً تساؤله حول العوامل الأساسية للتعمير بالمنطقة والأساليب التي أُتبعت في بناء المدن.

أما الدراسات المعمارية فسجلت حضوراً واسعاً فهي تركز على الإطار المبني من المجالات الحضرية الجديدة، المبرمجة وغير المبرمجة. وتعلقها بالتركيبة الداخلية لإطار المبني القديم والحديث، بالاضافة إلى تقنيات البناء والمواد المستعملة. وقد ركزت معظم الدراسات المعمارية إن لم نقل في مجملها على العمران والعمارة الميزابية، وتأثرهم بالمعمار الميزابي الذي يطبع المنطقة. وعلى الرغم من الجانب التقني للدراسات المعمارية إلا أنها لم تهمل الجانب الاقتصادي والاجتماعي وعلاقة الجوار ومشاركة السكان. في السنوات الأخيرة، أصبحت الدراسات المعمارية أقرب إلى الدراسات الاجتماعية والجغرافية، حيث أصبحت تولي اهتماماً واسع بالمحتوى البشري الممزوج بخصوصيات عمرانية للنسيج الحضري

[5]- شيهاني عمر،1995 : التحولات العمرانية بوادي ميزاب ، رسالة ماجستير في التهيئة الإقليمية. جامعة هواري بومدين، الجزائر.

القائم في أوساط غير ملائمة للعمران بحكم طبيعتها البيئية. من الدراسات المعمارية البارزة فيما سبق دراسة "**الاغواطي محمد عبد الوهاب**"[6] لخصوصيات العمران الصحراوي، وهو يرى أن عدم توافق التشكيلات العمرانية الجديدة مع البيئة المحلية ومع الخصوصية الثقافية، وذلك لافتقارها لبعض معايير الاستدامة التي كانت موجودة في العمران والعمارة التقليديين. وبرز ذلك جليا من خلال الاستهلاك المفرط للمجال الحضري وتدهور المجالات الخارجية، والاستنساخ للعناصر المعمارية الوافدة والمتعددة المصادر من جهة أخرى. وقد أدى هذا إلى فقد التفاعل المتوازن بين المحيط والقيم الاجتماعية لسكان المنطقة، وبروز أنماط حضرية جديدة بصبغة عصرية.

فيما يخص الدراسات الانتروبولوجية، اهتمت في مضامينها بالمحتوى البشري للمجالات الحضرية أكثر من المجال المبني، وبعض هذه الدراسات تناولت التركيبة الاجتماعية للمجتمع وتحولات قيم السكان.

فجاءت دراسة "**Nouha Spiga**"[7] في هذا الصدد من خلال تطرقها إلى نماذج تحول القيم الاباضية في الأسر الميزابية المعاصرة، مع تطرقها إلى فئة معينة من جمهور البحث بتركيز دارستها على قضية اجتماعية، وهي قضية تعليم الفتاة في ظل التغيير الاجتماعي المعاصر والضغط الاجتماعي من جهة، فأبرزت حقيقة المنطق التصوري الجماعي وصيانة الهوية في ظل متغيرات العصر.

وفي دراسة أخرى لـ"**جـون هيغي**"[8] تطرق إلى دارسة الطائفة اليهودية من الناحية الانتروبولوجية كعنصر بارز في تنظيم المجال، وفي الواقع أن ذلك لا ينفي وجود بعض الدراسات الانتروبولوجية كإحدى الدراسات الاجتماعية، لأنها اهتمت بنمط القبيلة أو ما يعرف بمجتمع البادية ولم تولي اهتماماً بالاستيطان أو الظاهرة العمرانية في المدن الصحراوية.

وعلى العموم هناك تكامل عضوي بين مختلف العلوم من خلال تداخل وتشابه بينها، والتي درست المجالات الجغرافية الجديدة وتنوع مناهج الطرح والأدوات. وهذا يقودنا إلى القول بأن الفصل بين العلوم ما هو إلا قضية منهجية لا أكثر، من اجل تسهيل دراسة كل علم على حدي. فالدراسة في حد ذاتها تبرز في عمل جماعي وترصد جميع الجوانب والتغيرات بشكل متكامل.

ومن خلال هذه الرسالة سنحاول معرفة مختلف الأنماط الحضرية لمدينة غرداية، وما علاقتها بالتعمير في المنطقة؟ ما هي مظاهر التوسع نمطاً وشكلاً؟ وكيف يمكن تحليل الأنماط الحضرية في ظل البرامج السكنية المبرمجة؟ إلى إي مدى يمكن اعتبار المدينة القديمة كمرجعية في تخطيط المجال؟ ولماذا المدينة الحديثة لا تستمد أصالتها من المدينة القديمة ولا تحافظ على طابعها المعماري التقليدي؟ ومضامين هذه التساؤلات وغيرها ستعلل ضمنياً من خلال هذه الرسالة.

---

[6]-الأغواطي محمد عبد الوهاب ،2013: خصوصيات العمران الصحراوي، دراسة حالة مدينة غرداية - الجزائر-رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية،جامعة عمار ثليجيي الاغواط.

[7] - SPIGA N.,2010 : Les Modalités de Transmission des Valeurs Ibadites dans la Famille Mozabite Contemporaine. Thèse de Magister en Anthropologie, Université Constantine.

8 -HUGUET J., 1902: Les Juifs du Mzab In: Bulletins de la Société d'anthropologie de Paris, V° Série, tome 3. pp. 559-573.

التعريف بمجال الدراسة:

انطلاقاً من الإشكالية المطروحة، فإن مجال الدراسة يتشكل من الإطار المبني الذي نشأ في أواخر ثمانينات وبداية تسعينيات من القرن الماضي، عند ما أنشأت أول مجمعة"بوهراوة"في ضواحي مدينة غرداية خارج نطاق الوادي الذي يمثل إشكالية إيكولوجية على إثر توسع المدينة، وبحكم طبيعة المنطقة جغرافياً.

إن فكرة الخروج من الوادي كونه يشكل مجالاً ضيقاً، وخطراً على سكان المنطقة، طرح كفرضية في الفترة الممتدة مابين 1990-2000، وسبقتها بخلق منطقة صناعية مابين 1970-1980على مستوى الهضبة من الجهة الجنوبية للمدينة.

ان الظــروف التي عرفتها الجزائر خاصة عنــد بناء الدولة الجزائرية الحديثة في الفترة الممتدة 1962- 1988 كان لها أثر كبير على البناء والتوطن. أثناءها كانت الأنظار تتجه نحو التوجه الاشتراكي، عندما شجع قانون الاستثمار سنة 1966 النمط المحدود من النشاطات الخاصة. حينها ظهرت بعض الورشات الخاصة التحويلية وغيرها في بداية الأمر، ومع نهاية المخطط الثلاثي بدأ التفكير في إنشاء منطقة صناعية، وفعلا تم اختيار موقعها وحددت على مستوى الهضبة وتسمى "بقارة الطعام" جنوب شرق مدينة بني يزقن، وحفر بها بئر ارتوازي مما دفع بأصحاب الأنشطة إلى بناء مصانعهم وهكذا ظهرت منطقة صناعية مكونة أساساً من قطاع خاص في ظل التوجه الاشتراكي. مع العلم أن المخطط التوجيهي لمدينة غرداية أخذ بعين الاعتبار بعض الحلول إستعجالية بالخروج من قلب واد ميزاب نحو الهضبة، وأنشأت بذلك توسعات جديد بغرض حماية ما تبقــى من المدن القديمة والمعالم الأثرية، كما نـص عليه قانون 98-04المتعلق بحماية التراث الثقافي[9]. وبذلك منذ سنة 1998بدأ التعمير بالمناطق المحاذية للمدينة خارج نطاق الوادي بغرض استقبال الضغط البشري المطروح على مستوى المدينة الأم، فظهرت خلالها الأشكال الجديدة للتعمير تتمثل في المناطق المحيطية، والتي تعتبر مناطق مستجابة للتعمير على المدى المتوسط والطويل، الجدول والخريطة التالية يوضح ذلك.

[9]-قانون رقم 98-04مؤرخ في 15جوان1998، متعلق بحماية التراث الثقافي، الجريدة الرسمية،عدد44.

جدول رقم 01: مناطق مجال الدراسة.

المنطقة	الموقع	البعد	الخصائص
واد نشو	شمال مدينة غرداية	15كم عن مركز مدينة	مجمعة ثانوية حديثة.
بوهراوة	شمال بلدية غرداية	3كم عن مركز مدينة	مجمعة ثانوية حديثة مندمجة مع مدينة الأم.
قصر تافيلالت	جنوب شرق قصر بني يزقن	1,5كم عن قصر بني يزقن	تجربة إنسانية اجتماعية وحضرية وبيئية، أنشأت من طرف الخواص (Société civile Immobilière Amidoul).
النوميرات	جنوب مدينة غرداية	تبعد 12كلم عن مركز مدينة	تحولت من قرية وبنايات منعزلة، في1998إلى منطقة مبعثرة (Z.E) في تعداد2008.

المصدر:من إعداد الطالب.

ونلاحظ أن مجال دارستنا واسع، يشتمل على المناطق التي ظهرت بعد سنة 1998، بغرض تخفيف الضغط عن منطقة وادي ميزاب، وكمشاريع مقترحة من قبل السلطة العمومية، التي تحمل في طياتها أشكالاً عمرانية جديدة في بيئة تبدو تحفة منسجمة بين الوسط والطبيعة.

صورة رقم 3:صورة قمر صناعي (ASTRA)التي تم التقاطها لوا ي ميزاب سنة 2011.
(mzabvalley_ast_2011040_lrg).

خريطة رقم 01: موقع مناطق الدراسة من التجمع الحضري لوادي ميزاب.

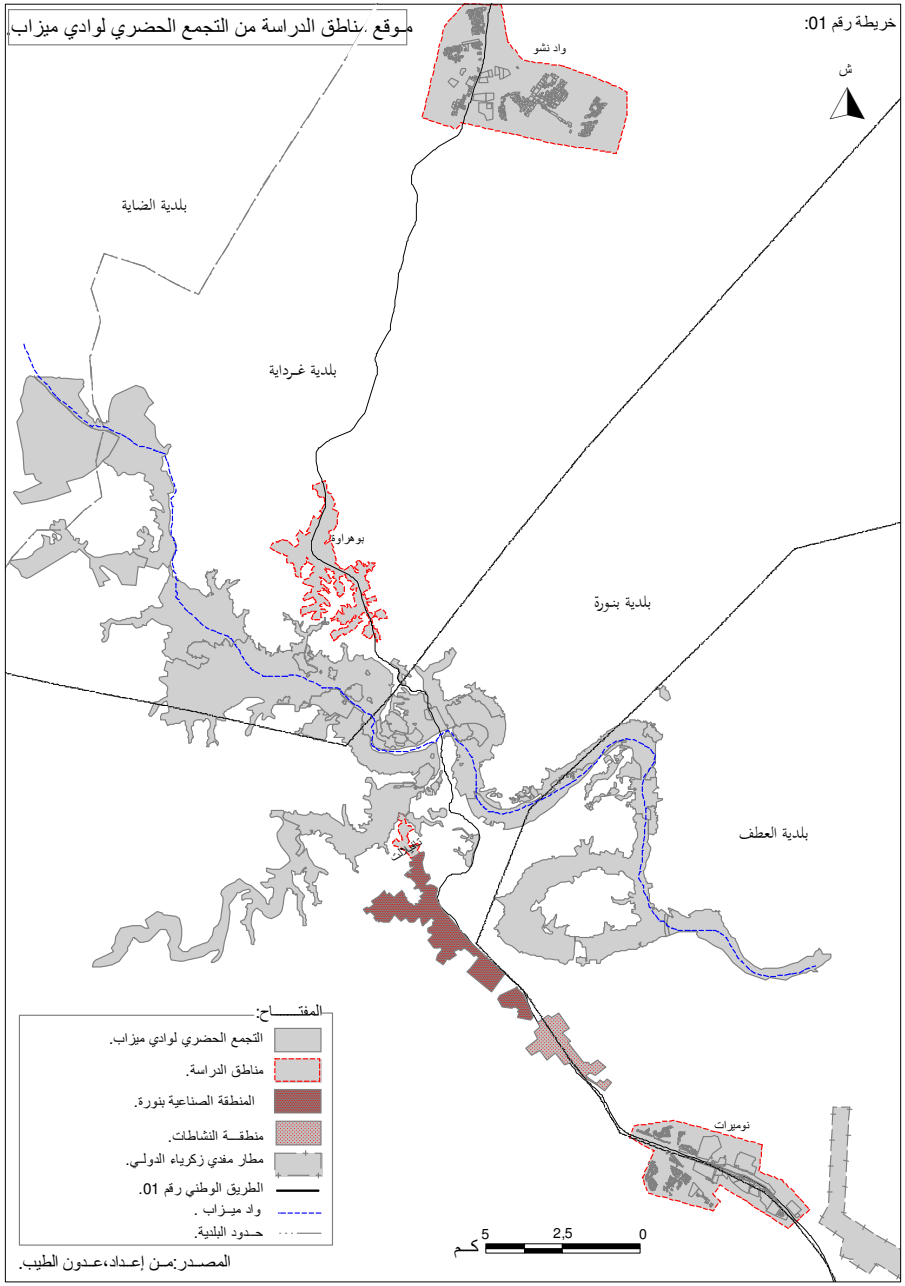

المصـدر:مـن إعـداد،عـدون الطيب.

منهجية البحث:

نظراً لنوعية البحث المتناول وتشعب الموضوع المراد دراسته وعلى أساس الإشكالية المطروحة، فإن مجال الدراسة يتمثل في المجال المبني المحاذي لمدينة غرداية الذي نشأ خلال العشريتين الأخيرتين من القرن الواحد والعشرين. أين قررت السلطة المحلية إنشاء تجمعات حضرية جديدة، رغم أن هذه التجمعات تزخر بنمط عمراني وبنائي واضح و موحد يتلاءم مع خصوصية المنطقة، ويوافق المعطيات الاجتماعية لراغبي الاستيطان الجديد من جهة ويراعي حاجياتها الأساسية من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس بغية الوصول إلى الأهداف المسطرة من الدراسة وتشريح ظاهرة الأنماط الحضرية الجديدة بطريقة علمية، اعتمدنا على مناهج متعددة (الوصفي، الكمي ،الاستقرائي،النموذجي.....) يتناسب كل منها مع مرحلة من مراحل البحث.

ففي البداية سعينا إلى الاطلاع على ما كتب عن مدينة "غرداية" في مجال العمران والتعمير وعلى ما جاء في الرسائل الجامعية ، المقالات ، الدوريات ، و مختلف الكتب المتعلقة بالمنطقة، وباعتبار أن الدراسات الجغرافية لا تستغني عن المعطيات الإحصائية والخرائط التي لها صلة بموضوع الدراسة، فهي تحتاج إلى قاعدة معطيات لتكتمل شموليتها. وقد تحصلنا عليها من مصالح مختلفة أهمها الديوان الوطني للإحصائيات "فرع ورقلة"، ومكاتب الدراسات العمومية مثل، مكتب الدراسات والإنجازات العمرانية "تيارت" فرع غرداية (URBAT)، ومديرية البناء والتعمير بغرداية، مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية، بالإضافة إلى الملاحق الإحصائية التي أصدرها الديوان الوطني بما فيها دفاتر المقاطعات الخاص بمدينة غرداية، التي أخذنا في تصفحها فترة طويلة عندها وجدنا انها تفتقر لأرقام في كل المجالات و بدون استثناء ولعل الاستثناء الوحيد هو توفر معطيات حول السكنات وعدد الأسر.

كما تم في هذا الصدد كـذلك استعمال بعض المعطيات الــرقمية المهمة جــدا لمنطقة الــدراسة كالنموذج الــرقمي للأرض التي تساعد في الدراسات الطبوغرافية وتساهم بدورها فـــي تقليص المسافة والـــزمن، بالإضافة إلـى الصورة الفضائية للمستشعرات المركب الفضائي "موديس" MODIS (Moderate Resolution Imaging Spectroradiometer) حيث تعد هذه الأخيرة ذو أهمية كبيرة لما لها من قدرة على التغطية العالية والمتنوعة. حيث التقطت صورة نموذجية لمدينة غرداية فـي"2008/10/08" على إثر الفيضان 01 أكتوبر 2008 الذي ضرب المنطقة، واستعملت لتقيم المخاطر الطبيعية بغية المعالجة المنهجية والتطبيقية لعمران المنطقة ونطاقاتها. مع هذا استطعنا تكوين صورة واضحة عن الموضوع، سهلت علينا التمهيد إلى إعداد خطة البحث والانتقال إلى المرحلة الموالية.

إن الطابع العمراني الذي نراه اليوم في مقاربته وتحليل اتجاهاته لابد من ربطه بالسياق التاريخي بغرض تتبع التحولات التي طرأت على السكان والمجال، لذا اعتمدنا على المنهج التاريخي في ذلك، أما منهج البحث الميداني الذي يلعب دورا جوهريا في الدراسة، كون الباحث الحضري (urbanisme)لا

يمكنه الاكتفاء بالمعطيات المكتوبة، فلذلك يثري الباحث التحولات التي تطرأ على المدينة من خلال بعض الأشياء التي يقتضي معايشتها، بدورها تعطي المصداقية والقوة للبحث على عدة مستويات خاصة في الميدان المعرفي. إلا أنها كانت أصعب مرحلة، فقد واجهنا خلالها صعوبات كانت في كثير من الأحيان كحجر عثر في مسار البحث.

وفيما يخص التحقيق الميداني طبعه نوع من الصعوبة خاصة عند التعامل مع المجتمعات المنغلقة، رغم ذلك في كثير من الأحيان نصادف فئة مثقفة ومتفهمة وواعية لما يجري حولها، أحياناً تساندك بالإيجاب وتارة أخرى بالرفض وكلاهما ساهما في إثراء العمل الميداني.

وقد تضمنت خطة التحقيق الميداني في طياتها مجموعة من الأسئلة المباشرة إلى العينة المدروسة، شملت الاستمارة عدة تساؤلات تتعلق بالسكن والسكان في شكل أسئلة لا تتطلب الجهد في التفكير بقدر ما هي سهلة، تتطلب الإجابة عليها بدقة منها أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة يعبر فيها المحقق معه بحرية مطلقة. كما أجريت مقابلة مع المصلحة التقنية لكل من بلديتي "غرداية" و"بنورة"، الوكالة العقارية لكل من "غرداية" و"بنورة" وبعض العناصر البارزة ومؤسسي قصر "تافيلالت" بالمجال المدروس وذلك بهدف معرفة الانشغال الشاغل للسكان وأهم المساهمون في التحولات. بالإضافة إلى اعتمادنا بشكل كبير على المعاينة والملاحظة المنظمة خاصة فيما يتعلق بالإطار المبني، فقد تم اختيارنا لعينة التحقيق بغية سد بعض الثغرات الإحصائية وذلك بتوزيع371إستمارة من ثلث عدد الأسر مجتمع البحث بالمجالات المدروسة المتمثلة في 1113أسرة، وتم اختيارهم بطريقة عشوائية (des échantillons aléatoires)؛ بمعنى عينة إحصائية، وللقيام باختيار العينة العشوائية لابد من مفردات جمهور البحث (Base de sondage) التي تمثل القيمة الاسمية للمجال المدروس. حيث قسمت حسب مقاطعات التجمعات الجديدة بغرض أن تكون شاملة وتغطي نسبة من كل تجمعات وتبرز فيها بوضوح أهمية التحقيق، والجدول الموالي يوضح توزيع عينة التحقيق حسب النماذج الأربعة المدروسة والنسبة التي تمثلها من أجمالي أسر مناطق الدراسة.

جدول رقم 02: توزيع عينة التحقيق حسب حجم أسر المقاطعات بالمناطق المدروسة.

	المنطقة	عدد الأسر	مساكن مشغولة	عدد مقاطعات	حجم الأسر
2008	بوهراوة	532	532	9	%47,80
	قصر تافيلالت	450	447	3	%40,43
	واد نشو	90	90	3	%8,09
	نوميرات	41	41	2	%3,68
	المجموع	1113	1110	17	100

المصدر: دفتر مقاطعات(ONS2008)+معالجة الطالب.

ملاحظة: تم استرجاع 150استمارة على مستوى منطقة "بوهراوة" من مجموع 177 استمارة. وفي الأخير بعد ملئ الاستمارات وتفريغها وترتيبها وتمثيلها بيانيا على شكل رسومات وجداول، واستخراج بعض النسب لتسهيل عملية الربط والتحليل وتوضيحها اعتمادا على بعض البرامج (Mapinfo7.5, Arcgis 9.3, Excel 2007, Philcarto, Google Earth..) وعلى ضوء هذه المنهجية قسمت الرسالة إلى خمسة فصول، حتى يتسنى لنا الإجابة عن التساؤلات المطروحة، والتي تمحورت حولها إشكالية الموضوع وبالاعتماد على طرق التحليل السابقة، تم معالجة وعرض موضوع البحث وفق الخطة التالية:

الفصل الأول: خصصناه لمدينـة غرداية " المميزات الإطار الطبيعي والبشري"

حيث تناولنا فيه التعريف بمجال الدراسة، واستعراض السياق التاريخي للمنطقة، مع إبراز الموقع المتميز لمدينة غرداية، تحليل بعض الخصائص الطبيعية المنطقة، ثم انتقلنا إلى إبراز بعض الخصائص البشرية تطور السكان، تطور الشبكة العمرانية .....

الفصل الثانـي: "التوسعات المجالية "

تطرقنا فيه إلى التوسع المجالي بأشكال وأنماط تعميرية مختلفة، من خلال التعرف على المخططات العمرانية السابقة التي سار العمل بها، تطور النسيج العمراني، مراحل التطور العمراني، مع تحليل مخطط توجيهي موحد لبلديات وادي ميزاب معتمداً على ما توفر في الدراسات السابقة وزيادة على ذلك نتائج التحقيق الميداني.

الفصل الثالث: "خصوصيات العمران الصحراوي "

حيث ابرزنا في هذا الفصل الأنماط العمرانية بالمنطقة بما فيها الحديث والقديم محاولين تحليل ذلك من خلال تحليل العمران الميزابي، وخصائصه مع إبراز نتائج البحث الميدانـي، بالإضافة إلى معرفة التغيرات التي طرأت على الأنسجة القديمة بغية استدامتها. وتطرقنا كذلك لتجربة استحداث القصور بمنطقة وادي ميزاب.

الفصل الرابع:" تحليل الأنماط الحضرية الجديدة بمنطقة وادي ميزاب"

تطرقنا فيه إلى تحليل الأنماط الحضرية من خلال التوسعات، والبرامج السكنية المبرمجة والتي جاءت على شكل تجمعات سكنية. محاولين إبراز مختلف الفاعلين في إنتاج المجال والميكانيزمات التي أثرت على التحكم في مجال التوسع. تطور الملكية العقارية في الجزائر منذ فترة الاستعمارية وغداة الاستقلال، والتحولات الاقتصادية والسياسية التي عرفتها، كما تطرقنا كذلك إلى الشكل الحضري للنماذج المدروسة.

الفصل الخامس:

عرضنا في هذا الفصل التحليل للسكن والتجهيزات مع الكشف عن انطباع المواطنين. وما مدى اندماج السكان في المجالات الحضرية الجديدة، ومراعاة أراء السكان حول مدى توجهم نحو إنشاء نماذج عمرانية جديدة بالمنطقة.

في الأخير لا يفوتنا القول أننا كغيرنا من الباحثين، قد واجهتنا عدة مشاكل وصعوبات، منها ماله تأثير مباشر على موضوع الدراسة، إلا أننا نعتبرها موضوعية لتعلقها بميدان البحث و متمثلة في:

- صعوبة الحصول على معطيات تتعلق بالمناطق الجديدة، مع تضارب في الأرقام والبيانات.
- صعوبة المسح الميداني لبعض الأسر بسبب غياب البعض عن منازلهم أثناء فترة القيام بالتحقيق.
- بإلاضافة كون مجال الدراسة يعد مجالاً حساساً، زيادة على الأوضاع الأمنية التي عرفتها المنطقة في الآونة الأخيرة التي غيرت منحى المدينة.
- أن مناطق الدراسة هي تجمعات جديدة هذا ما جعل الحصول على المعلومات من الأشياء الصعبة إذ لم يوفر الحد الأدنى من المعلومات باستثناء دفتر المقاطعات، وهي السلبية التي يتميز بها بلدنا من خلال اعتمادها معطيات على مستوى واسع وغيابها على مستوى الحيز الصغير.

اختيار نموذج الدراسة: لماذا غرداية؟

تمثل مدينة غرداية - عاصمة إقليم وادي مزاب-نموذجا هاما في الطفرة العمرانية من واحات الصحراء الجزائرية، ويمثل العمران في هذه المنطقة صورة الجزائر العميقة في أبعادها المحلية والإقليمية والوطنية. كما تقدم صورة متجددة لأزمة المجال العمراني التي تعيشها الحواضر الجزائرية بشكل عام، نتيجة التوسع المستمر، فطبعها العمراني والمعماري الفريد من نوعه جذب كبار العمرانيين المعاصرين أمثال "كربوزي" ، "بويون"، "ورافيرو"، لذا فهي تشكل فخر كل من يقطن المنطقة. وباعتبار غرداية هي المنطقة بجنوبنا الكبير التي تزخر بفسيفساء من الأنماط السكنية باحتوائها على المدن العتيقة الخمسة والمناطق الحضرية الجديدة.....

ومع مرور الوقت ظهرت أنماط عمرانية جديدة للمشاريع العمرانية في تشكيلها وانجازها مصبوغة بالطابع الغربي الذي لا يمد بصلة لعمراننا، لذلك اقترحنا منطقة وادي ميزاب التي تمثل في نظري ميدانا خصباً للدراسات العمرانية والمعمارية لما تزخر به من مميزات خاصة في حقل البحث، ما تجعل الباحث يترقب كل كبيرة وصغيرة التي يعكسها أثار الإنسان.

تحديد بعض المفاهيم :

يتجسد اليوم في مدن العمران بنوعه(التقليدي والحديث)، أين يبرز لنا التطور الذي مر به العمران التقليدي عبر مرحلة من مراحل تطور المدينة والمجتمع، لكن ما يلاحظ على هذا النمط العمراني أنه بدأ يتلاشى تدريجيا لتغيرات عديدة حلت محل الأنماط التقليدية، وظهور أنماط جديدة كاستمرار للنمط القديم بحلة جديدة، خاصة وإننا نلاحظ تعرض هذا العمران إلى الزوال. ومنه زوال ثقافة عمرانية محلية وحلت محله ثقافة عمرانية جديدة قد لا تستجيب لخصائص هذا المجتمع. كما نهدف من خلال تحديد المفاهيم إلى

إعطاء بعض المعلومات النظرية والتعرف على بعض المصطلحات التي نرى فيها تدعيماً فـي إنجـاز هذه الدراسـة، وقد حرصنا أن تكون مركـزة و مرتبطـة بالدراسـة.

***الأنماط الحضرية**:

لما كانت المدينة بحكم طابعها الحضري، فإنها تجري بها تغيرات في شتى المجالات لا سيما تغير النمط السكاني، وهذه التغييرات أدت إلى واقع حضري جديد قد ينسجم مع التطورات الحاصلة في جميع المجالات. على سبيل المثال تأثرات المدينة العربية الإسلامية بمدن ما قبل الإسلام، التي شهدت تغيرات على نسيجها الحضري بفعل عوامل متتابعة عبر الزمان والمكان كان لها تأثير واضح في إعطاء أنماط حضرية جديدة لم تشهدها سابقاً[1]. وعلى العموم الأنماط الحضرية الجديدة التي نراها اليوم هي التي تتميز بوحدة النمط والشكل، و أصبحت اليوم من أصعب تحديات تسيير المدن.

فالنمط الحضري هو مجموعة من الخصائص والصفات المشتركة لمجموعة من الوحدات الحضرية المشكلة للإطار المبني والتي تضعنا في صورة مخالفة عن الريف. فالأنماط الجديدة هي اليوم عرضة للتغير من شكل إلى أخر بحسب درجة تأثير العوامل الموجودة بالمدينة، التي تولد عنها تنوع واختلاف وتنافر في أنماط الحضرية التي تتفاقم يوماً بعد يوم مهددة نسيج المدن بزوال شخصيته العمرانية .

***الأنماط العمرانية:**

على مر العصور كانت ولازالت الأنماط العمرانية والمعمارية تشكل انعكاساً صادقاً للبيئة الحضارية التي كانت تسود معظم المدن العربية، و منذ القديم أقيمت مدن على أطراف الصحراء أين تسود البيئة القاسية وعلى أساس هذا ساعدت الظروف الطبيعية والاجتماعية على خلق نمط معين متلائم معها مما أدى بالإنسان إلى الاستقرار مأمناً نفسه من الظروف المناخية القاسية.

وبذلك ظهرت التشكيلات المعمارية على مستوى التخطيط بصورة عضوية وتلقائية دون الارتباط المسبق باعتبارات تشكيلية أو معمارية معينة[2]، وتوصل الإنسان إلى استنباط حلول معمارية سليمة تحميه من ظروف طبيعة قاسية.

وعلى هذا تهدف دراسة الأنماط العمرانية في التعرف على إيجابيتها وسلبياتها التي تساهم في وضع أسس تخطيطية للتعامل مع البيئة، بغرض الوصول إلى تشكيل عمراني يلاءم مدن الصحراء.

***الأنماط السكنية:**

النمط السكني هـو المنطلق الذي يمثل السكن فيه المحاولة الأولى للإنسان فـي التكيف مع بيئته، عبر مسيرته الحياتية، وعلى هـذا الأساس يعـد النمط السكني الصيغة الأولـى التي تمكن فيها الإنسان مـن أن يتفاعل ويكيف نفسه مع البيئة السائدة. ولم ينل مفهوم النمط السكنـي الاهتمام لدى المختصين في

[1]- كمال الكناني،2006: تخطيط المدينة العربية الإسلامية الخصوصية والحداثة، مجلة المخطط والتنمية،عدد15،ص10.
[2]-حنان نادر الكعبي،2010: تخطيط وبنيوية عمارة الصحراء، مديرية الأبنية الحكومية لمحافظة العقبة ص3.

مجال جغرافية المـــدن والاجتماع الحضـــري والمخططين الحضريين، لذلك يضع المختصون في مجال سوسيولوجية الحضرية النمط السكني ضمن الأنماط الاجتماعية، ويعرفونها على أنها "أنماط يخلقها الناس الذين تجمعهم رابطة الجماعة وتمثل أنماط السكان والعمران والمؤسسات الاجتماعية والتنظيمية، ويعرفها المخططون على أنها الطريقة المتبعة في تصميم وإنشاء الوحدات السكنية [3]"،

***التجمعات السكانية الجديدة:**

هي مناطق أقيمت استجابة لمتطلبات السكان، أين يسودها تطور سكاني ومركز توظيف واعد، وتعتبر هذه التجمعات حلاً بديلاً للسكن مقارنة بالتجمعات السكانية العشوائية وبمرور الوقت يتحقق بها الاكتفاء الذاتي من حيث الوظائف والخدمات لسكانها المحليين على وجه الخصوص.

***العمران:**

إنه لمن الصعب إعطاء تعريف دقيق وشامل للعمران، لكون المدينة تعبر عن عـــدم التنظيم والتـــوازن من الناحـــية الوظيفة والخدمات للمجال، فهو بمثابة حقل فسيح تتشابك فيه التخصصات. فالباحث "توفيق القروج[4]" تطـــرق في كتابه بعنـــوان "*Pourquoi faire de l'urbanisme*" والذي تمحورت إشكاليته على حد قوله، لماذا نلجـــئ لاستعمال العمـــران. باعتبار أن المدينة من صنع الإنسان كـــوسط اصطناعي الـــذي تتمخض مـــن خلاله الصراعات والتناقضات والإدراك للبلبلة المرئية لنمو المدينة والمولود الجديد للتحضر.

كما عرف "إبراهيم بن يوسف" العمران على أنه " لقاء بين الإنسان والمكان في الزمن، هذا الكل المترابط يعيش أزمة انفصال الشكل عن المضمون وانفصال المادة عن الروح [5].

ويعرف كذلك العلامة "أبن خلدون" العمران هو"ما يُغمر البلد ويحسن حاله بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن[6].

ويعرفه "منجد روبار" (Robert)على أن "العمران هو دراسة الطرائق التي تسمح بتكيف السكن وخاصة السكن الحضري مع متطلبات الإنسان، وهو أيضا مجموعة التقنيات الهادفة إلى تطبيق هذه الطرائق"[7]. ويمكن إعطاء عدة تعار يف نذكر منها:

- هو العلم الذي ينظم المدن عن طريق دراسة المفاهيم والتي تسمح بتكييف مساكن هذه المدن وفق حاجيات البشر بالاعتماد على مجموعة من التدابير الاقتصادية والاجتماعية والبشرية.
- العمران هو علم تنظيم الفضاء يشمل جانبين نظري وتطبيقي فهو فن تهيئة وتنظيم التجمعات الحضرية.

---

[3]-حسين اسماعيل ،2012: العوامل المؤثرة في تغير النمط السكني لمدينة كلار، دراسة في علم الاجتماع الحضري،مجلة ديالى جامعة السليمانية ،عدد55،ص 5.

[4] -GUERROUDJ T., 2011 : « *Pourquoi faire de l'urbanisme* », éd, Confluences, 236p.

[5] - إبراهيم بن يوسف، 1992: إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبي داود الجزائر، ص6.

[6]- سناء دراويشه،2012: الفكر التربوي الخلدوني مقاربة بين الأصالة والمعاصرة،مقدم إلى مؤتمر ابن خلدون المنعقد في جامعة النجاح الوطنية،ص7.

[7] -خلف الله بوجمعة، 2005: العمران والمدينة ، دار الهدى للطباعة، الجزائر،ص 09.

وعليه، علم العمران بمثابة نافذة مفتوحة على حضارة الشعوب ويعتبر كأداة للتغبير الفكري والثقافي والحضري، كما يحدد إطار نمط الحياة وكيفية تنميته من جميع النواحي (الاجتماعية، الاقتصادية...).

أن الدارس لمدننا اليوم تصيبه الدهشة عندما يلاحظ القطيعة المرفولوجية للنسيج العمراني الحديث منه والقديم، والتناقض الوظيفي للبنية الوظيفية فأصبحنا كالبدو نقيم عمارات ومباني في أي مكان و لا نبالي بالجمالية و بالقيمة الحضرية و لا نعطي لأفعالنا أي بعد جمالي بل المنفعة و الاستغلال المفرطين للمحيط هو ما يجعلنا في بعض الأحيان نستغل بعض الفضاءات التي تسود مدننا بدون مراعاة جانبها التاريخي على اقل. وهذا كله يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على العمران، ومع مرور الوقت طور الإنسان فكرة العمران في شقها العملي، فأثرت هذه التطورات على الاهتمام بالعمران كعلم، و انصبت حوله كل الاتجاهات و الجهود من أجل تنظيمه وإعطائه ديناميكية تساير هذا التطور، وفي ظل هذه الجهود المبذولة ظهر ما يسمى بالعمران العملي (Urbanisation Opérationnel[8]) كوسيلة من الوسائل العلمية الضرورية التي يستعملها العمران الحديث من أجل التحكم في الحركية العمرانية و الوصول إلى أنسجة عمرانية منسقة، موحدة و متكاملة وهذا ما يطبع جزء واسع من عمران التجمعات الحضرية بمنطقة الدراسة.

كذلك عرج "إبراهيم بن يوسف" في تعريفه للعمران العملياتي، على أنه يغطي مختلف البرامج والمخططات التي تتعلق بالتدخل على مشروع موجود في الواقع، وهو يعتبر كتكملة لسياسة التهيئة وبنية المجال السوسيو-طبيعي[9].

***العمارة :**

إن علاقة الإنسان بالمكان هي التي تصنع المعاني المهمة في العمارة وتشكل الحياة وتحولاتها، حيث بدأت العمارة منذ القدم تعمل على تلبية إحدى الحاجيات الأساسية للإنسان، ضمن الحيز الملائم ليمارس نشاطه بحرية، لذا تلازم تطور الإنسان مع تكيفه ببيئته، ومع تطور العمارة وأساليبها أصبح ما يحاكي الطبيعة والإنسان ويحترم ظروفه وأفكاره.

ان العمارة تضم كل ما هو حولنا، ولا يمكن تحديد ما هو عمارة و ما هو ليس عمارة. فكل ما أقامه الإنسان منذ بداية التاريخ من منشآت ومباني و الإطار المبني و غير المبني تندرج تحت العمارة بمسميات مختلفة.

العمارة هي الاسم والصفة منها العمران، وهي تشمل كل ما هو على وجه الأرض من مباني ومنشآت ومساكن سواء كانت من إنتاج متخصصين أو غير متخصصين. وقد أطلق عليها العلامة "ابن خلدون"

[8]- العمران العملي (Urbanisation Opérationnel): هو مرحلة تتعلق بتطبيق مضامين السياسة العمرانية المبرمجة، على الفضاء السوسيو-فيزيائي الجديدة منها والقديمة، كما أنه يعالج مشاكل التنظيم و تشكيل الفضاء على مستوى صورة عمرانية معقولة و كمنتج عمراني متكامل.

[9] - BEN YOUCEF B., 1999: Analyse urbaine éléments de méthodologie, OPU, Alger ,P18.

"صناعة البناء"حيث يقول هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى في المدن[10].

يصعب اليوم الفصل في العمارة والعمران لقضية الأصالة والمعاصرة بشكل عام، باعتبارها موروث حضاري حظيت باهتمام كبير من طرف الباحثين من علم الاجتماع، والمجال العمراني وغيره من العلوم، أين تعددت الأطروحات حول هذا الموضوع إلا أن القاسم المشترك يرجع إلى سيطرة التقدم التكنولوجي على عملية التصميم العمراني والمعماري الواسعة، مع عدم احترام القيم والهوية الإنسانية التي تطبع جزء واسع من شخصية العمران الجديد. ان ارتباط الأصالة والمعاصرة بالموروث الحضاري التي تفتح الباب الواسع للنقاش على المستوى العمراني والمعماري، فحاضر اليوم هو ماضي الغد، وبالتالي ما نراه معاصر الآن سيمثل بعد حين موروثاً، وبالتالي ستظل الإشكالية محل بحث ودراسة دائمة.

***الأصالة:**

يجدر بنا في بحثنا هذا المتعلق بالأنماط الحضرية الجديدة للمدن الصحراوية، ان نبرز جزء من التطور للعمران وعمارة المنطقة وخصوصياتها بين الأصالة والمعاصرة، بغرض الخروج من جدلية الأصالة والمعاصرة أو "التقليد والتجديد" والتي تتلخص في حتمية الالتزام بالتقاليد الأصيلة للعمارة المحلية الموروثة.

وعليه فالأصالة يمكن أن تكون صفة تطلق على أي عمل يبرز فيه نوع من أنواع الإبداع، إذ يشير البعض إلى أن هذه الأصالة يمكن أن تدل على معنيين، أحدهما زمني والآخر منهجي، أوكلاهما معا.

***المعاصرة:**

تجلى هذا المفهوم مع بوادر الثورة الصناعية فالتطور الاقتصادي والزحف العمراني جعل استخدام تقنية البناء الحديثة أمرا لا مفر منه. كما أن انتقال السكان من المدينة القديمة إلى الحديثة والتي لا تحمل سمات شخصية لمجتمعها ولا تجسد أبعاده الاجتماعية والثقافية وهذا سعيا وأملا في اكتساب شيء مجهول. فالمعاصرة بالنسبة لنا ليست بديلا عن الأصالة ولكن ينبغي الاستلهام المفيد من أصالتنا وصهرها بصدق في مدننا.

[10]-مجلة العمران، 2005:مجلة دورية تصدر عن كلية الهندسة المعمارية ،جامعة غزة، العدد4، ص 26.

الفصل الأول
المميزات الطبيعية والبشرية

في هذا الفصل سنتطرق إلى دراسة تاريخية عامة عن مدينة غرداية، ثم دراسة تحليلية لإمكانية الوسط من الناحية الطبيعية والسكانية والاقتصادية، من أجل توضيح واقع بعض العوامل المتعلقة بعملية التعمير وتأثيرها على المحيط الحضري، والذي يرتكز على مجموعة من العناصر من بينها المجال الطبيعي لما له من أهمية بالغة في نمو المراكز العمرانية وتطورها. بالإضافة إلى إبراز مميزات الموقع وتحليل بعض الخصائص الطبيعية التي لها علاقة التعمير بالمنطقة، والتي نستطيع من خلالها تفسير الكثير من العلاقات المجالية خاصة ما تعلق بجانب العمران، وهذا من خلال تطبيق أساليب وأدوات جديدة وحديثة بغرض تشخيص المدينة وفهمها، واستخلاص المشاكل والإشكاليات العمرانية التي تعاني منها المدينة والأسباب التي أدت إلى ذلك. و سوف نحاول كمرحلة أولى سرد و تتبع المسار التاريخي للمنطقة من جهة، ومن جهة أخرى نحاول استعراض بعض المعلومات المكثفة المتعلقة بمحتوى المجال المراد دراسته.

1-السياق التاريخي لمدينة غرداية :

تعد مدينة غرداية من المناطق التي تزخر بتاريخ عريق وموقع مميز، فهي تضرب جذورها في أعماق التاريخ، فقد تعاقبت على أرضها الحضارات العديدة، ومنذ عصور ما قبل التاريخ قطن الإنسان هذه المنطقة ذات البيئة القاسية، كما تدل عليها الآثار المتواجدة عبرها.

لقد توصل كل من الباحثان بيار روفو"Pierre Roffo" و جويل أبونو "Joël Abonneau " عند قيامهما بدراسات وأبحاث تخص فترة ما قبل التاريخ في منطقة وادي مزاب إلى نتائج جد هامة تدل دلالة قطعية على استيطان الإنسان في المنطقة، وذلك من خلال عثورهما على عدد كبير من الأدوات الحجرية ، ورسومات صخرية في محطات عديدة تعود إلى ما قبل التاريخ[1]،التي حدد منها بعض النقوش الصخرية بكل من "مومو وأنتيسة" ببني يزقن، وفي "بوهراوة وبابا السعد" بغرداية. بالاضافة إلى بعض الصناعات الصخرية المتواجدة بكل من النوميرات بالعطف ،متليلي ، المنيعة. كما توصل مؤخرا فريق من الكشافة الإسلامية فوج غرداية على اكتشاف بعض النقوش الصخرية بمنطقة بريان على بعد 40 كم شمال مدينة غرداية عند إجراء تربص تكويني بالمنطقة في صيف 2013.

انطلاقا مما سبق، يستلهمنا الحديث عن تاريخ بني أمْزاب التي سميت المنطقة على اسمهم وإسهامهم في التطور الحضاري لبني مزاب، محاولين تلخيص حياة المزابين من قبل الفتح الإسلامي إلى وطء أقدام المستعمر المنطقة، مقسمين ذلك على أربعة مراحل أو عهود اعتمادا على التسلسل الزمني للأحداث وهي:

1-1- **العهد الأول** : "المنطقة قبل التواجد الاباضي".

تمتد من قبل الفتح الإسلامي إلى غاية القرن الرابع الهجري، وكانت المنطقة تعرف ببادية بني مصعب وكان سكانها يغلب عليهم طابع البداوة والبساطة. من المعروف أن بني مصاب الزناتيين البربر

[1] - بالحاج معروف ،2007 :العمارة الإسلامية مساجد مزاب و مصلياته الجنائزية، دار قرطبة الجزائر ص41.

تقلبوا في شمال المغرب الأوسط طولا وعرضا، حتى استقر بهم المقام في منطقة هذا الوادي، وبين هذه الجبال، وكان ذلك قبل القرن الثالث الهجري /التاسع للميلاد[2].

ويمتاز هذا العهد بأن سكان بلد ميزاب اعتنقوا الإسلام ببساطة ثم سبقت إليهم آراء المعتزلة فأخذوا بها، وحافظوا على نظام حياتهم كشعب يعتمد بالدرجة الأولى على تربية المواشي والزراعة، وقد كانوا يسكنون الخيام ثم أسسوا تجمعات سكانية تطورت حتى أصبحت قرى تقيهم من عوامل الطبيعة على طـــول الوادي.

1-2-العهد الثاني:"المنطقة بعد التواجد الإباضي"

تمتد من نهاية القرن الرابع هجري إلى نهاية القرن الثامن، وفيه تم تأسيس القرى الخمس الموجودة حاليًا علـــى جوانب وادي مزاب[3] .

وقد اعتمد بنو ميزاب على الفلاحة الثابتة وتحولوا تدريجياً إلى المذهب الإباضي مع تأثرهم بدعاة هذا المذهب، الذين قدموا من المشرق العربي بعد ما صعب استقرارهم في تهارت و جلائهم من سدراتة بورجلان، حيث استقروا في وادي ميزاب واستعملوا كل أفكارهم التي حملوها معهم لتطوير جميع ميادين الحياة فازدهرت الفلاحة و الري والعمران وحفروا الآبار وانشؤا نظام محكم لتجميع مياه الأمطار، بالإضافة إلى الجانب الاجتماعي الذي كان يسير من طرف حلقة العزابة والذي يقود المجتمع وكان مقرها المسجد، وعرفت هذه المرحلة بالانغلاق التام حيث بدؤوا بتطبيق سياسة العزلة التامة على المجتمع الخارجي، بحيث لا يمكن لأي غريب الدخول في هذا المجتمع، وجاءت هذه السياسة لعدة أسباب دفاعية وكذلك خوفهم على مذهبهم وعاداتهم وتقاليدهم وهي الطريقة الوحيدة حسب المذهب الإباضي لحماية القيم الاجتماعية والثقافية.

1-3-العهد الثالث : الانفتاح و الازدهار التجاري بالمنطقة

دامت هذه المرحلة أربع قرون ونصف، من بداية القرن التاسع ميلادي إلى إمضاء عقد الحماية مع فرنسا سنة 1853م، في هذا العهد توسع العمران بالوادي بفضل ممارسة التجارة في "التل" وبموجب إدارة البلاد لهيئة عليا استقبلت المنطقة طوائف جديدة اجتذبهم التطور التجاري للمنطقة ومن بينهم اليهود و قبائل أخرى من جبال العمور، واستكمل تأسيس مدينة القرارة سنة1630م وبريان 1690م ولعب الميزابيون دورا متزايدا في تاريخ شمال إفريقيا.

[2] – إبراهيم بن بن بكير بحاز،2005:"أوضاع وادي مزاب في القرن التاسع الهجري"، الجلسة العلمية الأولى للأيام الدراسية العلمية، ،الصادرة عن مؤسسة الشيخ عمي سعيد،ص2.

[3]–يوسف بن بكير الحاج سعيد،1992: تاريخ بني مزاب"دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية– المطبعة العربية 11نهج طالبي أحمد غرداية، ص 11.

1-4-العهد الرابع : الغزو الاستعماري

ودامت هذه المرحلة حوالي قرن (من1853الى 1962م.) حيث امتازت بفقدان الميزاب لاستقلالهم السياسي تدريجيا ومقاومتهم الاستعمار والدفاع عن الشخصية الميزابية والمطالبة باحترام بنود المعاهدة والحماية، وعندها تأثر بنو مزاب بالثقافة الغربية والأحداث التي ساهم في إشعالها المستعمر، حيث عمـد إلى تقليص دور الهيئات العرفية المتعارف عليها وإخضاعها إلى النصوص الرسمية، فلعب حينها بنو مزاب دورا تاريخيا في الكفاح واسترجاع السيادة. حيث باشرت السلطة الفرنسية بطمس الهوية المحلية من خلال تشويه نظم التعليم التقليدية، وتعويضها بمؤسسات ونظم على النمط الغربي الذي أصبح مع مرور الوقت يحاكي ويصارع النمط المحلي في البقاء.

2-المسار التاريخي لاستقرار بني مزاب بالمنطقة:

من المعروف أن من قبائل البربر "الزناتية" عمرت المنطقة، خاصة قبيلة "بني مصعب" التي ينحدر أصلها من قبائل "زناتة"، الذي تقلب في مشارق الأرض ومغاربها بغرض الاستقرار. قد تعرض "ابن خلدون" بالحديث عن أصلها وقصورها والمناطق الجغرافية التي تقلب بها قبائل الزناتة. ومع مرور الوقت أعتنق بني مصعب المذهب الإباضي[4]، فاستقر المذهب أولا عند قبائل البربر في منطقة طرابلس في جبل نفوسة، ثم انتقل المذهب إلى "تونس" وبالتحديد مدينة القيروان التي كان يرأسها "عبد الرحمن بن رستم".

و بعد هجرة "عبد الرحمن بن رستم" و ابنه "عبد الوهاب" إلى غرب الجزائر وبالتحديد إلى تاهرت سنة 160 هـ، أقاموا الدولة الرستمية في شمال إفريقيا، و امتد نفوذ الدولة الرستمية عندما بلغت قمة مجدها إلى كل من تلمسان في الغرب، والجنوب إلى واحات وادي أريغ و ورقلة، وفي الشرق إلى جنوب تونس وقفصة و توزر و جزيرة جربة وكل منطقة طرابلس.

بعد انقراض الدولة الرستمية وانهزامها على يـد "عبد الله الشيعي" سنة 909 هـ. التجأ حينئذ آخر إمام رستمي بتاهرت مع أسرته أبـرز العلماء الإباضية إلى سدراتة، الواقعة قرب واحة "ورقلة" فارين من اضطهاد الفاطميين المحافظين، وحينها تركوا حالة الظهور التي تمارس فيها الإمامة جميع سلطاتها السياسية والدينية، وعادوا إلى حالة الكتمان التي كانوا عليها من قبل.

بعد ما عرفت سدرا ته[5] في القرن العاشر والقرن الحادي عشر ازدهـارا حضاريا كبيرا، أخذت تتلاشى فيما بعد مع مرور الزمن حتى انهـارت مع سنة 1274م. حينها قرر الإباضيون البحث عن مكان جديد

---

[4]- المذهب الإباضي مذهب يعتمد على الكتاب والسنة وقد نشأ في البصرة بالعراق، حيث تأسس المذهب الإباضي على يد الإمام جابر بن زيد وعبد الله بن ،إباض الذي سمي المذهب باسمه. للمزيد أنظر: 1-إبراهيم بن بن بكير بحاز،2005:"أوضاع وادي مزاب في القرن التاسع الهجري"، الجلسة العلمية الأولى للأيام الدراسية العلمية، ،الصادرة عن مؤسسة الشيخ عمي سعيد. 2- SALHI M.B.,2006 : « Société et religion en Algérie au XXe siècle : le réformisme ibadhite, entre modernisation et conservation », *Insaniyat N°*, 31,pp 33-61.

[5]-سدراتة: اسم لقبيلة بربرية، ويطلق كذلك على القبيلة النفوسية، أنظر كتاب ابن خلدون ،كتاب العبر جزء السادس،ص235.

للعمران، وبعد البحث والاستقصاء استقر بهم الأمر بالنزوح إلى *بلاد الشبكة*[6] والاستقرار بوادي ميزاب ، أين أنشأوا مدنا و هـي : العطـف ، بنـورة ، غردايـة ، مليكـة، وبني يزّقـن. ، ثم أقاموا بعدها مدن أخرى و هـي : القـرارة وبريــان، وبذلك أصبح واد مزاب ملجأ حصين للإباضين.

3- تأسيس مدن واد ميزاب:

إن أبنية نظام القصور بوادي ميزاب لم يكن إنشاء اعتباطاً، وإنما صدر عن أمر حضاري محكم جدا يتجلى في قيامه على أساس فكري والذي أوجد بدوره تقاليد اجتماعية عمرانية ومعمارية يرجع إليها الفرد كلما دعته الضرورة لذلك.

وهنا لعب المذهب الإباضي، ركيزة أساسية في تكوين المجتمع الميزابي وبناء مدنه المنتشرة في وادي ميزاب وقد ساعد على تكوين نمط فكري ومعيشي مميزا كما ساعد على إعطاء نمط معين لتملك المجال في إطار التصور الاجتماعي الثقافي والسياسي الساري المفعول[7].

في الأصل كانت منطقة وادي ميزاب ملجأ متواضع، بعد سقوط الدولة الرستمية وبغرض الحفاظ على الهوية والأفكار الاباضية. فكان نمط العيش بالمنطقة على شكل تجمعات مغلقة متمثلة في خمسة تجمعات مشكلة لمدن وادي ميزاب.

وتعد مدينة العطف أم القرى الميزابية، أول نواة عمرانية أقيمت بوادي ميزاب وهي أقدم مدن ميزاب الحالية أنشأها "خليفة بن أبغور" عام 1012م والذي يعني اسمها الأرض المنخفضة، حيث أقيمت في أقصى شرق الواد وتعد من أقدم القصور الخمس بالمنطقة، ثم تلاه قصر بنورة الذي أسس عام 1046م على جبل متقطع على الهضبة بضفة الوادي، ثم تلاه قصر غرداية الذي يعني الأرض المستصلحة الواقعة على ضفة مجرى الوادي أسس عام 1053م على قمة تلة كلسية متقطعة عن الهضبة شبيهة بالجزيرة وقد رُوعي في اختيار موقعها كجانب الدفاع والحماية من العدو.

وبعد ذلك تأسس قصر مليكة عام 1124م على قمة تلة أكثر ارتفاعا على الضفة اليسرى من وادي، وبعد قرنين ونصف تقريبا تبعه تأسيس قصر بني يزقن عام 1347م، وهي أخر المدن الخمس الحالية على وادي ميزاب.(أنظر خريطة رقم 02).

[6] - بلاد الشبكة المحددة شمالا بوادي بُوزبيّر،وغربا وادي زرقونْ،وتمتدّ شرقا فتشمل زلفانة والقرارة، وتختلط جنوبا مع بلاد الشعانبة.أنظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد ،2011:الهوية المزابية،المطبعة العربية ص 12.

[7] - ADAD M.C., 2008: La participation de la population à son Habitat-Cas d'un Nouveau Ksar au M'zab, Sciences & Technologie D – n°28, pp. 67-76.

خـريطة رقم 02: مـــــوقع مـــــدن وادي ميـــــزاب

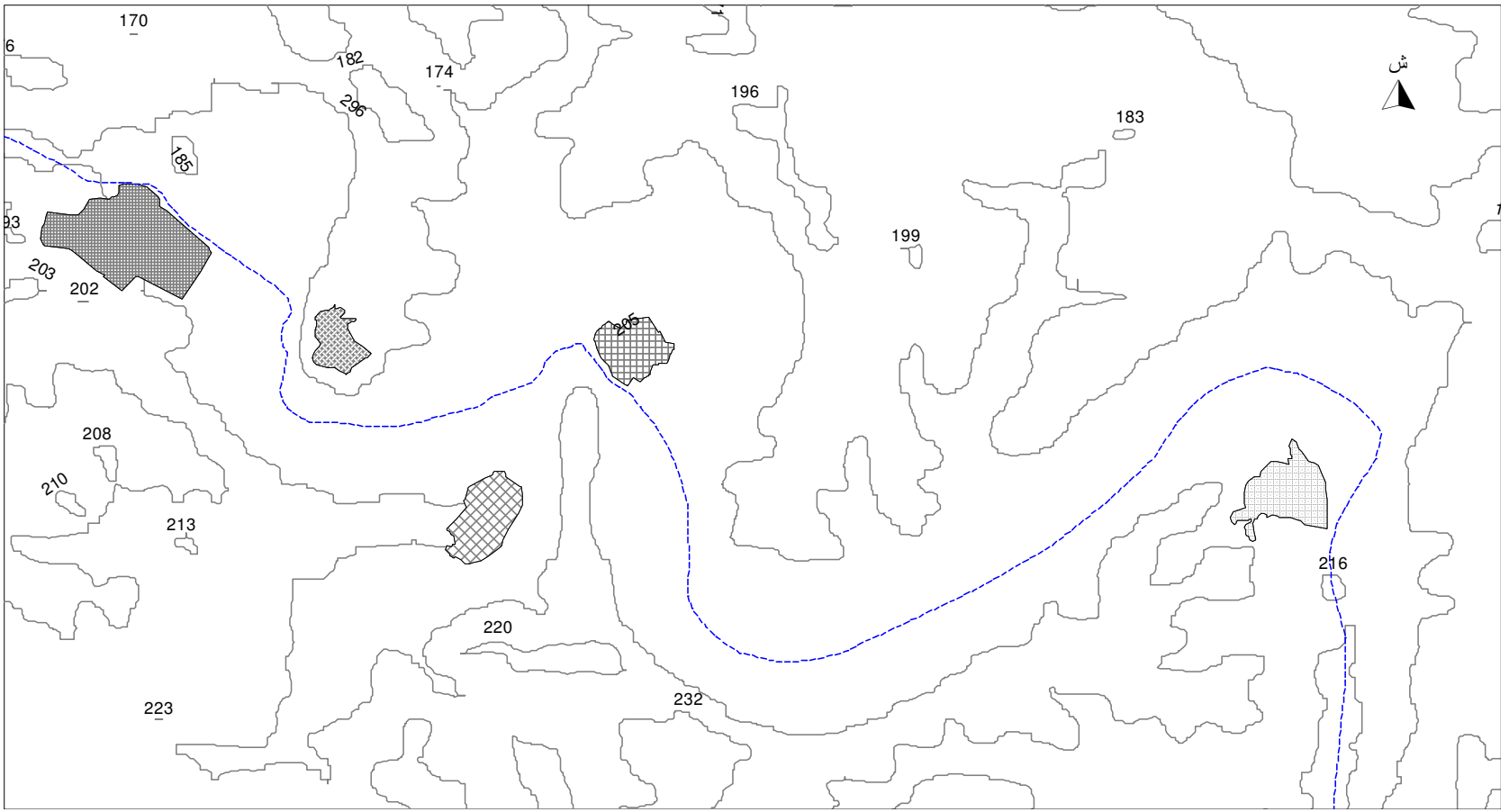

إعـداد:عدون الطيب،بالإعتماد على Image DEM

4- المميزات الطبيعية:

قبل الغوص في هذا البحث لا بدا من إعطاء لمحة عن الخصوصية الطبيعية للمنطقة، كونها عاملا مؤثراعلى الحياة البشرية بصفة عامة. لذا فان الإطلالة على العوامل الطبيعية للمنطقة تعتبر مدخل ضروريا من أجل فهم واسع لمجالها. وإن دراسة أي مجال جغرافي يتطلب توضيح الموقع والموضع، والأسباب التي ساهمت في تشكيله.

4-2-تقديم عام لولاية غرداية :

ظهرت ولاية غرداية عقب التقسيم الإداري للبلاد حسب القانون رقم 84-09 المؤرخ في 1984/02/04م حيث ضمت سابقاً إلى ولاية الواحات (ورقلة حاليا)، بعد ما كانت المركز الهام للمقاطعات الجنوبية في العهد الفرنسي[8]، ثم إحدى دوائر ولاية الأغواط في 1974.

يحدها شمالاً ولاية الأغواط، التي تبعد عنها بحوالي 200كلم، ومن الشمال الشرقي ولاية الجلفة، التي تبعد عنها بحوالي 300كلم أما من الشرق ولاية ورقلة، التي تبعد عنها بحوالي 200كلم أما غربا ولايتي أدرار والبيض تبعدان عنها على التوالي بمسافة680 كم و 350 كم. ومن ناحية الجنوب فتحدها ولاية تمنراست، التي تبعد عنها بحوالي 1470كلم. تقع ولاية غرداية شمال صحراء الجزائر حيث تحتل موقعا استراتيجيا هاما يمثل بوابة الصحراء بتوسطها شقها الشمالي. مساحتها الإجمالية تقدر بـ 86105كلم^2 امتدادها من الشمال إلى الجنوب 450 كلم ومن الشرق إلى الغرب من 200 كلم إلى 250 كلم، يعبرها الطريق الوطني رقم01 المسمى طريق الوحدة الإفريقية، الذي يربط العاصمة بولاية تمنراست. حيث تتفرع الولاية إداريا إلى 9 دوائر وتشتمل على 13 بلدية، ويقدر عدد سكانها بـ 363598 ن سنة 2008م، وكثافة سكانية 4.29 ساكن/كلم^2.

ويتيح لها موقعها دوراً محورياً في قلب الصحراء والمدن المجاورة باعتبارها منطقة عبور هامة تربط العديد من المناطق عبر شبكة من الطرق الوطنية، حيث يربطها بمدن الشمال والجنوب الطريق الوطني رقم 01، وبمدينة ورقلة الطريق الوطني رقم 49، وبمدينة تيميمون الطريق الوطني رقم 51.

و أما فلكياً تقع ولاية غرداية في شمال الصحراء الجزائرية، بين خطي عرض (80° 32) و(20° 32)، وخطي الطول (40° 2) و(50° 2)، وشرق خط غرينتش. وبالضبط في خط الزوال المار على الجزائر العاصمة، ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر يقدر بحوالي: 468م.

[8] – مقاطعات الجنوب منها مقاطعة غرداية التي كانت تضم كل من بلدية: غرداية، المنيعة، الاغواط والجلفة أثناء العهد الاستعماري.

4-1-الموقع المتميز لمدينة غرداية:

تعتبر مدينة غرداية من المدن الصحراوية الواقعة ضمن إقليم الجنوب الشرقي لأقاليم الوطن، فهي تقع بين حوضي المحروقات (حاسي مسعود- حاسي الرمل). أين يمثل هذا الإقليم من أغنى الأقاليم من حيث الموارد الطبيعية، وأكثـر حظاً من حيث عملية التنمية مقارنة بإقليم الجنوب الغربـي. حيث عرف تحولاً عميقاً بحكم تـدخل المستعمر في المنطقـة وحرسه على تحطيم الأسس الاقتصـاد الصحـراوي الـذي كان يعتمد علـى القوافل التجارية، مما انعكس ذلك سلباً على النظام الاقتصادي التقليـدي السائد بالمنطقة.

وعلى أساس هذا انطلق المستعمر كوهلة أولـى في رسـم الطرق لبسط سيطرته على المنطقة بتقريب المسافات وفك العزلة على المناطق المحرومة، وبدأت تدب حركة الاستقرار الإجباري للبدو الرحل.

وبعدها باشرت فرنسا في الفترة الممتدة مـن 1954إلى 1956 في تجسيد مخططها الاستعماري بالتنقيب والاستكشافات في الكنوز الصحراوية، أين وضعت هياكل حديثة لهذا الغرض منها إنشاء مكتب البحوث البترولية (BRP) 30أفريل 1946.

في هذه الفترة دخلت فرنسا في مرحلة الاستغلال الفعلي للطبقات الجوفية سنة 1949 بالمنطقة المجاورة لغرداية، والمتمثلة في بئر ارتوازي بمنطقة واد النومر التابع اليوم إلى بلدية زلفانة التي تبعد عنها حوالي 20كلم، أين كانت المنطقة قبـل عمرانها عبارة عـن واحـة للقاء وعبور مختلف القوافل التجارية ذات الاتجاهات المختلفة،باعتبارها المسلك الوحيد الرابط بين الجنوب الشرقي والغربي والوسط.

وعلى إثر هذا تبعه اكتشافا هاما عام 1956بمنطقة حاسي مسعود، مما دفع بالسلطة العليا في البلد آنذاك إلى وضع هياكل وتجهيزات تسمح باستغلال هذه الموارد الهامة.

و من هذا المنطلق مدينة غرداية ضمن جزء من هذا الإقليم تتميز بموقع استراتيجي بدرجة أولى فهي تربط بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب، كما تمتلك الولاية موارد أولية باطنية وفوق السطح يرشحها أن تكون قطب استقطاب بامتياز.

4-3- موقع منطقة وادي مزاب:

واد مزاب أو بلاد الشبكة[9]، يطلق هذا الاسم على هضبة صخرية كلسية تقع شمالي صحراء وتمتاز عن بقية المناطق المجاورة لها بطبيعتها القاسية. حيث نجدها في تقاطع خط العرض الشمالي 32°30، وخط الطول الشرقي 3°45، فهي صحراء ضمن صحراء. سميت كذلك لأنها تتخللها أودية عديدة لا يتجاوز عمقها مائة متر تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، لتنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب ورقلة[10]، مساحة بلاد الشبكة حوالي ثمانية وثلاثين ألف كيلومتر مربع، يحدها شمالا بريان ومن الجنوب متليلي أما من الغرب ولاية الأغواط وشرقا بلدية القرارة وزلفانة.

[9] - الشبكة : هي كلمة التي تطلق على المنطقة حسب الشكل الذي تتصف به شعاب المنطقة.

[10]- يوسف بن بكير الحاج سعيد،1992: تاريخ بني مزاب،المطبعة العربية غرداية،ص9.

الخريطة رقم:03 الموقع الإداري لبلديات وادي ميـــــــزاب

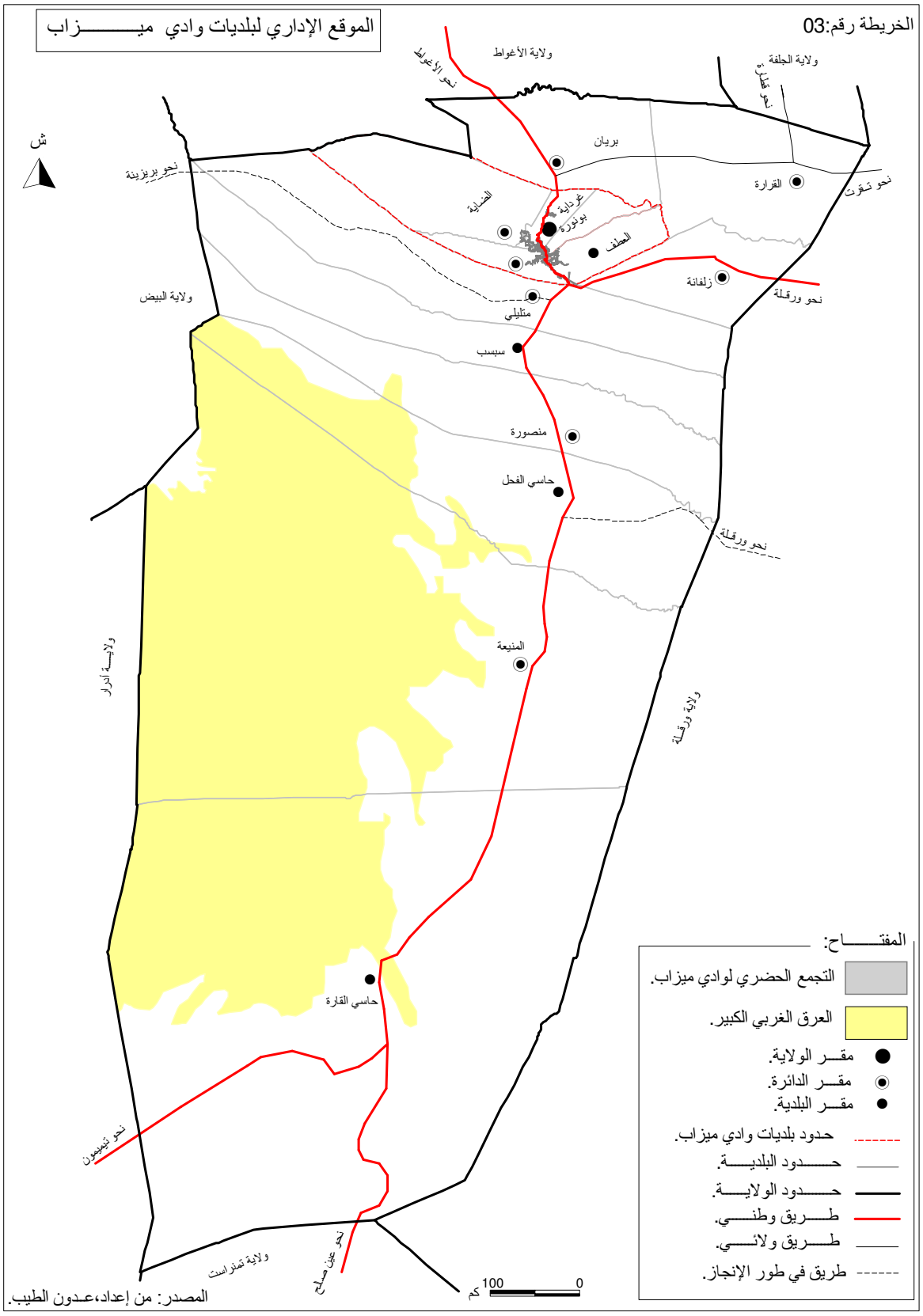

المصدر: من إعداد،عـدون الطيب.

تعتبر منطقة وادي مزاب أكبر تجمع حضري على مستوى الجزء الشمالي الغربي لولاية غرداية، يضم وادي مزاب أربع بلديات نجد في الوسط كل من: غرداية و بنورة، وفي الشمال بلدية الضاية بن ضحوة، ثم العطف في الجنوب مركزها الحالي مدينة غرداية التي تمثل المدينة المركز الاقتصادي والإداري للولاية بحكم موقعها في سهل وادي ميزاب، فقد أكسبها خصائص طبيعية فريدة عن باقي المدن الصحراوية، و تعتبر منطقة عبور هامة تربط العديد من المناطق الصحراوية.

ولذلك سوف نركز على التجمع الحضري لوادي ميزاب، أين تشكل بلديات العطف،بنورة ،الضاية مع بلدية غرداية ما يعرف بالمجمعة الغرداوية حسب المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير(PDUA) الموحدة للبلديات الأربعة لمنطقة وادي ميزاب لسنة 1992.

وأما التجمعات الحضرية الجديدة التي هي قيد الدراسة (واد نشو، بوهراوة ، تافيلالت ،النوميرات) من حيث حدودها وتوزيعها الجغرافي كما هو مبين في الخريطة رقم 04 تقع خارج نطاق مجرى واد ميزاب فهي تتواجد في محيط مجمعة وادي ميزاب أو خارج نطاق التجمع الحضري لوادي ميزاب.

- **واد نشو**(مجمعة ثانوية حديثة): تقع على بعد 17 كلم من مدينة غرداية في الجزء الشمالي للمدينة، جاءت كتوسع للمدينة على المدى الطويل، حيث كانت كمشروع مقترح من قبل السلطات العمومية آنذاك، و أنجز على إثر الطلب المتزايد للسكنات بالبلدية، و جاء من أجل الحد من مشكل السكن والحفاظ على ما تبقى من تدهور الواحة.

- **فبوهراوة**(مجمعة ثانوية حديثة مندمجة مع المدينة الأم):التي رشحت كمجمعة ثانوية منذو 1998، وبحكم موقعها خارج وادي في الناحية الشمالية للمدينة، بالإضافة إلى التجهيزات الموجودة بها التي تعتبر مكملة للمدينة، وتعطـــي كذلك تواصل بين المجمعة والبلدية مع زيــادة العلاقة بينهما باقتراح مجموعة من التجهيزات تكون رابــطا وظيفــيا مع المدينة والمحيط المجاور، كما أنها تعتبر مخزون عقاري لسد الاحتياجات العقارية للبلدية غرداية على المدى القريب والمتوسط.

- أما **قصر تافيلالت**: من الناحية الجغرافية يقع جنوب شرق من قصر بني يزقن حيث يحدها شمالا كل من قصر" تينميرين "وحـــي"مومو"، ومن الجنوب المنطقة الصناعية بنورة، من الشرق منحدرات، ومن الغرب واحة بني يزقن. حيث أنشأ فوق صخرة منبسطة من أجل حماية المحيط الهش وما تبقى من الواحة مع أرض صخرية ذات انحدار 12 إلى 15%.

- وأما **النوميرات**(منطقة مبعثرة): تقع على المدخل الجنوبي لمدينة غرداية وتبعد عنها حوالي 12كلم، تتميز هذه المنطقة بالانبساط وقلة الانحدارات والواقعة على حدود بلديتين(العطف وبنورة) ويفصل بينهما الطريق الوطني رقم01، واليوم تمثل سرح علمي وثقافي بامتياز لاحتوائها على العديد من المراكز والمعاهد (جامعة، مركز البحث في الطاقة المتجددة،مركز التكوين المهني وغيرها....).

خريطـة رقـم 04: حـــدود التجمعـات الحضــرية الجديــدة ضــمن المجمــع الحضــري لــوادي مــيزاب.

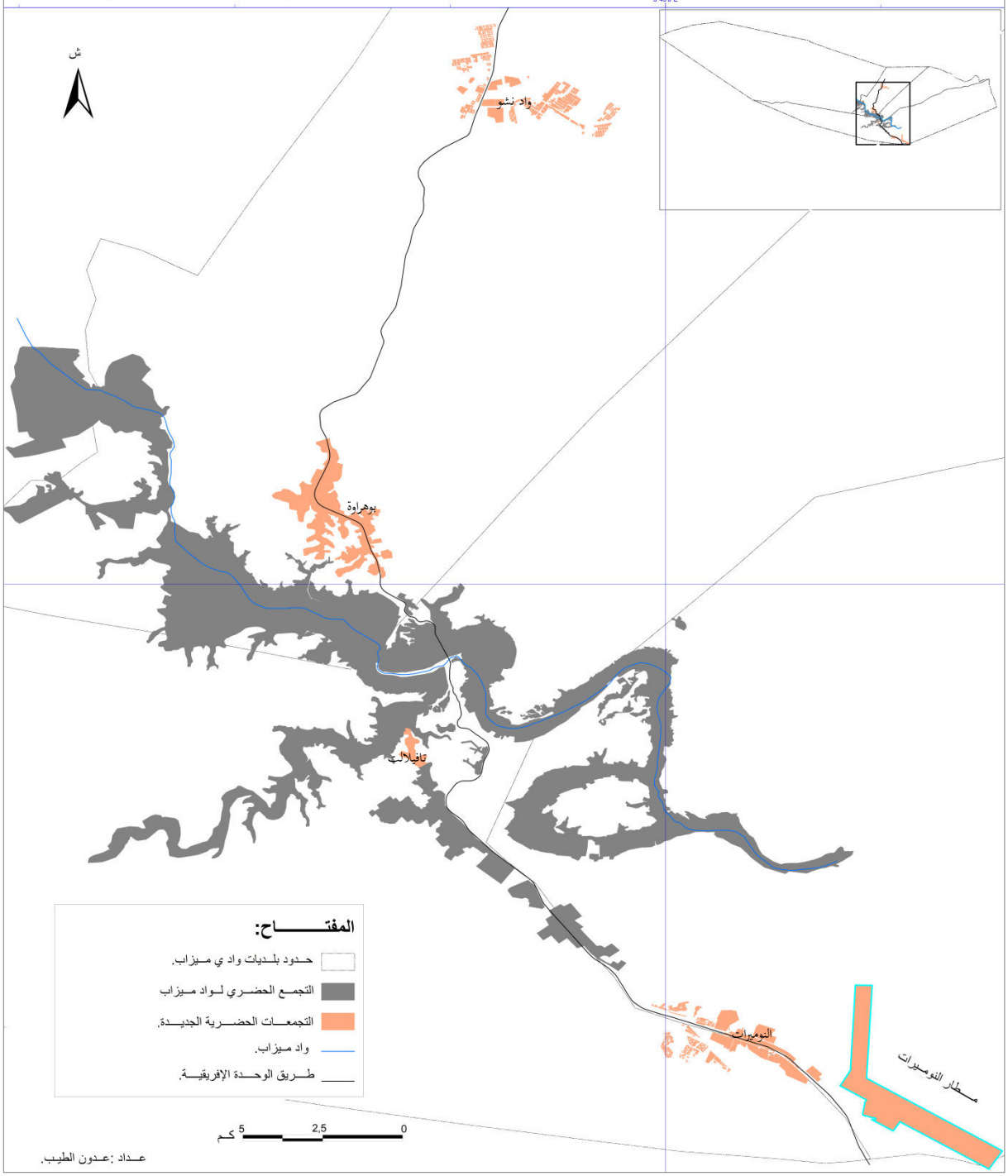

4-4-الخصائص الطبوغرافية للمنطقة ومعالجة معطيات المجال الطبيعي.

يعد المجال الطبيعي الوسط الذي تجرى عليه جميع تدخلات الإنسان، منذ بداية تواجده على سطح الأرض، ومنه يستمد حاجياته وتحكم العلاقة بينهما مجموعة من الضوابط والعوامل البسيطة والمعقدة تحدد توزيع السكان والأنشطة على المجال، وهذا ما نحاول دراسته في هذا العنصر لفهم تأثير الوسط الطبيعي على توزيع السكان، الثروات، مشاريع التنمية على المستوى المحلي التي تتميز بالتنوع والاختلاف في إمكانيات الوسط الطوبوغرافي، وهذا بغرض جعله نموذج مثالي للمجال وباعتباره رهان يفرض على أصحاب القرار مجابهته.

4-4-1-الطوبوغرافيا وتفاصيل ملامح السطح:

تعد الطبوغرافية مؤشر مهم في تشكيل الوحدات الحضرية في أي منطقة، إذ تعكس صورة لأوجه الشبه والاختلاف فيها، ولأشكال السطح تأثير كبير في النشاط البشري وتطوره، خاصة ما تعلق بالنشاط الاقتصادي، وتعد المناطق المتموضعة في قاع الأودية أكثر الأشكال التي لا تلائم النشاط البشري.

وعليه سنعتمد في دراسة هذا العنصر بشكل أساسي على دراسة النموذج الرقمي لـــلأرض، صور المركبات الفضائية (DEM)[11] حيث يتم تحليلها باستعمال تقنية التحليل المكاني، وتعد هذه الأخيرة مجموعة من الإجراءات لمعالجة المعلومات التي تصف المجال للوصول في نهاية المطاف لفهم التوزيع المجالي للظواهر الجغرافية والعمليات التي تحدث في المجال.

فالنموذج الرقمي للارتفاعات لتجمع وادي ميزاب، كما هو موضح في الشكل 01 تمثل مجموعة من نقاط الارتفاعات للمنطقة المعرفة ضمن المستوى الفضائي لثلاثة محاور(X,Y,Z)، واستمرار وتواصل هذه النقاط تشكل تضاريس مظهر سطح الأرض .

[11]- DEM : Digital Elévation Model. (نموذج الارتفاع الرقمي)

شكل رقم 01:النموذج الرقمي للأرض (MNT)[12] لمنطقة وادي ميزاب.

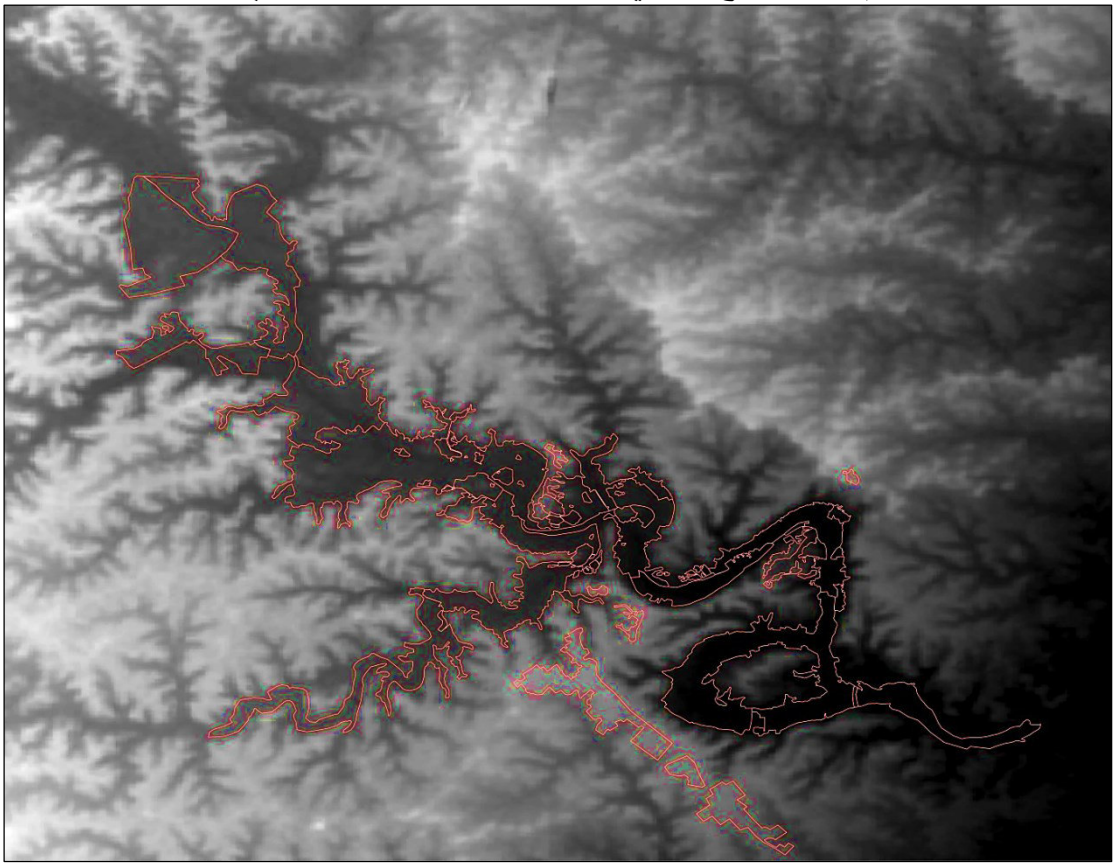

المصدر: من إعداد الطالب،إعتمادا على (Image DEM) .
ASTGTM_N32E003_dem.

فمن خصائص نموذج الارتفاعات التي جرى عليها العمل تستعمل عادة في الدراسات الطبوغرافية، والتطبيقات الهيـــدرولوجية، باعتبار أن سطح الأرض يحـــدد حـركة المياه وجريانها على سطح الأرض فيتم على إثرها تحديد الارتفاعات، الانحدارات وحدود الأحواض السفحية من عمق وطول ومساحة إضافة إلى الشكل بأكثر دقة وسهولة، وهذا كله من خلال مجموعة من التحليلات المكانية (Analyse spatiale) التي بدورها تساهم في إنشاء قاعدة من المعطيات لدى الباحث وتساهم بقسط أكبر في اتخاذ القرار.

على سبيل المثال الخرائط الطبوغرافية، تتم عن طريق تحويل معلومات خطوط الكونتور أو نقاط الارتفاعات بعملية الترقيم (Digitalisation) لصورة المنطقة مراد دراستها، وهذه العملية محدودة الدقة وغير مكلفة.

[12] -*M .N.T : Modèle numérique de terrain.*

خريطة رقم 05: طبـــوغـــرافية منطقـــــة وادي ميـــــــــزاب.

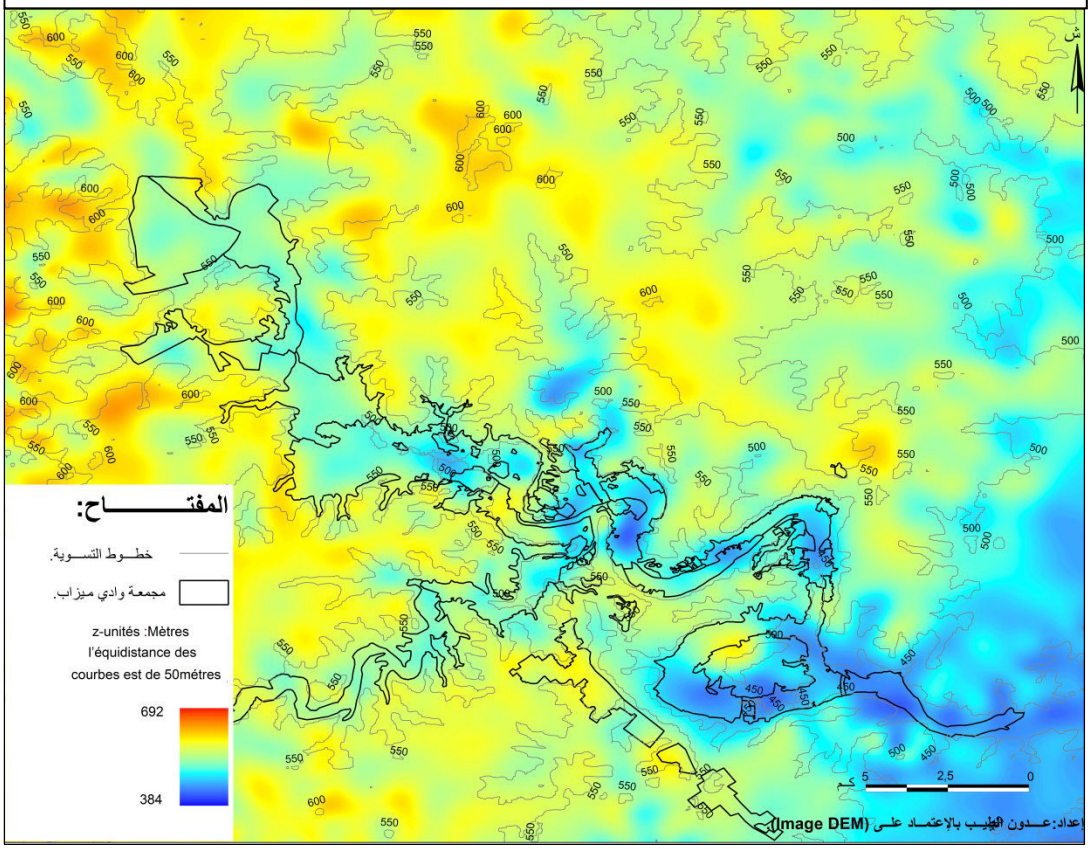

خريطة رقم 06: مجسم يبـــــــين ســـطح منطقـــــة وادي ميـــزاب.

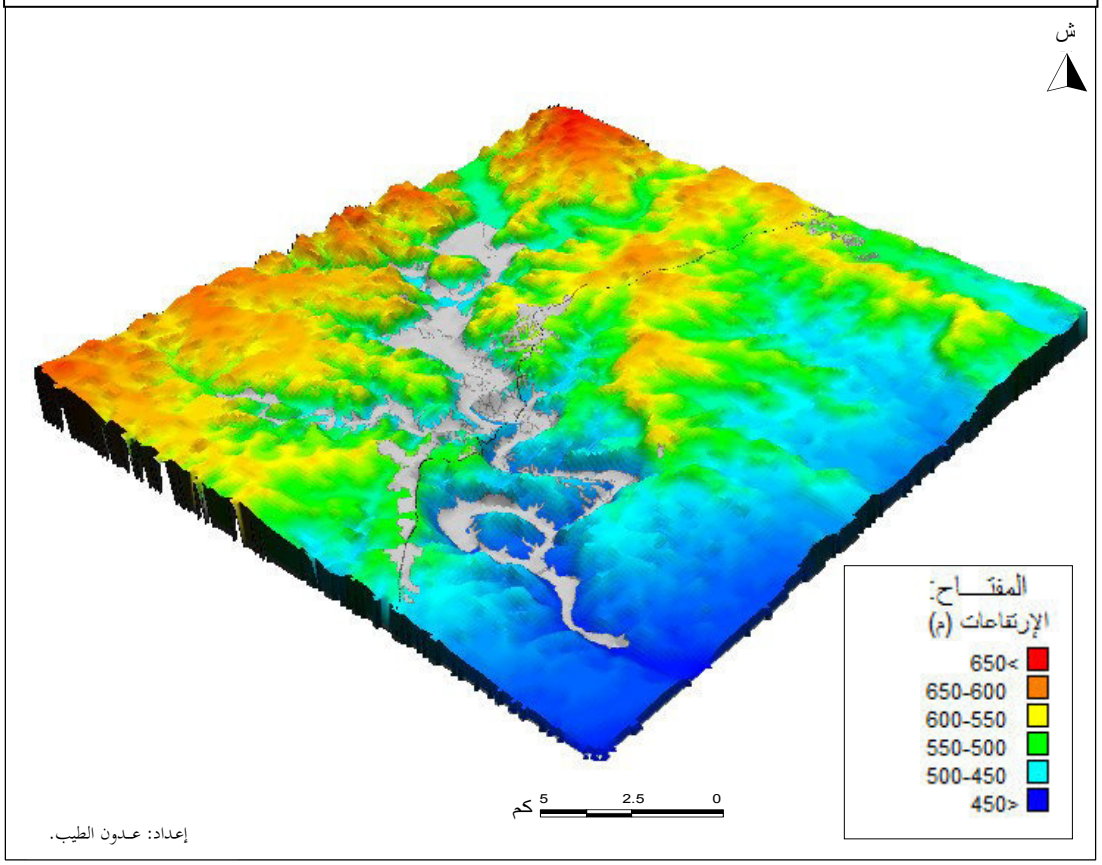

من الناحية الطبوغرافية يعتبر سهل واد ميزاب كوحدة طبوغرافية مميزة في وسط صحراوي، يتموضع على هضبة بمثابة منطقة صخرية تمتد نحو الشمال إلى غاية مدينة الاغواط ذات ارتفاع يتراوح بين 450م و 500م، كما أنها تمتاز بانحدارات ضعيفة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي والذي يزداد تضاريسياً نحو الجنوب أين تمتد ضمنه منطقة وادي ميزاب.

وعلى العموم تتواجد مدينة غرداية على هضبة صخرية كلسية تتخللها الشعاب وأودية صغيرة تتجمع مع بعضها البعض، مشكلة واداً رئيسياً وتصب جميعاً في واد ميزاب الذي يخترق سهول ضيقة اتخذها السكان كواحات، و تتموضع على أرض صعبة التعمير عدا بعض المناطق يحدها طبيعيا سلاسل جبلية ارتفاعها بين (300م - 800م) لذلك يصعب إعمارها والتأقلم معها، و لا يمكن للمدينة أن تتوسع ضمنها.

4-4-2- توزيع الارتفاعات:

تكتسي معرفة مستوى الارتفاعات أهمية بالغة، وعلى وجه الخصوص إذا كانت كمنطقة وادي ميزاب، التي تحتاج إلى تصحيح وإعادة النظر لموضعها، كما تعتبر الارتفاعات إما عاملا مساعدا للنشاط البشري وامتداد التعمير، أو عاملا طاردا أو جاذبا في حقيقة التعمير، فمنطقة وادي ميزاب المطوقة بمجموعة جبلية صخرية، تأثرت بشكل أساسي في استغلال المجال ونمط التعمير والامتداد العمراني، حيث تصنف المنطقة من حيث مظهر السطح إلى منطقة الأودية، ومنطقة سهلية متمثلة في واحات النخيل، ومنطقة جبلية كلسية، كما نلاحظ ذلك في الخريطة رقم 07:

4-4-2-1- وادي مزاب (Vallée du M'zab) :

والذي يجري من الغرب نحو الشرق من منطقة بوتمرويلة جنوب الاغواط على ارتفاع يقدر بـ 107م ويصب في مصب طبيعي الذي هو سبخة الصفيون في شمال ورقلة، تقطعه أربع أودية (وادي زقرير،وادي نسا، وادي متليلي ووادي سبسب) والتي تجري بهضاب الضاية والظهير المزابي، يمتد على طول 320 كم وعرضه يتغير مابين 1الى 2 كم. ويقدر الارتفاع من الغرب بنحو700م، ثم يبدأ في الانحدار تدريجيا إلى 200م بالمنطقة، تتجمع مياه الأودية عند حوض ورقلة بالجنوب الشرقي.

4-4-2-2- منطقة سهلية:

تتمثل في واحات النخيل توجد في الأسفل، وتشغل الحيز الأكبر من مساحة المجمعة لوجود واحات النخيل المعروفة بالغابة عند أهالي المنطقة، تتصف بارتفاعات تتغير من الشرق إلى الغرب 400م إلى 600م، وكذلك بالانحدار التدريجي من الشمال الغربي نحو الجنوب ويحد هذا السهل مجموعة من الجبال الصخرية إضافة إلى مجرى واد مزاب.

خريطة رقم 07 : منطقة واد ميزاب الإرتفاعات المجسمة (3D) نموذج TIN

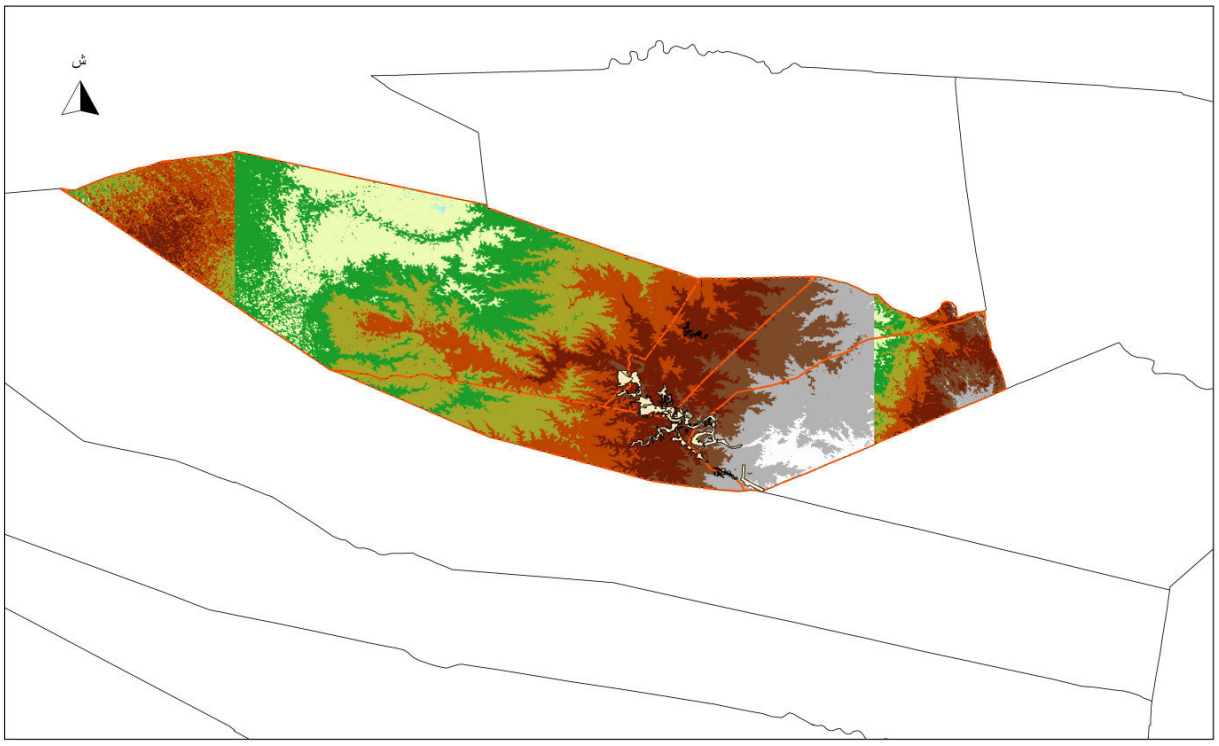

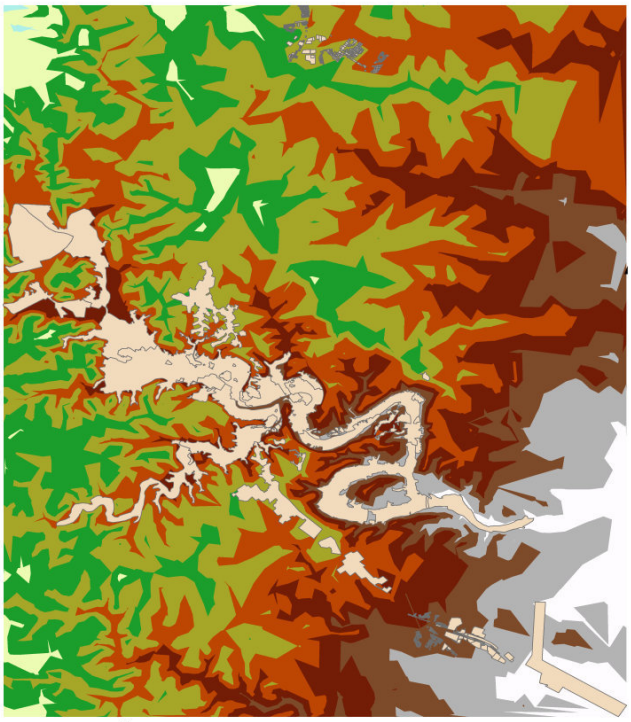

المفتاح:

مجمعة واد ميزاب
حدود بلديات واد ميزاب
حدود البلدية
الإرتفاعات
(م)
831 - 781
781 - 731
731 - 681
681 - 631
631 - 581
581 - 531
531 - 481
481 - 431

0 2,5 5 كم

المصدر: من إعداد الطالب ،إعتمادا على النموذج الرقمي للأرض،وتحليلات نموذجTIN

TIN : Triangulated Irregular Network.(شبكات المثلاثية الغير المنتظمة)

4-4-2-3- منطقة جبلية:

إن ما يحيط بجوانب المدينة سلاسل جبلية تمتد على شريطها الداخلي، حيث تتخللها مجموعة الأودية، وتتشكل أساسا من صخور كلسية صلبة شديدة الانحدار تشمل حواف الجبال. ومن خصائص هذه السلاسل الجبلية تبرز من خلالها مورفولوجية شبكة واد ميزاب.

4-4-3- توزيع الانحدارات:"سيادة الانحدار الشديد"في حدود التجمع الوادي.

تعتبر الانحدارات العائق الأول الذي يقف أمام عملية التعمير وإنجاز المشاريع، كما يعـد من أهم المميزات التي تتسم بها أي المنطقة، فهي تختلف من منطقة إلى أخرى، حسب التضاريس الموجودة بها، وتؤثر بصفة مباشرة على عمليات التخطيط، من خلال عملية التوسع العمراني، حيث تشكل عائقا في تحديد الأنماط والتكلفة الباهضة للعمران بمختلف أشكاله، فالانحدار يتحكم في نمو النسيج العمراني و موارد وإمكانيات الوسط وحركية المجال، فيؤثر على استقرار المواطنين وتوطن الأنشطة البشرية. حيث تختلف الانحدارات في مجمعة وادي ميزاب حسب الارتفاع حيث يمكن تقسيمها إلى فئات كمايلي:

4-4-3-1-فئة الانحدار الضعيف 0-3%: تسود المنطقة التي تحصر الوادي والتي تتميز بضعف الانحدار وبساطة التضاريس، وهي الأماكن الأكثر عرضة لخطر واد ميزاب، و ما يلحظ بأنها هي المنطقة التي يسود فيها استقرار البشري و حركياتهم، بالإضافة أنها اقل تكلفة لانجاز المشاريع وجزء من هاته المنطقة تغلب عليه الواحة والصالحة للطابع الزراعي، رغم ذلك يبقى الوادي أكبر عائق بها.

4-4-3-2- فئة الانحدار المتوسط 3-10%: تسود الفضاء المتواجد خارج نطاق الوادي، والتي تشمل كنموذج مناطق التوسع الجديدة، تتخللها بعض شعاب الأودية، تتميز بوجود بعض العوائق البسيطة، أين يسهل التغلب عليها وتهيئتها للاستقرار البشري، كما تمتاز بالحركة الانسيابية بالنسبة للتنقل والحركة. وتبقي من أكثر الأماكن ملائمة للاستيطان الصناعي والاقتصادي.

4-4-3-3- فئة الانحدارات القوية 10-20%: تشكل أساساً الكتل الصخرية والمرتفعات وتنعدم في ناحية الجنوب الشرقي، تعتبر هذه المناطق أكثر عزلة لغياب الطرق وصعوبة قابلية الحركة والوصول إليها، فهي مكلفة اقتصاديا، وينعدم بها نشاط الإنسان.

4-4-3-4-فئة الانحدارات القوية جدا 20-30%: مكونة مساحات صغيرة جداً في المناطق المرتفعة والقمم العالية للمرتفعات الصخرية الجبلية، وتعتبر مناطق صعب الوصول إليها.

4-4-3-5-فئة الانحدارات اكبر من 30%: تظهر بصورة عامة على صيغة نقاط بشكل شريط تشمل القمم الحادة بأكثر المناطق الجبلية ارتفاعاً ضمن سلاسل جبلية بالمنطقة.

خريطة رقم 08: توزيع الانحدارات بمنطقة وادي ميزاب.

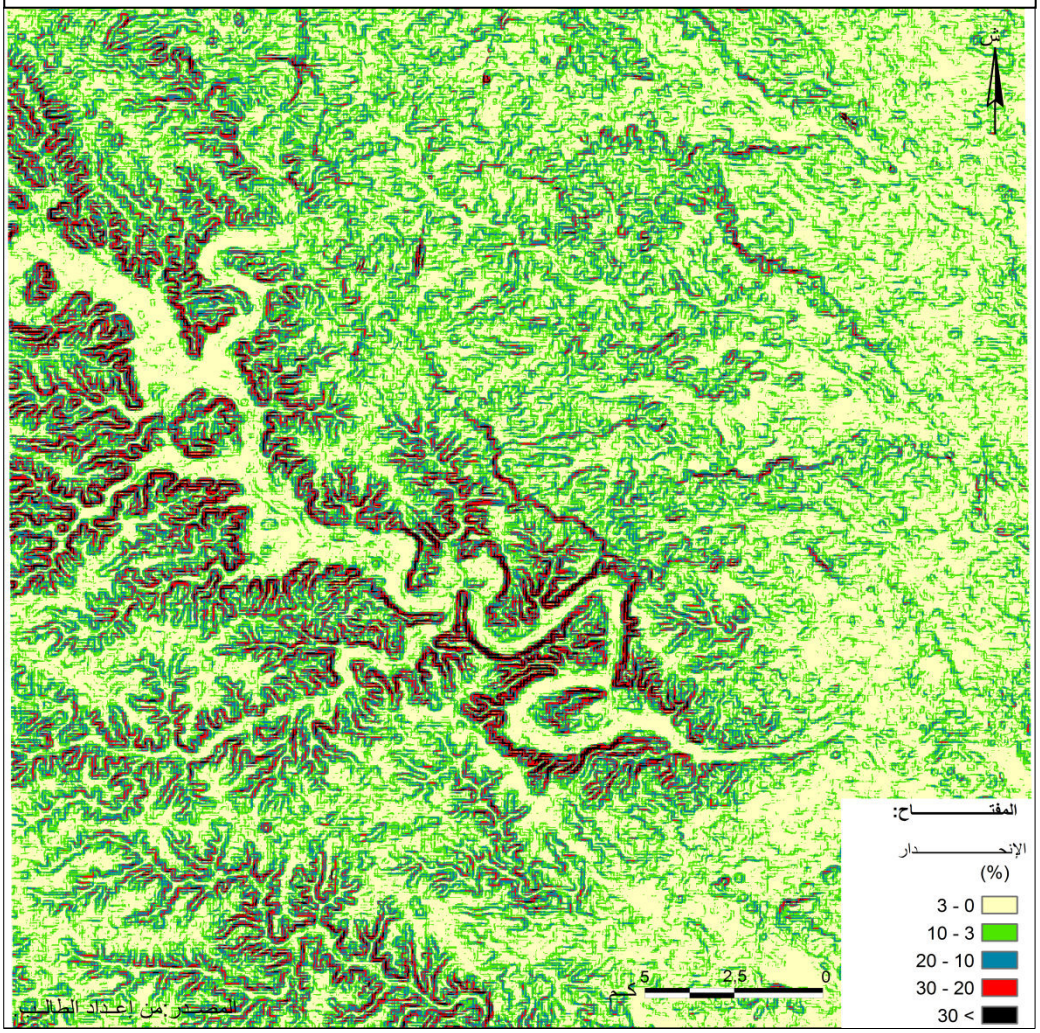

4-4-4-الشبكة الهيدروغرافية:

تعد الإمكانيات المائية لأي منطقة ما عنصراً مهما وركيزة أساسية من ركائز التنمية، فالمصادر المائية وسيلة من وسائل الحياة ومادة ضرورية لقيام نشاط اقتصادي أو زراعي أو عمراني. تتميز معظم الأودية في منطقة وادي ميزاب بالجريان غير منتظم نتيجة التباينات الميكرو-مناخ، عناصر المناخ والطوبوغرافيا، ولكنها جافة خلال أغلب فترات السنة وهذا بسبب قلة التساقط، إلا أنه لا يمنع من حدوث فيضانات كل ثلاثة إلى خمسة سنوات. فتؤدي شدة تضرس المنطقة وجود شبكة هيدروغرافية متشعبة، تتخللها شبكة كثيفة من الشعاب والأودية التي سميت بالضايات الخصبة، من أهم هذه الأودية نجد (واد نساء،واد زقرير،واد مزاب،واد الأبيض). وتغذي الواد الرئيسي بالمنطقة مجموعة من الشعاب التي لا تعرف أي نظام زمني لسيلانها، منها: شعبة بلغنم وشعبة إنتسا وأزويل وغيرها. فالمنطقة مشكلة من شبكة من الشعاب والأخاديد و الأودية تتقاطع فيما بينها مشكلة ما يشبه شبكة لذلك سميت المنطقة "ببلاد الشبكة" أو "شبكة وادي مزاب".

مـن هـذا المنطلق، وعبـر مراحل التحليلات المكانية لصورة الارتفاعات الرقمية توصلنا إلى خريطة رقم 09، التي توضح واقع الشبكة الهيدروغرافية لمجال الدراسة المتضمن مجموعة من الأودية الفرعية التي تصب في الواد الرئيسي لوادي ميزاب وتغذي هذه الأودية نسبة كبيرة من طبقات المياه الجوفية وواحات النخيل. إن وادي مزاب الشهير ينتمي إلى حوض الصحراء الشرقية الذي يحده شمالا جبال الأطلس الصحراوي، ومن الجنوب الغربي قورارة وتوات، ومن الجنوب الأهقار و الطاسلي ومن الشرق الحمادة الحمراء ومنطقة غدامس.

خـــريطة رقم 09: الشبكـــة الهيـــدروغرافية بمنطقـــة وادي ميـــزاب.

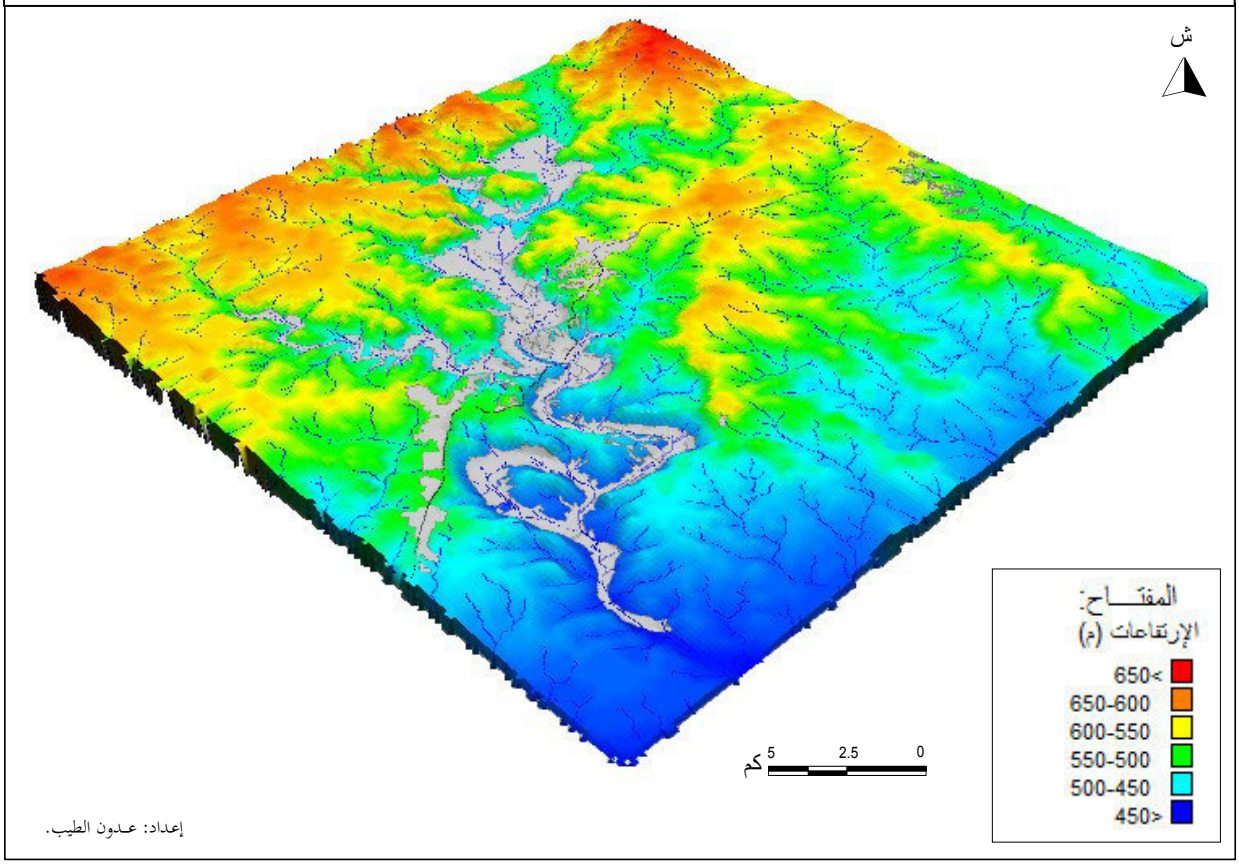

إعداد: عـدون الطيب.

5- المميزات الديمغرافية:

إذا كنا قد تعرضنا سابقا إلى بعض المميزات الطبيعية فإننا سنتعرض في هذا الجزء إلى الخصائص الديمغرافية التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة السكان، ومعالجة حجمهم وتطورهم وصفاتهم العامة. و دراسة هذه العناصر تكون بمثابة وسيلة لتهيئة المجال وإيجاد الحلول اللازمة والقريبة من الواقع التي تخدم سكان المنطقة بشكل أساسي.

5-1- تطور سكان التّجمع الحضري لوادي ميزاب:

تعتبر دراسة السكان العنصر الضروري والمحور الرئيسي الذي تدور حوله وتنبع منه الكثير من الدراسات، باعتبارها أحد المعايير الرئيسية التي سنعتمد عليها في تحليل المجمعة الحضرية "لوادي ميـزاب"، في مختلف المجالات الخاصـــة، إذا تعلق الأمـــر بموضوع التنمية الاقتصادية، الاجتماعية وكـــذا العمرانية.

وفي ما يتعلق بموضوع دراستنا وتحديدا بهذا الجانب سنركز على الحجم السكاني ودوره في تحليل الشبكة الحضرية للمنطقة وتطورها. وعلى ضوء هذا سوف نعتمـد على بعض الإحصائيات الرسمية المتعلقة بالسكن والسكان، مع العلم أن المنطقة عرفت أول إحصاء في الفترة الممتدة من (1888إلى 1926)، للمدن الخمسة المكونة لـوادي ميزاب وجاء ذلك من خـلال الدراسة التي تطرق إليها "Bousquet Christian "[13]عام 1986، عند دراسته للسكان الحضريين الجدد ببني يزقن. أين تبرز زيادة السكان باستمرار مع استقطاب المنطقة للمهاجرين من مختلف الطوائف. ولمعرفة التغيرات السكنية وتطورها اعتمدنا على التعدادات التالية حسب الجدول الموالي.

الجدول رقم 03: تطور عدد السكان بالتجمع الحضري لوادي ميزاب.

السنوات / البلديات	عدد السكان (النسمة)					معدل النمو %			
	1966	1977	1987	1998	2008	77-66	87-77	98-87	08 -98
غرداية	43802	57153	62251	87583	93423	2,70	0,86	3,15	0,65
بنورة	2687	4003	18642	27733	35405	4,07	16,63	3,68	2,47
العطف	4219	5006	8553	12656	14752	1,73	5,50	3,63	1,54
الضاية	1094	2319	5539	9110	12643	7,80	9,10	4,63	3,33
التجمع الحضري لوادي	51802	68481	94985	137082	156223	2,83	3,33	3,39	1,32

المصدر: O.N.S،(1966،1977،1987،1998،2008).

[13] - BOUSQUET C,. 1986 : Les nouveaux citadins de Beni Isguen, M'Zab (Algérie), URBAMA n° 17, Tours (tome 2), pp. 435-450.

من خلال قراءة نتائج الجدول (03) والشكل البياني رقم02 تمكنا من استخلاص أربعة مراحل هامة، تتجلى فيها بوضوح أهم النقاط التي عرفتها الديناميكية السكانية للتجمع الحضري بوادي ميزاب، مع وجود تفاوت في المؤشرات السكانية بين البلديات وتزايد سكاني مستمر، حيث تضاعف عدد سكان تجمع وادي ميزاب خلال 42سنة(1966 -2008) ما يفوق ثلاثة أضعاف عدد السكان المسجل عام 1966 .

5-1- 1- المرحلة الأولى (1966-1977):

لقد عرفت هذه المرحلة تغييرا معتبرا في وتيرة التطور السكاني حيث ارتفع الحجم السكاني سنة 1977م إلى ما يعادل 68481 نسمة وذلك بزيادة طبيعية تقدر بـ 16679 نسمة، ومعدل النمو لهذه الفترة بـ 2.83% الذي يقل عن المعدل الوطني (3.2%) حيث يمكن تفسير هاته الزيادة إلى التحول في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبني ميزاب مع ظهور الوسائل والاحتياجات الجديدة للإنتاج مرورا من الاقتصاد المرتكز على الفلاحة وتربية المواشي إلى اقتصاد مرتكز على اليد العاملة الصناعية، حيث تزامنت مع هذه الفترة إرساء الوحدات الصناعية التابعة للقطاع الخاص على مستوى المنطقة الصناعية "قار الطعام" مما أدى إلى رفع وتيرة الزيادة السكانية، وهذا جراء الإقبال الواضح لسكان التجمعات الريفية المجاورة إضافة إلى استقرار بعض الرحل داخل سهل وادي ميزاب .

5-1- 2-المرحلة الثانية (1977-1987):

شهد وادي ميزاب في هذه المرحلة زيادة نسبية في الزيادة السكانية مقارنة مع الفترة السابقة حيث بلغ عدد سكان واد ميزاب سنة 1987م حوالي 94985 نسمة بزيادة سكانية تقدر بـ 26504 نسمة و بمعدل النمو 3.33 % وهو يفوق المعدل الوطني (3.09%)، وهذا يعكس حقيقة التحولات السكانية التي عرفتها المنطقة على أساس التقسيم الإداري لسنة 1984م الذي ارتقت فيه مدينة غرداية إلى مقر الولاية.

5-1- 3- المرحلة الثالثة(1987-1998):

لقد تميزت هذه المرحلة بزيادة طبيعية معتبرة حيث بلغ عدد سكان وادي ميزاب سنة 1998م ما يعادل 137082نسمة بزيادة سكانية قدرت بحوالي42097 نسمة، و ارتفاع معدل النمو في هذا العشرية مقارنة بسابقتها حيث سجل بها معدل النمو3.39% الذي تعدى المعدل الوطني 2.13%. وترجع هذه الزيادة المعتبرة إلى سياسة تهيئة القطر التي وضعت من طرف الدولة بغرض التوازن ومحو الفوارق الجهوية، وخلق فضاءات صناعية لاستقطاب التدفق السكاني في هذه المنطقة من الجنوب الجزائري.

5-1- 4- المرحلة الرابعة (1998-2008): في هذه المرحلة عرفت المنطقة استمرارا في النمو، حيث قدر عدد السكان بـ137082 نسمة سنة 1998، وفي سنة 2008 بـ156223 نسمة، بمعدل نمو سنوي 1.32% أقل نسبيا من المعدل الوطني (1,61%). و يرجع إلى الهجرة الوافدة على أثر ما شهده سهل واد ميزاب من حركة اقتصادية تنموية مختلفة خاصة في قطاع الاشغال العمومية و ورشات البناء.

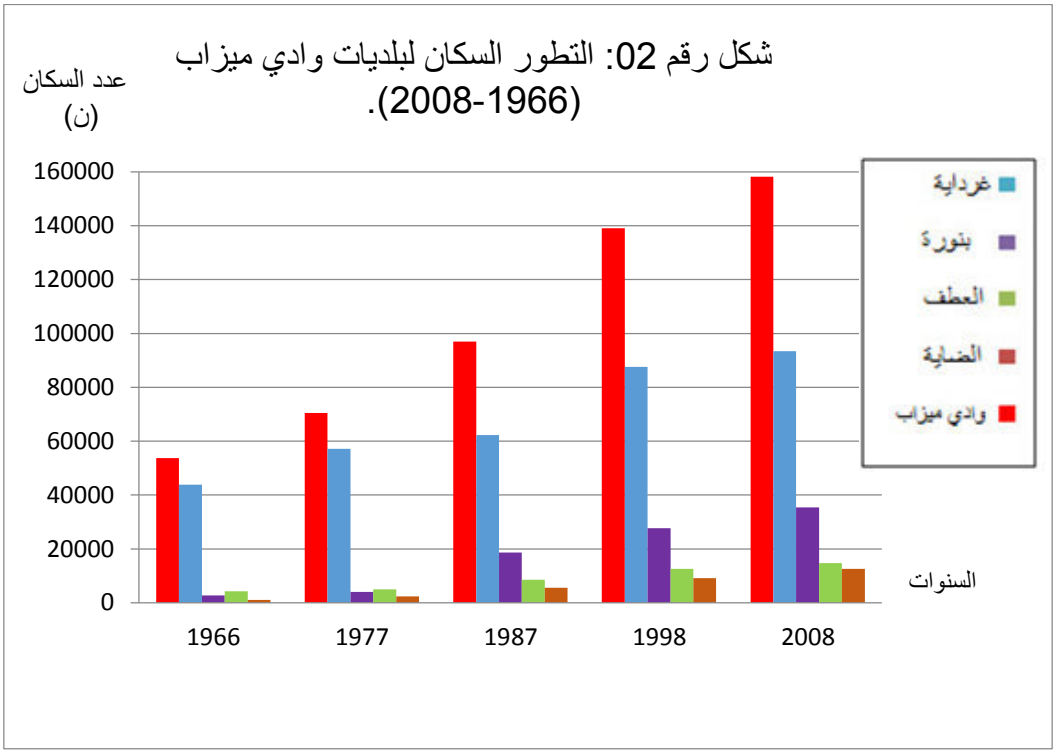

2-5-تطور الشبكة العمرانية لوادي ميزاب :

سنأخذ بعين الاعتبار عدد السكان كمقياس لتصنيف التجمعات الحضرية على مستوى التجمع الحضري لوادي ميزاب، باعتبار العوامل التاريخية والاجتماعية لعبت دورا في خلق التجمعات السكنية بالمنطقة. إن الشبكة العمرانية تعكس لنا تحركات السكان، وان الشبكة الحضرية في مضمونها مرتبطة بالهيكلة الحضرية إذ هي تسجيل جغرافي لهذا الأخير. أين يبرز تنظيم مجموعة من المدن في حدود إقليمها مع وجود علاقة قوية اقتصادية، صناعية، تجارية، وظيفية .....إلخ.

التجمعات ذات الطابع العمراني التي عرفتها المنطقة، المتمثلة في المدن الاباضية التي بنيت على المشارف المطلة على الواد، وبحكم تاريخها العمراني القديم تمكنت من التطور بشكل ملحوظ عبر فترات، و ما نشهده اليوم بالمنطقة منبثق من التحول العميق بعدما طبعت بطابع إداري ومستوى تجهيزي متواضع، وحضور معتبر للصناعة المحلية وخاصة ما تعلق بالأنابيب ومواد البناء والخردوات ، وهيمن هذا القطاع على القطاعات الأخرى.

و إن بعض البدو الرحل على مستوى وادي ميزاب في حدود 50 سنة كانوا يتمركزون بقرب نطاق الأراضي الفلاحية عبر منازل منتشرة كبديل عن الخيم، سمحت بتكوين وسط ذو ملامح أكثر وضوحاً بتشكيل تجمعات جديدة محاذية للواحة، ما سمح لها بالاستمرار و المحافظة على الطابع الفلاحي.

ومن خلال تطور سكان التجمع الحضري لوادي ميزاب سنبرز تطور الشبكة العمرانية للبلديات المشكلة لتجمع وادي ميزاب، كما هو في الجدول التالي:

الجدول رقم 4: الحجم السكاني للتجمع الحضري لوادي ميزاب خلال التعدادات السكانية (1966-2008).

الفترة / الصنف	1966	1977	1987	1998	2008
أقل من 5000	بنورة العطف الضاية	بنورة الضاية -	- - -	- - -	- - -
المجموع	3	2	-	-	-
10000-5000	- -	العطف -	العطف الضاية	الضاية -	- -
المجموع	-	1	2	1	-
20000-10000	- -	- -	بنورة -	العطف -	الضاية العطف
المجموع	-	-	1	1	2
50000-20000	غرداية	-	-	بنورة	بنورة
المجموع	1	-	-	1	1
100000-50000	-	غرداية	غرداية	غرداية	غرداية
المجموع	-	1	1	1	1
أكثر من 100000	-	-	-	-	-
المجموع	-	-	-	-	-
مجموع الوادي	4	4	4	4	4

المصدر: O.N.S+حسابات الطالب .

من خلال الجدول يتضح لنا أن جل البلديات المشكلة لمنطقة وادي ميزاب في الفترة 1966-1977 بتعداد أقل من 5000ساكن ماعدا غرداية بأقل 30000ساكن، خلال هذه الفترة لم تكن غرداية سوى دائرة من دوائر ولاية الاغواط، لكن استقطبت عددا معتبرا من السكان بفضل قصورها وموقعها الاستراتيجي، ويبرز كذلك انتقال كل البلديات من صنف إلى صنف أعلى.

فالفترة مابين 1977-1987:عرفت مدينة غرداية بفضل التقسيم الإداري 1984ترقيتها إلى صنف ولاية مع ظهور بلديات جديدة، وعرفت هذه الفترة نمو الوظائف والخدمات من حيث الحجم وظهور نشاط صناعي بالمنطقة، وارتقت جل المجمعات الريفية إلى مجمعات حضرية. وفي هذه الفترة وصلت كل من بلديتي العطف و الضاية بصف مابين 5000-10000ساكن، وهذا ما لم تشهده بلديات الوادي سابقاً.

الفترة مابين 1987-1998: عرفت هذه الفترة ترقية بعض البلديات إلى دوائر، بسبب زيادة عدد السكان وانتقال البلديات في مجملها من صنف إلى صنف أعلى، حيث انتعشت التنمية في هذه الفترة.

الفترة مابين 1998-2008: تميزت هاته الفترة بانعدام البلديات من الصنف 5000-10000ساكن، وان غرداية عاصمة وادي ميزاب لم تتعدى 100000ساكن، رغم أن هذه الفترة عرفت توجه وإرادة سياسية في إنشاء تجمعات بالمنطقة لدفع عجلة التنمية، إلا أن المدينة الأم بقيت من صنف المدن الصغيرة لوادي ميزاب.

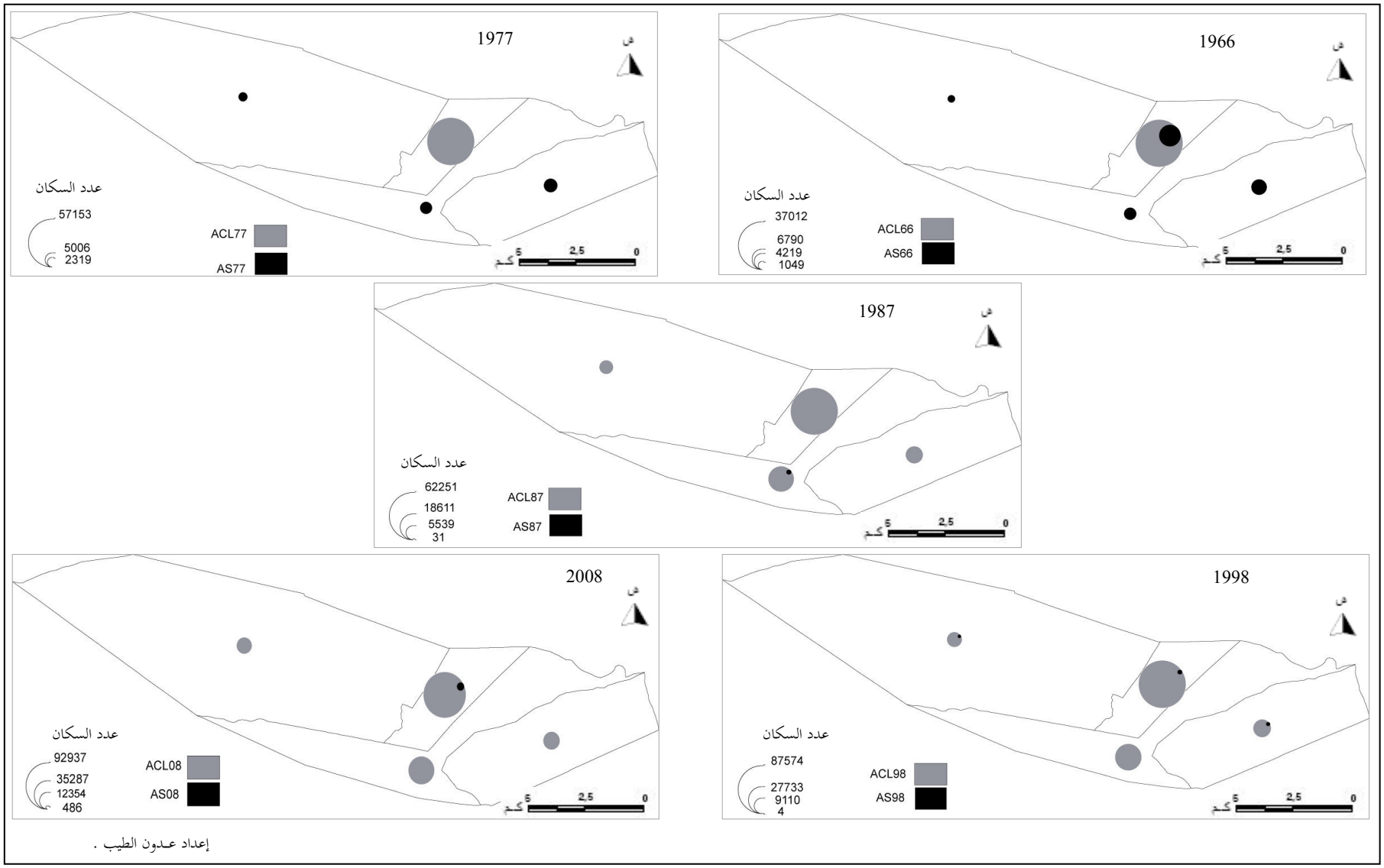

خريطة رقم 10: تطور الحجم السكانى للتجمع الحضري لوادي ميزاب خلال التعدادات السكانية (1966-2008).

3-5-سكان التجمعات الحضرية الجديدة المدروسة:

بعد إعطاء نظرة عامة على تطور سكان التجمع الحضري لوادي ميزاب، ووتيرة نمو سكان المنطقة، الذي تضاعف ما يفوق ثلاثة مرات خلال فترة فاقت أربع عقود من الزمن، وهذا راجع إلى خصوصية المنطقة بالدرجة الأولى، وتطور الشبكة العمرانية لتجمع وادي ميزاب.

وعلى أساس القيم المعمارية والأثرية للمنطقة حرست السلطة المحلية، منذ التسعينات من القرن الماضي على إنشاء تجمعات تراعي فيها كل شروط الحياة اللائقة، وتحمل في طياتها نوع من الاستدامة خاصة بما يتعلق بالقصور. حيث عرفت هذه التجمعات الجديدة مبادرة واسعة من منطلق السلطة المحلية، واقتراحات مؤسسات وجمعيات محلية. وعلى العموم هي مناطق حديثة وفي طور النمو، لم تستكمل مراحل نموها كاملة بعد ما ترك المجال لسن العديد من التشريعات والقوانين والتعديلات لضمان توسعها بالشكل المطلوب.والجدول يبرز عدد سكان هاته التجمعات.

جدول رقم 05: تطور سكان التّجمعات الحضرية الجديدة للنماذج المدروسة خلال الفترة 1998-2008.

عدد السكان(ن) / المنطقة	1998	2008
قصر تافيلالت	-	3079
بوهراوة	9	2744
واد نشو	-	486
النوميرات	-	106
المجموع	9	6415

المصدر:(ONS) دفتر المقاطعات2008.

لقد صنفت منطقة "بوهراوة" في التعداد 1998كمجمعة ثانوية تابعة للمدينة الأم "غرداية"، وبحكم وجودها بضواحي المدينة خارج نطاق الواد، أنشئت استجابة لحاجيات المنطقة من الأوعية العقارية والملائمة للتعمير. حيث سُجل بها 9 أفراد حسب دفتر المقاطعات للفترة1998 ، أما في التعداد 2008، عرفت مجمعة بوهراوة زيادة معتبرة قدرة بـ2744 ساكن وهذا راجع إلى استكمال بعض المشاريع السكنية التي بدأ الشروع فيها خلال الفترة الممتدة 1998-2008، بالإضافة إلى تدعيمها بالتجهيزات الضرورية وانسيابية الحركة ضمن فضاء هذه المجمعة، والرقي بها إلى صنف قطب حضري بامتياز.

منطقة وادي نشو مصنف كمجمعة ثانوية لبلدية غرداية، التي برمجت كمشروع مدينة جديدة، أنجز على إثر الطلب المتزايد للسكنات في البلدية، و جاءت من أجل الحد من مشكل السكن والحفاظ على ما تبقى من الواحة. حيث سجل بها حوالي 486 فرد حسب دفتر المقاطعات2008 .

فمنطقة النوميرات كانت في فترة (1998-2008) عبارة عن دشرة وسكنات مبعثرة حيث سُجل بها 106فرد حسب تعداد 2008، وارتقت على أثرها إلى صنف منطقة مبعثرة مطلة على حدود

بلديتيــن(بنورة والعطف) إلا أنها تحتل موقع استراتيجي على طول محور توسع منطقة وادي ميزاب، وهي اليوم تتطلع إلى أن تكون قطب علمي وثقافي بامتياز، لوجود مختلف المعاهد والجامعة وبعض المديريات الولائية إضافة إلى مطار مفدى زكريا الدولي .

وأما منطقة "تافيلالت" التي عرفت 3079ساكن متمركز على مستواها في 2008، جاءت كتوسع المدينة في الناحية الجنوبية لقصر "بني يزقن"، وكان ذلك من خلال المقاربة الاجتماعية والحضرية والبيئية، بإشراك الفاعلين المحليين والمؤسسات العرفية. وعلى العموم يظهر تباين في عدد السكان على مستوى هاته التجمعات الجديدة، وهذا مرتكز بدرجة أولى على حجم التجهيزات ودرجة استكمال المشاريع المبرمجة ودرجة إقبال الفرد على المنطقة والفرص المتاحة له، بالإضافة على العامل الأمني الذي يلعب دورا كبيرا في استقرار.

خريطة رقم11: توزيع سكان التجمعات الحضرية الجديدة بمنطقة وادي ميزاب2008.

المصدر:من إعداد ، عدون الطيب.

خلاصة الفصل:

إن دراسة وتصفح تاريخ منطقة وادي ميزاب له أهمية بالغة لفهم المسار الذي سلكه أهالي غرداية إلى غاية استقرارهم بالمنطقة. حيث يعود استقرار الأجيال الأولى بها إلى عهود ما قبل التاريخ، وبعد دخول الإسلام إلى المنطقة أخذ المجتمع المزابي كوهلة أولى تحت تأثير ظروف المناخ الصعبة أنتجوا تجمع حضري متميز يخضع لمناخ المنطقة ويستجيب لحاجيات سكانه.

ثم عرجنا إلى المميزات الطبيعية للمنطقة من الموقع والموضع، معتمدينا على بعض التحاليل لمجموعة العناصر المجالية لوادي مزاب استخلصنا بعض النتائج المترتبة عنها من بينها :

1- الأثر الإيجابي للموقع الهام بتوسطه لشمال الصحراء الجزائرية ومحور الربط بين الشمال والجنوب الذي كان عاملاً في كسب وادي مزاب لشهرته العالمية وذلك من خلال:

- التبادلات التجارية القديمة في طريق القوافل.
- اعتبار وادي مزاب نقطة محورية في مركز الصحراء الجزائرية.
- مساهمته في إزالة الفوارق الجهوية بين الشمال والجنوب.

2- طبوغرافية الموضع التي أنتجت نسيجاً عمرانياً مميزا يبين مدى تأقلم السكان المحليون مع البيئة الصحراوية القاسية و مما أدى إلى تسيير محكم للموارد الطبيعية المتاحة.

3- المنطقة صعبة التضاريس والعوائق مما يجعلها منطقة مكلفة من حيث إقامة المشاريع والأنشطة.

4-منطقة مزاب أو بلاد الشبكة غنية من حيث الموارد المائية نتيجة لتشعب الأودية بها.

ولقد حاولنا في الأخير التطرق إلى تطور سكان التجمع الحضري لوادي ميزاب الذي تضاعف بمقدار ما يفوق ثلاثة مرات في الفترة الممتدة(1966-2008). نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسكانية للتجمع الحضري بالوادي. كما تم إبـــراز تطـــور الشبكة العمرانية لمجمعة وادي ميـــزاب التـــي خلقت كنتاج للعوامل التاريخية والاجتماعية المشتركة للمنطقة، بغرض مقارنة حجم التجمعات المحاذية لـــوادي ميـــزاب.

وفي الأخير قمنا بإعطاء نظرة عامة عن تطور سكان التجمعات الحضرية الجديدة للنماذج المدروسة لوادي ميزاب، حيث يظهر التباين في حجم السكان وهذا شيء طبيعي باعتبارها توسعات جديدة جاءت على فترات متباينة و منها ما عرفت إقبال للسكان وأخرى بقيت شبه مأهولة من السكان، نظرا لعدم توفر التجهيزات الحيوية و النقل حينها ضمت البرامج المقترحة والتي هي في قيد الإنجاز.

الفصل الثاني
التوسع المجالي بأشكال وأنماط تعميرية مختلفة

ظهور المدينة وتطورها جاء على مر العصور إذ ارتبط أساسا باستيطان الإنسان وتضخم النمو السكاني بالمدن، باعتبار المدينة من أبرز الظواهر البشرية، كونها مركز تجمع السكان بأشكال وأنماط مختلفة، أين يتجلى بها التنظيم الحيوي والعضوي المعقد، وكذا خليط استخدامات الأرض المختلفة لتغطية وتلبية متطلبات سكانها. حيث أصبحت المدينة غير قادرة لا من حيث التسيير ولا من خلال الملفات الهائلة المطروحة على عاتق الجهات المعنية، بغية تلبية حاجيات سكانها الذين هم في زيادة وتطور مستمر.

وإن استقرار السكان الأوائل بمنطقة وادي ميزاب كان سبباً في تشكيل القصور الضاربة في التاريخ، ومع مرور الوقت أصبحت هذه القصور غير قادرة على استيعاب العدد الهائل من السكان، حيث توسعت المنطقة خارج حدود القصور رغم عراقيل و معوقات وطبيعة المنطقة، الذي استوجب في فترة من توسعها التوجه نحو محيطها، أين تبرز طبيعة اقل شدة من حيث المرفولوجية عن المركز الحالي لمدن وادي ميزاب القابعة في الوادي.

وأما اليوم تطرح على مستوى مدننا انشغالات وحراك واسع نحو التصور الأمثل لتوسع المدن بكل أشكالها، حيث تستهدف انشغالات المخططات العمرانية المعمول بها ومدى ملائمتها لخصوصيات كل منطقة، حيث يمثل الإنسان محور الانشغال الأساسي في ذلك.

وهذا كله كان سبباً في جعلنا نحاول دراسة الأنماط الحضرية الجديدة كمسرح نموذجي لأشكال التوسعات العمرانية والمعمارية التي مست منطقة وادي ميزاب. و خاصة بعد ظهور التلاحم بين البلديات الأربعة جراء إنشاء بعض السكنات خارج القصر لإمتصاص الضغط المتزايد على السكن، هذه السكنات التي هي أصلا لا ترتبط مع بعضها البعض ولا مع النسيج القديم، وبالتالي خلقت سلسلة من الإنقطاعات المرفولوجية والوظيفية، الأمر الذي غير في صورة وجمالية المدن الغرداوية، والحفاظ على استمرار الطابع العمراني الذي تزخربه، وما يجعل عملية التسيير الحضري لهذه المنطقة أكثر تعقيدا.

1-مورفولوجية منطقة وادي ميزاب:

بالرجوع إلى الخريطة الطبوغرافية أين يظهر شكل التجمع الحضري لوادي ميزاب القابع بمنحى الوادي متخذا شكلا مميز، رغم هذا الشكل عرف تغير بطيء نسبياً للنمو العمراني عبر فترات معينة بالمنطقة، حيث أن كل مرحلة مورفولوجية تقطعها مدينة ما، تتميز بخصائص وصفات تضاف إلى شكلها نماذجاً عمرانيا وأشكالاً معمارية التي تعبر عن هوية وثقافة أهل المنطقة. وان كان في الآونة الأخير شكل المدينة مرتبط بالمتغيرات المعمارية والعمرانية، بالإضافة إلى شكلها الثابت الذي تفرضه التضاريس الطبيعية المكونة لمجالها.

ومن بين الدارسين لمورفولوجية الحضرية "Jean-Pierre FREY "من وجهة نظره أعتبر أن مورفولوجية المدينة ظاهرة تاريخية في الأول، وثانياً أنها تساهم في دراسة وإنتاج المجال، كما عرج إلى أنها تهتم بدراسة الإطار المبني[1].

كما اعتبر كذلك "Rémy ALLAIN" أن دراسة المرفولوجية بمثابة مفتاح شامل للمظهر الحضري. وأن المورفولوجية الحضرية هي دراسة الشكل الطبيعي للمدينة منذ نشأتها التدريجية لنسيجها الحضري مع تنسيق كل العناصر المحددة للشكل العمراني من شوارع، ساحة عمومية وغيرها[2].

وعلى العموم، المورفولوجية تعرف أيضاً، بأنها تبحث في الحيز الذي تشغله المدينة ونظام مبانيها وتخطيطها وأساس ذلك التخطيط. وهذا المسار في البحث يساعد على معرفة أصل المدينة، تطورها ووظائفها، و استخدامات الأرض بها وتركيبها الداخلي.

و تعتمد مورفولوجية المدينة على الملاحظة المباشرة بدرجة كبيرة، على اعتبار أن المدينة تختلف في مظهرها وشكلها البنائي من شوارع و الحركة الانسيابية والمواصلات بها، لذلك تساهم في التعرف على الشخصية العمرانية المحلية من خلال موقعها ومظهرها العام .

2- واقع التعمير والتوسع العمراني لوادي ميزاب :

يشهد التوسع العمراني اليوم معظم المدن، وهي الاشكالية التي أصبحت تطرح على مختلف المستويات في ظل المخططات العمرانية الجاري العمل بها.

وعلى العموم التوسع هو عبارة عن تجزيئات لأشكال عمرانية ذات هندسة منتظمة أو شبه منتظمة مشكلة فيما بعد مجمع عمراني متجانس، قد تكون لغرض سكني أو اقتصادي أو صناعي.

كما يعرفها إبراهيم بن يوسف أن "التوسع العمراني جاء استجابة لمختلف الأفعال والإشكال المتزايدة

[1]-FREY.J-C.,2002 : *« Urbanisme ,morphologies & société »,* Editions Institut d'urbanisme de Paris Université Paris XII-Val de Marne, p12.
[2]- ALLAIN R ., 2012 : Morphologie urbaine*»,Géographie aménagement et architecture de la ville* ,éd, ARMAND COLIN, Paris, p5.

على طلب المجال واستجابة لاحتياجات قرب المسكن، العمل، التجهيزات، والهياكل. آخذين بعين الاعتبار البرمجة والموضع والتنظيم[3].

إن التوسع العمراني هو جزء من شكل عمراني، تقام عادة بجوار تجمع موجود، عندما تحدث عملية الاستمرارية لهذا النسيج القائم نقول أنه توسع، والشكل العمراني للتوسع يرتكز على تركيبات هندسية مستمرة أو متقطعة، وتكون مخططة إذا كانت مرتبطة بنسيج موجود .

إن المدن الصحراوية التي كانت القصور النواة الأولى في تشكيلها، على غرار بعض مراكز المدن ذات المنشأ الاستعماري أو بالاحرى التي أكتشفها المستعمر وعوضت بعد الاستقلال بمنشآت عسكرية، التي بدورها ساهمت في تشكيل المدن كما هو الحال بمدينة بشار، تندوف، تمنراست..

فمنطقة وادي ميزاب التي تشتهر بقصورها القديمة عرفت مراحل خلال تطورها العمراني، مع اهتمام واسع لـدى المختصين في مجال العمران والتعمير، مع استحالة التوسع داخل القصر، جاء التفكير ببناء خارج القصر، من هنا عرفت المنطقة منحى أخر في التعمير، ويرجع الفضل للإنسان في ازدهار الحياة من خلال التصارع مع الطبيعة القاسية، والتكيف معها بإحداث تقنيات عمرانية متناهية في الدقة.

وفي هذا السياق هناك دراسات عديدة أقيمت حول واقع التعمير في المنطقة، أين يعد قطاع التعمير من المجالات الحيوية التي تتقاطع فيها العديد من الدراسات. حيث اجمع أغلبية الباحثين على تميزه بالوتيرة المتسارعة وفي زيادة مستمرة، وجاء تأكيد ذلك على يد كوكبة من الباحثين منهم "BISSON.j[4]"الذي أرجع سرعة التعمير بالمنطقة إلى التطور والتحول الذي طال المنطقة، وزحف سكان البدو مع تجدرهم بها، مما أدى إلى خلق ديناميكية واسعة مع مرور الوقت وأصبحت المنطقة كقطب جذب للسكان ومنطقة مشجعة على الاستثمار والاستقرار.

أمّا **مارك كوت**[5] تطرق إلى حقيقة التعمير بمنطقة وادي ميزاب انطلاقا من النشأة أولى لقصورها الخمسة إلى بداية العقد الأول من القرن الحالي، حيث يشخص المراحل التشكل العمراني بالمنطقة في أربعة مراحل:

*المرحلة الأولى: من خلال تواجد القصور قرب الواحات الفلاحية، فارتبط وجودها بمصدر الماء كعنصر أساسي، فالتشكيلات الهندسية لعمران المنطقة على غرار طبوغرافيتها قابع في وسط الواد .

*المرحلة الثانية: "التعمير في عمق الواد" مع التطور السكاني الذي عرفته المنطقة، فأستوجب البحث عن منطقة أقل انحداراً بغرض الاستقرار، فكان الحل الوحيد للبناء والزحف نحو ضفتي الواد، حيث عرفت هاته المرحلة بالتعمير العفوي بشكل متزايد.

[3]- BEN YOUCEF B.,1999 : Analyse urbaine, éléments de méthodologie, O.P.U, Alger ,P15.
[4]- BISSON J., 2003 : le Sahara mythes et réalité d'un désert convoité. , Harmattan ,Paris.
[5]- COTE M., 2002 :*« Une ville remplit sa vallée : Ghardaïa»*, *Revue Méditerranée*, tome99, n°3.4, pp. 107-110.

* المرحلة الثالثة: تدخل السلطات المحلية والجهات المعنية حيث قامت بأعمال التهيئة على طول وادي ميزاب، منها الاشغال العمومية ، التخطيط لمختلف الشبكات وإنشائها للحواجز المائية والسدود.

*المرحلة الرابعة: الخروج من الواد والصعود نحو الهضبة، وكانت بوادرها منذ سبعينات القرن الماضي عندما أنشئت المنطقة الصناعية، وطرحت فكرة الخروج كإشكالية في عشر السنوات الأخيرة من القرن الماضي بهدف حماية ما تبقى من واحات النخيل. وبذلك بدأت تظهر بعض التجمعات بأنماط جديدة، كحل للتوسع وتمدد المدينة من جهة ومن جهة أخرى لحماية المدن الخمسة والحد من تدهورها.

أما "الباحثة مريم بن شريف[6]"في أطروحتها حول التعمير المصغر(La micro-urbanisation) للمدن الواحاتية كبديل لموازنة المناطق الصحراوية المستدامة، أين ركزت دراستها على الصحراء المنخفضة للجنوب الشرقي. حيث خلصت إلى أن "الميكروتعمير" كان له الفضل الكبير في مهد التطور العمراني المحلي، وأبرزت كذلك ان وادي ميزاب يعد العمود الفقري لمنطقة غرداية، التي عرف وتيرة متسارعة في التعمير خاصة بعد التركز الصناعي به.

وفي دراسة شاملة أجراها "**مارك كوت**[7]"حول حقيقة التعمير بالمدن الصحراوية الواقعة بالجنوب الشرقي، أين قام بجمع مجموعة من الاعمال العديدة للباحثين في مجال العمران، و توصل إلى أنه يوجد ما يسمى بمصطلح "الميكروتعمير" الذي يناسب إلى حقيقة التعمير المتسارع بالمنطقة، وأكد كذلك على أن حقيقته تعود إلى أزمنة سابقة لكن بوتيرة أقل حدة من الوقت الحالي.

فيبقى للعمران جذورا تاريخية عميقة، فلكل منطقة خصائص تطبع عمرانها تستمد منه أصالتها. وتبقى لكل منطقة ميزات وخصوصيات.

3-بعض المخططات العمرانية التي عرفتها المنطقة:

عرفت غرداية عــدّة إنشاءات و مشاريع ومخططات عمرانية بعد الاستقلال، أين تم العمل بها في الوهلة الأولى قبل إصدار المشرع الجزائري للمخططات العمرانية (PDAU- POS) ، إلا أن كافة هذه المشاريع لم تعتمدها أي أطراف معنية، فبقيت كحبر على ورق تدرس في المدارس والجامعات العالمية. وفي ظل الفوضى والوضعية المزرية للعمران، اتسعت الرقعة بين المصالح المسيرة والمواطن من جهة و صعوبة تسير المجال من جهة أخرى، وغياب مخططات عمرانية بديلة وناجعة أدى إلــى عدم تحسيس المواطن باعتباره المعني الأول و إشراكه في عملية التخطيط، مما فتح الباب أمام تدخلات مختلفة على المجال من مخططات ومشاريع خاصة وعامة. وكان ذلك مباشرة بعد الاستقلال عندما اضطرت الدولة إلى جلب نخبة من المهندسين الأجانب للتخطيط والإنجاز حيث كانت عاجزة عن تلبية رغبات الجزائريين

[6]- CHAOUCHE-BENCHERIF M., 2007 *:La Micro-urbanisation et la ville-oasis; une alternative à l'équilibre des zones arides pour une ville saharienne durable Cas du Bas-Sahara ,*Thèse de Doctorat en sciences, option Urbanisme, Université de Constantine.

[7]- COTE M., 2005 : l'urbanisation aujourd'hui au bas Sahara, Aix en Provence. Kharthala IREMAM .Paris.

من السكن، خصوصا المشاريع الضخمة منها، التي بقيت كوصمة عار في تاريخ العمران والعمارة الجزائرية و سوف نفصل في بعض منها:

3-1-مشروع "أندريه رافيرو"لفترة 1962-1972:"الحد من التدهور العمراني"

ان مختلف أعمال المهندس المعماري"أندريه رافيرو"اهتمت بالجانب المعماري والعمران متأثراً بالمعمار المزابي الشهير، من خلال جولته عبر الصحراء الجزائرية، أين زار منطقة ميزاب لأول مرة في 1949، حينها أنبهر بهندستها المعمارية وفتـــح بها مكتبا للدراسات سنة 1959. و ألّـــف كتابه الشهير بعنوان*Le M'Zab, une leçon d'architecture* والمقدمة التي كانت للأستاذ "حسن فتحي"، وكان هذا الأخير من أكبر المهندسين المعماريين في العالم العربي. فالباحث "أندريه رافيرو" من خلال دراسته المتمعنة توصل إلى أن المزاب بطبيعة عمرانهم يعطوننا اليوم درس في الهندسة المعمارية، التي أصبحت تدرس في أكبر الجامعات العالمية. ويأتي هذا المشروع كرد فعل للتدهور العمراني الذي شهدته مدن وادي ميزاب، نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي انعكست على الإطار الحضري، حينها حاول "أندريه رافيرو" رسم الخطوط العريضة للنمو العمراني والتعمير بغية الحد من التدهور والحفاظ على تراثها المحلي، بعد إدراج المنطقة ضمن المناطق التاريخية عام 1971وعلى أثرها جاء التفكير في الأماكن الجديدة للتوسع مع إجبار السكان على نماذج وأشكال وألوان محددة، كما دعمت السلطة بإنشاء ورشة للدراسات المعمارية سنة 1972تتكفل بمراقبة عمليات البناء وتمنع ما تراه منافيا للإطار العمراني.

ان أعماله تمحورت في بعض المشاريع الأساسية التي بقية صامدة إلى غاية اليوم، أين تـم عرضها في " L'atelier du désert[8]" ورشة الصحراء. وكان أول مخطط عمراني مفصل لمدينة غـرداية الـذي تم إعـــداده من طـرف "أندريه رافيرو" في إطار التخطيط الحضري و توسع النسيج العمراني لمدينة غرداية ، عندما اتصل سنة 1960 مع جوغالد ألين "Gerald Hanning "لإتمام مخطط غرداية الذي كان فكرة هذا الأخير، فكان رافيرو مجبرا على إتمام العمل بشكل مفصل .

كما قام بإعداد مخطط توسع بني يزقن في نفس السنة، حيث يقول أنه لم يقوم بمتابعة المخطط الذي اقترحه "Gerald Hanning " لذلك جاءت دراسة رافيرو على أساس تدهور المجال الحالي .

كـذلك من أهم إعماله فندق مـزاب الذي أنشئ 1966-1967من طرف رافيرو بالتعاون مع فيليب لوفرس "Philippe Lauwers "ومشاركة جيرارد "Gérard Deraprahamian" والذي كان تشيده ذو أهمية كبيرة في الجنوب الشرقي من مدينة غرداية.

[8]-RAVEREAU, A. , 2003 : L'atelier du désert , Parenthèses Sindbad,

يضاف إلى ذلك إنشائه نمط مسكن فردي مع حديقة في شكل فيلا بواد ميزاب مابين سنتي (67-68) بالتعاون مع "فيليب لوفرس" Philippe Lauwers ومشاركة "بول بردوتفي" Paul Predotti، حيث صممت هذه الفيلا لأمرين أساسيين في الواقع المزابي ألا وهما الحياة الاباضية والمناخ الديني الذي يسود المنطقة .

كما وفق في تصميم سكنات فردية بحي سيدي أعباز بمشاركة "ميشال" Michel Meert وكان ذلك في عام 1976حيث يقع هذا المشروع في قلب واد مزاب خلف الهضبة المقابلة لقصر بنورة .

حيث كان "أندريه رافيرو" كعادته قبل الشروع في أعماله يحرس على تكامل الثقافة المحلية، وإبداعه مع البحث على استعمال أدوات معاصرة تتكامل مع الموروث التقليدي المحلي، إلا أن مشاريعه لا تخلو من بعض النقائص أين تعامل" رافيرو" بالمنطق من خلال اقتراح منع للامتداد النسيج العمراني مع الحفاظ على النمط التقليدي للإطار المعماري.

صورة رقم04:نمط المسكن الفردي مع حديقة بشكل فيلا بغرداية 68/67.(RAVEREAUA., 2003).

صورة قم05: سكنات فردية بحي سيدي أعباز1976م.(RAVEREAU A, 2003).

3-2-مشروع ألبير سبير(Albert SPEER):"المشروع الاقتصادي"

ان مشروع ألبير سبير الذي دام 15 سنة أي من 1973إلى 1988 الذي أعتمد فيه على المؤشرات السكانية والاقتصادية، ولم يعرف النور إلا في سنة 1979. كذلك لم تجد أفكار "رافيرو" تجاوبا على أرض الواقع بعدما امتد العمران وتوسع بشكل خطي على طول سهل وادي مزاب، جاءت محاولة لاستدراك الأمر عام 1973 بمخطط المهندس الألماني (SPEER)، يقضي ببناء تجمعات سكنية على شكل توسع نطاقي مع ترك بعض الفراغات بين كل تجمع، ولم يتحقق مشروعه في نهاية الأمر. وتم اختبار مخطط آخر سنة 1977وهومخطط التحديث العمراني (plan de modernisation urbaine)[9]. ولم تجد هذه المخططات نفعا حيث وصل الزحف العمراني في جميع الاتجاهات حتى على حساب الواحة والمناطق المحاذية للوادي والمناطق المصنفة كتراث ثقافي.

كذلك أقترح ضمن مشروعه مدينة نموذجية في الناحية الشرقية من مدينة العطف من أجل مواجهة التزايد السكاني، إلا أنه لم يراعي العوامل الطبيعية لذلك، لغرض التقليل من الزيادة السكانية ولا يكفي باللجوء إلى النواحي القريبة الواقعة بمحاذاة الوادي، الأمر الذي أدى إلى اختناق الوادي وتدهور واحات النخيل نتيجة الزحف المستمر للفعل البشري وثورة التعمير.

3-3-مشروع لوكوربزييه(Le Courbusier):"تصاميم نموذجية للمنطقة"

المهندس المعماري السويسري "لوكوربيزييه"من أصل فرنسي الذي استوحى من الهندسة المعمارية لقصور غرداية ومعالمها الكثيرة و تصميماته الهندسية التي أنجزها عبر العالم، وتخليدا لأعماله نظم ملتقى دولي بغرداية سنة 1998 بعنوان "لوكوربيزييه و مزاب".

إذ تطرق "أليكس جاربار[10]" في رسالته الجامعية إلى الأعمال التي قام بها المعماري الفرنسي لوكوربزييه من خلال رحلاته لبعض المدن الجزائرية سنة 1931. كما أعتبر"أليكس جاربار" في مقدمته، أنه لمن الصعب على غير المسلمين التعرف على المعمار المزاب وليس بالأمر السهل التعرف على العمارة المحلية (l'architecteur Vernaculaire). لوكوربزييه عند تغطيته لواد ميزاب، وذلك بعد إتمامه لمخطط بعض سكنات بسويسرا، حيث عمل "أليكس جاربار" على التصميم لإقليم غرداية عندما وضع مخطط كل من الشعانبا و المزاب ، والتصميم الثاني للبونتابول غرداية مع توضع التجهيزات الدينية، وحينها وضع لوكوربزييه مخطط لساحة فناء مسجد غرداية.

[9]- KHODJA M- A., 2008 : Sauvegarde des tissus anciens à travers la réhabilitation des maisons traditionnelles : Cas de la vallée du M'Zab, Conférence Internationale sur la Médina, Tlemcen, 13 et 14 mai 2008, 64 p.

[10]- GERBER A.,1992 :L'Algérie de le Corbusier les voyages de 1931,Thèse de Doctorat es sciènes ,Ecole polytechnique fédérale de Lausanne.

كما تطرق إلى نموذج المنازل بواد ميزاب، ومع بداية الثمانينات بدأ يبرز تيار يطبع عمله توجه نحو العودة إلى البحث في مكونات التراث بوصفه، وتتابع التجارب والقيم الاجتماعية والدينية للمنطقة ، و التي منها تولدت معاني وقيم الهوية العمرانية التي ارتبط بها الإنسان.

فتأثر لوكوربزييه كثيراً بالعمارة القديمة والإسلامية خصوصاً وحاول بقدر الإمكان الاستفادة من التجارب السابقة بتميزها وذلك لأن أهل هذه المنطقة استعملوا النمط المحلي المستنبط من البيئة المحلية و المتضمن تقنيات مكتسبة من احتكاك هؤلاء الأشخاص بالبيئة المعاشة ، ولهذا نجد دائما علاقة ديناميكية تحكمها طبيعة البيئة وقدرات المجتمع وأفراده على التأقلم.

3-4- **مشروع بويون (pouillon)**: "الجمع بين الحداثة والتقليد"

لقد ظهرت العديد من المحاولات و الإجتهادات للمهندسين في الجمع مابين الحداثة والتقليد جاء ذلك تأكيداً على يـدي "بويون" طلباً من السلطة الجزائرية بالقيام بأعمال مماثلة في غرداية، من خلال إظهاره نمطاً منسقاً في هندسته لدار البلدية والبريد بالإضافة إلى نزل الرستميين. فالزائر اليوم إلى مقر بلدية غرداية تجذبه التشكيلة العمرانية والفنية لنمط بنائها من خلال مواد البناء و الحجارة المصقولة والجير مع وجود جدران سميكة و كل ما هو محلي.

4-تطور النسيج العمراني:

تحتفظ منطقة وادي ميزاب بالكثير والعديد من المدن والقصور التي أنشأت عبر التاريخ، منها ما اندثر كليا ومنها ما بقي أثارا و أطلالاً، أين يعتبر النسيج العمراني لقصورها أصدق تعبير عن التعمير المتواصل بالمنطقة، فقد راعى الإنسان فيها مظاهر البيئة الطبيعية المحلية واستطاع صنع أعمال عمرانية بطرق سليمة وعالج على أثرها سلبيات بيئته المحلية.

إن القصر يمثل النواة الأولى المكونة للمدن الصحراوية، على اختلاف مميزاتها و طبيعتها العمرانية، منها الواقع فوق قمم الجبال أو الهضاب الصخرية لتسهيل عملية التحصين والدفاع واستغلال المياه وتوزيعها بطريقة مضبوطة ومحكمة. وأخرى منها ارتبطت بالجانب الفلاحي فهي تقع بالقرب من المجاري المائية، فمعظم القصور الصحراوية تحيط بها البساتين وواحات النخيل الخلابة، حيث تشكل رزق السكان وحزام منيع للتقليل من حدة الرياح و زحف الرمال. إن ارتباط القصر بالحياة الثقافية للسكان مع قدرتهم على تصور النموذج الذي يريدونه أن يحاكي الاحتياجات الاجتماعية وتلبية أمور حياتهم العامة.

ان العديد من الدراسات تطرقت إلى تحولات عميقة مست جل القصور عبر القطر في ظل تدهورها والحالة الكارثية التي آلت إليها. حيث تطرق"Kouzmine. Y[11]"في دراسة نموذجية إلى الديناميكية الحضرية و التحولات المجالية للمدن الصحراوية، مع إبرازه لمختلف التغيرات التي ميزت المدن

[11]-KOUZMINE Y., 2007 : *Dynamiques et mutations territoriales du Sahara Algérien*. Thèse de Doctorat en Géographie, Université de Franche-Comté.

الصحراوية، والتحولات المجالية التي طرحت في عدة مرات تساؤله حول التركيبة العمرانية والخصائص الجغرافية والوظيفية لهاته المدن. وعلى أساس العمل البحثي لـ"Kouzmine. Y" قام بتقسيم تطور نموذج التنظيم العمراني للقصور في الأوساط الصحراوية إلى ثلاثة فترات زمنية، من خلال تتبع مراحل وأنماط التمـــدد الحضري في الوسط الصحراوي من النواة الأولى المشكلة له.

*القصور قبل الحقبة الاستعمارية:

ظهرت القصور على مسار القوافل التجارية المتنقلة عبر الصحراء، كما ارتبطت بالعنصر الحيوي وهو الماء الذي يشكل مع الواحة نسق متكامل. ولعب فيها القصر دورا كبيرا في الحراك السياسي، الاقتصادي والاجتماعي.

*التعمير في التصور الاستعماري :

إنشاء مدن أو أحياء جديدة كتوسع عمراني لحدود القصر، منها ما هو مرتبط بالقصر ومنها ما هو معزول تماماً عنه، فنجم عن هذا التحول في المركزية، بحيث حافظ القصر على القوة الاجتماعية والاقتصادية، أما القوة السياسية فخرجت إلى ما تم تشييده من طرف المستعمر. وكذلك نميز نمو السكنات العشوائية وخروج السكان من القصر، و بدأت تبرز للعيان أنماط حضرية جديدة مخالفة تماماً للنسيج القائم.

أما فيما يخص بما شيده المستعمر، لم يكن بالقرب من مصادر المياه والغابات النخيل و ذلك لاعتمادها على مصادر أخرى للبقاء اعتماداً على الثروات المنقب عليها وتطور التقنيات المحققة لرفاهية الإنسان والمساهمة في الاستقرار بالمنطقة بشتى أنواعها. أما هجرة السكان للمدن الصحراوية فمصدرها الشمال للظفر بفرصة العمل واستغلال الثروات الباطنية، أما السكان القادمين من الجنوب فسعيا للبحث عن العمل و الاستقرار بحكم أنهم كانوا بدوا رحل.

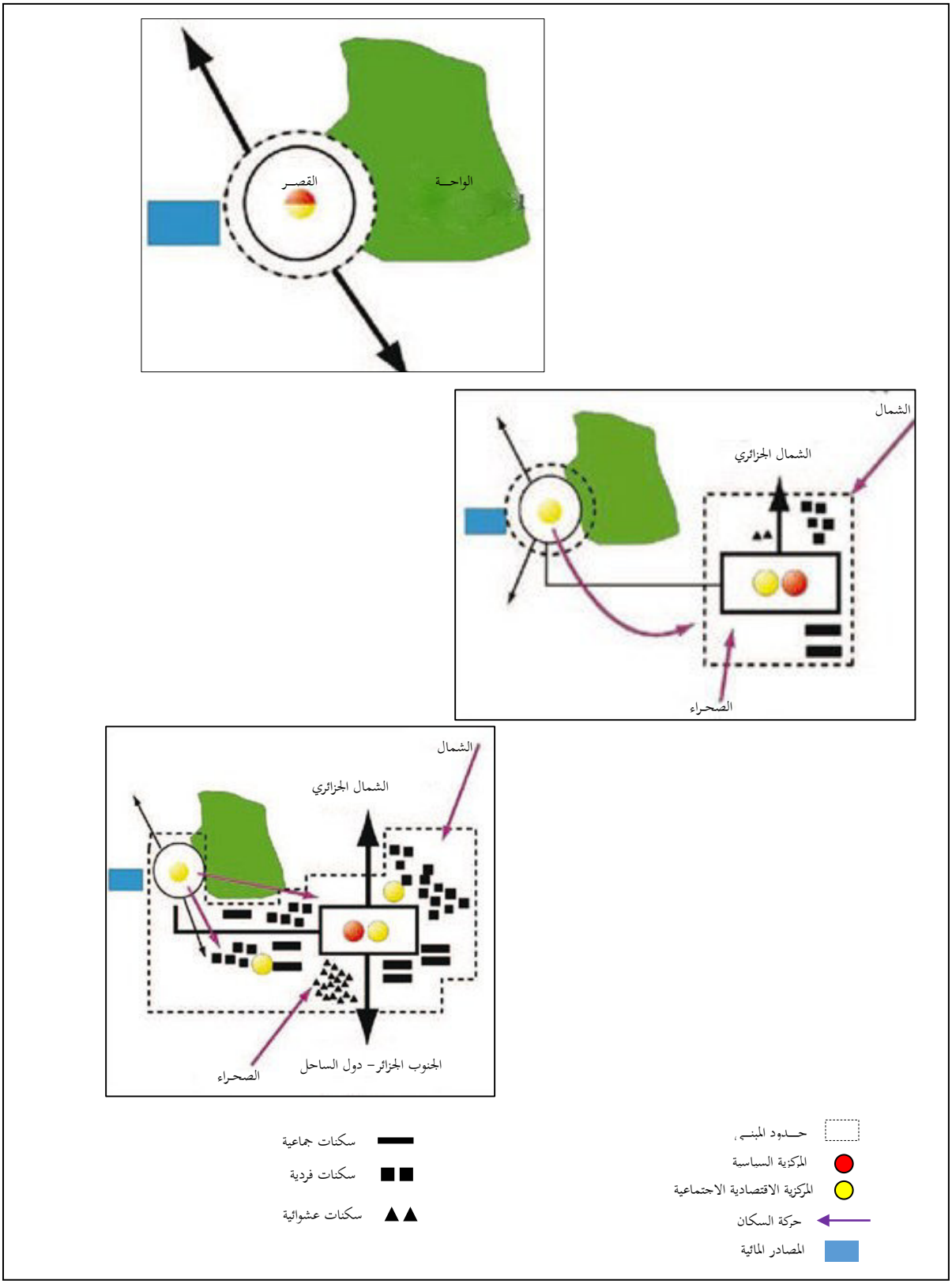

شكل رقم 03: مخطط تطور نموذج التنظيم العمراني للقصور الصحراوية (KOUZMINE Y., 2007.).

*التعمير في فترة الاستقلال:

عرفت هذه الفترة تغيرات كبيرة في مجال العمران، عندما حاول المستعمر طمس الهوية العمرانية، بالإضافة إلى التعمير العشوائي الذي طبع الجزائر بعد الاستقلال، وظهور نماذج عمرانية التي لا تمد لهويتنا ولا لأصالتنا بالمرة، وبذلك ظهرت السكنات العامة الجماعية والسكنات الفردية، وانتشرت السكنات العشوائية و تطورت النشاطات والمرافق العمرانية.

أما انتشار المركزية الحضرية، تطورت إلى مواقع التوسعات المشيدة من طرف الدولة، فأصبحت تشكل أقطاب اجتماعية واقتصادية لا يستهان بها، أما هجرة السكان فمصدرها من الشمال والجنوب بحثاً عن >الشروط المناسبة للاستقرار والعيش الكريم.

حيث يقول (Kouzmine. Y) عن مدينة غرداية أن الخروج من الواد أمر لا مفر منه، باعتبار ان مدنها القابعة في وسط الواد ما يفوق 11قرن كانت عبارة عن منتجع لأهل البادية من الرحّل، ينزحون إليها طلباً للاحتماء من قسوة مناخ المنطقة و سرعان ما عرفت تحولا من خلال تشييد المستعمر لثورة العمران و تشكيلها قطيعة للنمط القديم التقليدي.(وشكل رقم 03. تطور نموذج التنظيم العمراني للقصور).

5-مراحل التطور العمراني وأشكال التوسعات بالمنطقة:

على خلاف ما تطرقنا إليه سابقاً سوف نستعرض مراحل التوسع التي عرفتها المنطقة منذ تشكيل النواة الأولى "القصر"إلى غاية اليوم الحالي، وذلك بإبراز مميزات كل فترة والشكل العمراني الذي طبعها. حيث يلاحظ بصورة عامة عند تفحص النسيج القائم بالمنطقة يمكن الفصل بين نوعين من النسيج وهما:

* النسيج القديم: متمثل في القصور الخمسة التي تشكل النواة الأولى لاستقرار الإنسان بالمنطقة، الذي أظهر براعة متكاملة في إنشائها مشكلاً كتلة واحدة.

*النسيج الحديث: متمثل في التوسعات الجديدة، الذي يشكل الجزء الكبير ويظهر بشكل موزع وممتد حول العديد من المحاور على ضفتي الواد.

و إن التجمع الحضري لوادي ميزاب الممتد على طول وادي ميزاب يظهر تركيبة من النسيجين "القديم والحديث" مع وجود قطيعة فرضتها الطبيعة، ككل نتيجة لثلاثة مراحل أساسية وهي:

5-1- المرحلة الأولى: ما قبل الاستعمار من (1053 إلى 1857م).

عرفت خلالها قصور المنطقة تخطيط محكم ومدروس راعت في تشكيلها نموذج المدينة العربية الإسلامية، في التخطيط واستغلال المواد المحلية المتوفرة ولكنه يمتاز بنظام اجتماعي خاص، من العرف في التعمير والسكن والفلاحة.

وقد تميزت هذه المرحلة بالأعمال التي قام بها العالم والمفكر الإباضي الكبير "الشيخ عمي سعيد" عام 1497م القادم من جربه بتونس. أين شرع في إتمام مسار النمو لمدينة غرداية من خلال البناء فوق المنطقة الجبلية، وكانت التوسعات في الأساس تتجه نحو الشمال الشرقي. تم إنشاء حي جنوب مقبرة "بابا

صالح" من أجل استقبال الوافدين الجدد وبجانبه حي "بني مرزوق" و حي "عربي"، الذين بدءوا بالتوطن في المنطقة قادمون من جبل عمور سنة 1527م. كما شهدت المنطقة خلالها قدوم بعض العائلات اليهودية إلى وادي ميزاب على أثر الصراع الذي عرف إقليم توات سنة 897هـ/1492م على يد "الشيخ عبد الكريم المغيلي" الذي جاء من تلمسان واستقروا بها. وحسب الرواية الاباضية أن أول من جلب اليهود إلى المنطقة هو الشيخ عمي السعيد بن أحميدة بن عبد الرزاق بن السعيد الخيري الجربي[12].والكل كانوا يعيشون في إطار التعايش والاحترام لجميع التجمعات بمختلف تركيباتها العرقية والدينية.

في هذه المرحلة كانت التوسعات محظورة من الجهة الشمالية بـــسبب المقبرة والجهـــة الشرقية أيضا التي كانت مشغولة بـــــحي اليهود. إذن توسع المدينة كان باتجاه الغرب (وجهة الواحات) إلى غاية السور الحالي الذي كان مفتوح من باب "أجديد" وباب "الحداد" ونجد أيضا مـــن الشمال باب "حواشة" و "الراعي" و"الحفرة" أين يقع الحي الجديد الذي أنشأ من أجل العرب "قبائل الشعانبة[13]" الذين قدموا من متليلي.(مخطط تفصيلي للبواب قصر أنظر الملحق).

5-2- المرحلة الثانية: الفترة الاستعمارية (1857 إلى 1962م).

وبعد تكوين النواة الأصلية والمتمثلة حدودها بحدود صور القصر والأبراج تم إجراء تعديلات طفيفة على القصر في هذه الفترة، تم البدأ في التوسيع وهذا بشق محورين هما (غرداية بني يزقن) و(غرداية بوهراوة). ليتم الاستيطان عبر هذه المحاور والطرق الرابطة بينها على شكل الطراز الفرنسي، لكن من الناحية المعمارية تم الاقتباس بعض الشيء من خصائص العمارة المحلية، وقد تركز فيها معظم الإدارات والخدمات.

وقد تميزت مرحلة الاستعمار بالتدخل العسكري على المنطقة من أجل إعادة هيكلتها بطريقة تسمح له بالمراقبة والتحكم الجيد في المنطقة، هذه الرغبة في التحكم وجدها الفرنسيون سهلة بحكم المجال الذي كان من قبل مشغول ومحكم التنظيم منذ 9 قرون بحيث تم إنشاء شبكة من الطرق من أجل إدماج غرداية في المنطقة وتسهيل الاتصال والمواصلات بينها وبين مختلف التجمعات الأخرى، تم ربطها بالمحور شمال جنوب الذي يربط وادي مزاب بالعالم الخارجي ومحور شرق - غرب الذي يربط غرداية بالقصور الأخرى ويربط السوق من جهة الغرب وواحة غرداية. الحي الاستعماري الدبداب كان أول حي ينشأ بالمنطقة وكانت بناياته مدمجة مباشرة في النسيج الموجود وكان النمط الاستعماري متصل بنسيج القصر ويمتد إلى غاية حـــي اليهود.

[12]-يوسف بن بكير الحاج سعيد،1992:تاريخ بني مزاب،المطبعة العربية ، ص20-30.

[13]-قبائل الشعانبة وصلوا إلى شمال إفريقيا مع الموجة الأخيرة للغزو الهلالي خلال قرن 11،وهي قبيلة عربية ، استقرت في بادئ الأمر بمنطقة متليلي أين اشتهرت بتربية المواشي والرعي وحياة الترحال.

تزامن خلال هذه المرحلة توسع المدينة وتجاوزت أسوارها التاريخية للبحث عن أفق جديدة تحولت فيها الهياكل العمرانية والاجتماعية و الاقتصادية وأنماط السكن والحياة، و تم فيها خرق النظم والأعراف التي وضعها المزابيون التي تخص إنشاء أو إحداث قصر جديد عند توسع القصر القديم.

وقد تميزت أيضا بتوطن السلطات الاستعمارية خارج قصر غرداية، مما أدى إلى تواجد مركز جديد ينافس المركز القديم و بمرور الوقت تعزّزت قوته بتحويل أهم السلطات (السلطة التنفيذية ثم التشريعية والقضائية) بتأسيس نظام تعليمي تربوي على النمط الغربي، ومع الوقت تنامى نمط معيشي جديد غريب عن المنطقة، يصارع النمط المحلي و عموما مع بداية الخمسينيات بدأت تنتشر أحياء جديدة محيطية حول غرداية و مليكة السفلى، اللتان تستقبلان البدو الرّحل و هي : مرماد ، العين ، بابا السعد ، دادةعلي، ثنية المخزن ،حي الحاج مسعود، في أروقة بدايتها المستعمر.

5-3- المرحلة الثالثة:من الاستقلال إلى يومنا هذا. (إطاحة المستعمر وبداية ثورة البناء).

وبعد خروج المستعمر الذي عمل على هدم كلي للأنظمة التقليدية والاجتماعية والاقتصادية، وتركه فراغا واسعا الذي أثر على اختلال التوازن بين الإنسان وبيئته، والتي برزت بشكل متباين بعد الاستقلال وتمثلت أساسا في الفوارق الاجتماعية والثقافية بين تركيبة المجتمع المحلي وفي تدهور المحيط بشكل عام. ومع مطلع الاستقلال بدأت قبائل الرحل بالاستقرار حول المدن ضمن أحياء محيطية على أساس ظهور المناطق البترولية، لتكون سبب مباشر في التغير الاجتماعي والعمراني، وأصبحت الاحياء المحيطية مسرح لتيارات الهجرة.

وعلى الرغم من تعمير المنطقة منذ قرون، إلا أن جزء من الأحياء المحيطية تعد إنتاج وفكرة استعمارية، فهو الذي وضع لها حجر الأساس ونمت في أحضانه لأكثر من 105سنة (1857 إلى 1962م)، ثم واصلت نموها بعد الاستقلال ولكن بشكل وبأنماط مختلفة.

إن دراسة التوسع المجالي ستساعدنا على معرفة طبيعة الأشكال والنماذج الحضرية للمجال المبني، والعوامل المؤثرة في ذلك. نشير إلى مراحل توسع التعمير بوادي ميزاب في ظل الاستقلال بالاعتماد على مؤشرات ديموغرافية واقتصادية وسياسية التي شهدتها المنطقة. والمراحل التي اعتمدنا في تحديدها بحسب المعطيات والخرائط والوثائق المتوفرة .وقد قسمنا هذه المراحل إلى تسعة، أما عند انجاز خريطة التوسع المجالي، قمنا باختصارها في خمس مراحل أساسية لتسهيل قراءتها، ومراحل التوسع المجالي المعتمدة هي:

5-3-1-مرحلة1962-1966:الأحياء المحيطية كمظهر هام للتوسع.

مع نهاية الفترة الاستعمارية وبداية السنوات الأولى للاستقلال ظهرت أحياء محيطية بجوار النسيج القديم القائم بالمنطقة، حيث شهدت هاته الفترة تدعيم الأنوية القديم المتمثلة في القصور، وما ميز هذه الفترة، التسابق نحو الاستحواذ وتملك الأراضي والعقارات داخل الوادي خاصة الفضاءات الموجودة ما

بين مدن غرداية وبني يزقن و مليكة و بنورة، بذلك ساهمت في نمو الأحياء المحيطية بصورة واضحة كمظهر التوسع العمراني بوادي ميزاب.

كما شهدت هذه المرحلة نمو أنوية بعض الاحياء المحاذية لغرب مدينة غرداية التي تحولت فيه الأراضي الزراعية بشكل تدريجي إلى ورشة توطن عمراني للأهالي الاباضية والمالكية على حد سواء، حيث ضم كل من حي العين وبابا السعد، ورغم ذلك بقية هذه الأحياء محدودة من حيث النمو في هذه الفترة نظرا لبعدها النسبي عن مجال الخدمات العامة.

5-3-2-مرحلة 1966-1974:من التوسع الدائري إلى الزحف الخطي

على أثر فصلها عن مقاطعة الواحة "ورقلة حاليا" وإلحاقها بالأغواط 1974 ما جعلها تتمحور حول مدينتين اقتصاديتين وحوضي حاسي مسعود و حاسي الرمل، وكانت مدينة غرداية ممول تجاري لكل من هاته المدينتين والمناطق المجاورة، حينها أدرجت غرداية ضمن البرنامج الخاص المتعلق بالمناطق المحرومة في إطار التنمية المحلية الذي صادق عليه مجلس الوزراء لفائدة ولاية ورقلة عام 1966. ومن هنا بدأت البوادر الأولى اللامركزية، أين أعطت الدولة أهمية كبير لمكنوزات المنطقة عندما أدرجت المنطقة ضمن المناطق التاريخية، و صنفت سنة 1971 كتراث وطني، وجب الحفاظ عليه.وعلى غرار ذلك بدأت تظهر بعض التجهيزات الإدارية مثل فندق ميزاب 1966و ورشة الدراسات والترميم لوادي ميزاب 1970. وتوسع في هذه الفترة قصر بني يزقن من الناحية الشمالية بنمطين الحديث والقديم من خلال تجزئة حي أولاد يدر الذي اقترح من طرف"رافيرو"[14]، و خلالها عرفت المنطقة امتداد حضري وتوسع بشكل خطي على طول سهل وادي مزاب. وساهمت في ذلك بشكل كبير بعض المخططات العمرانية التي عرفتها المنطقة السابقة الذكر[15].

5-3-3-مرحلة 1975-1985: توسع بواسطة التوطن الصناعية

وفي إطار تطوير الصناعة بالمنطقة واستقطاب عدد هائل من السكان، باشرت الدولة بإنشاء المنطقة الصناعية على مستوى الهضبة من الناحية الجنوبية للمدينة، بالقرب من الطريق الوطني رقم 01، وكان ذلك مع نهاية المخطط الثلاثي، لاستقطاب أكبر عدد من السكان وفك الخناق على مركز المدينة.

وخلال هذه الفترة ظهرت أحياء في إطار البناء الذاتي مثل، حي التوزوز، و بلغنم وحي الشعبة غرب غرداية، ومن مميزات هذه الإحياء، طريقة توضعها على المجال من خلال ملئ الفراغ القائم بين التجمعات السكانية، بالرغم من إمكانية عدم التوسع شمالا لوجود عائق طبيعي كشعاب بوهراوة التي تعتبر كمنفذ رئيسي للمنطقة نحو الشمال، ظهرت على ضفته أحياء ضمن مجال هش وحساس منها

[14]-BOUSQUET C., 1986 : " Les nouveaux citadins de Beni Isguen, M'Zab (Algérie)", URBAMA n0 17, Tours (tome 2), p442, pp. 435-450.

[15]–راجع المخططات العمرانية التي عرفتها المنطقة سابقة الذكر،ص53-57.

مرماد، دادة علي والحاج مسعود من الجهة الشرقية، أين بقيت هذه الأحياء محدودة النمو وعرضا للحملات المتكررة للواد.

5-3-4-مرحلة1986-1997:تواصل النمو المجالي .

من خلال هذه المرحلة تواصل التوسع المجالي للمدينة، ودائما في جميع الاتجاهات عندها وصل التعمير ذروته، والتدهور الذي آلات إليه المنطقة، تفطنت السلطة آنذاك إلى ضم النسيج العمراني للمنطقة و إلحامه ضمن مخطط عمراني موحد الذي أفرج عنه 1992.

من خلال هذه المراحل شهدت أشغال التهيئة والتعمير في بلديات سهل وادي ميزاب، نقائص كبيرة واختلالات واسعة أدت إلى ظهور جيوب عقارية فوضوية في شعاب المدن، واستيلاء غير قانوني على بعض الأراضي وإنجاز بنايات بدون رخصة، بجانب الاستحواذ على مساحات تابعة للملكية العامة، وعدم التحكم في مسايرة ريتم التسارع العمراني الذي تعرفه مدينة غرداية عاصمة الولاية .

وكمبادرة من طرف السلطات المحلية للحد من توسع قصر بني يزقن، شرع في أنجاز أول مشروع عام 1995 "قصر تينميرين" كخيار جديد لتوسع قصر بني يزقن والذي كان اول مشروع تبادر به جمعية تويزة المحلية وبمساهمة الخواص وكل الفاعلين من مجتمع مدني.

5-3-5-مرحلة 1998-2008: انفجار المجال المبني وتنوع أنماطه وتعدد الفاعلين

وقد باشرت السلطات المحلية في هذه الفترة في إنشاء المجمعات الثانوية المحاذية للتجمع الحضري لوادي مزاب بكل من "بوهراوة ، واد نشو"كمناطق مستجابة لتوسع مدينة غرداية على المدى المتوسط والبعيد قادرة على تحمل الثقل السكاني الناجم عن نمو المدينة.

- أولاً: تميزت هذه الفترة بزوال احتكار الدولة لإنتاج المجال المبني، نتيجة تضاربات أسواق العقار،مما جعلها تفتح المجال أكثر لمساهمة المواطنين والجمعيات المحلية والخواص والهيئات الحكومية في إنتاج المباني، ومساهمتها الفعالة في توسع المدينة. هذه الهيئات هي الوكالة العقارية(A.F.L) و ديوان الترقية و التسيير العقاري (O.P.G.I) وكانت جل التحصيصات الموجودة ببوهراوة تابعة لها، على أثرها ساهمت بشكل كبير في التعمير والتوسع العمراني على مستواها وشجعت على الخروج من قاع الوادي، وعلى غرار البرامج السكنية الموجود بها تم اقتراح 3000 تجزئة في إطار البناء الذاتي بكل من تجزئة بوهراوة(1-2)، على موضع يتسم بالميل الشديد نحو الشعاب المؤدية لواحة بنورة غرباً.

- ثانياً: تميزت هذه الفترة كذلك بمساهمة الخواص في دفع عجلة التعمير في صيغة قصور جديدة روعي في تشكيلها الطابع المحلي، في الجزء الجنوبي للمنطقة بكل من العطف و بن يزقن أين باشرت الجمعيات المحلية والخواص في إطار الحد من تدهور الواحة، في إنشاء بعض التحصيصات الخاصة على شكل قصور جديدة مستلهمة من نمط القصور القديمة منها قصر الحمريات في بلدية العطف، قصر تافيلالت و تينميرين و تونزا كتوسع لقصر بن يزقن من الناحية الجنوبية.

5-3-6- مرحلة 2008-2014: مساهمة الدولة في محو كارثة 1أكتوبر2008 ودعم وتيرة التعمير الآمن.
أظهرت مختلف الدراسات المتعلقة بأسباب حدوث فيضان غرداية إلى أن 80% تعود إلى العامل البشري، وترجع إلى تجاوز أصحاب البنايات الخاصة والعمومية للمقاييس القوانين والعمرانية، حيث بنيت على ضفاف الواديان آنذاك.

كما سجل حسب مديرية السكن والتعمير،29229 مسكن متضرر وإنهيار2370مسكن وإتلاف ما يزيد عن 500محل تجاري وتشرد4000 عائلة. وأمام تفاقم الأوضاع من جميع النواحي باشرت السلطات المحلية في تدابير إستعجالية، بإجلاء المنكوبين في السكنات الجاهزة(الشاليهات)، بكل من واد نشو وبوهراوة وبعد مرور سنتين استفادوا من تحصيصات في إطار البناء الريفي، وساهمت الدولة بقسط كبير في إيجار سكنات وتحسين الأوضاع المادية والاجتماعية، قامت كذلك بإنجاز 1350وحدة سكنية على مستوى منطقة واد نشوا في إطار محو كارثة 2008. وإعادة بناء 400سكن في إطار امتصاص السكن الهش التي كانت موجهة إلى كل من حي مرماد، ثنية المخزن والعين، بالإضافة إلى إخراج بعض التجهيزات من إداريات ومديريات من الواد وتحويلها إلي سفح الهضبة بكل من بوهراوة و النوميرات، وكل هذه المشاريع ساهمت في توسع وتمدد المنطقة خارج نطاق الواد.

وعلى العموم ما يلحظ على مستوى التجمعات الجديدة التي تم سردها سابقاً، غياب كلي للسكنات المنجزة"الممولة" من طرف الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط (C.N.E.P) و المؤسسة الوطنية للسكن العائلي (EPLF) ، باستثناء تعاونية الفتح الواقعة على مستوى منطقة النوميرات بمساحة 15528م^2، وتعاونيتي المستقبل والشباب على مستوى منطقة واد نشو التي بقيت مجمدة إلى حد اليوم .كما تم اقتراح 450 مسكن من النمط نصف جماعي للبيع بالإيجار"AADL" التي تشرف عليه وكالة عدل، بوصفها المتعامل العقاري المفوض لإدارة المشروع، على مستوى مجمعة واد نشـــــو لوحدها.

خريطة رقم 12:

مـــــراحل التوسع العمراني للتجمع الحضري لوادي ميزاب.

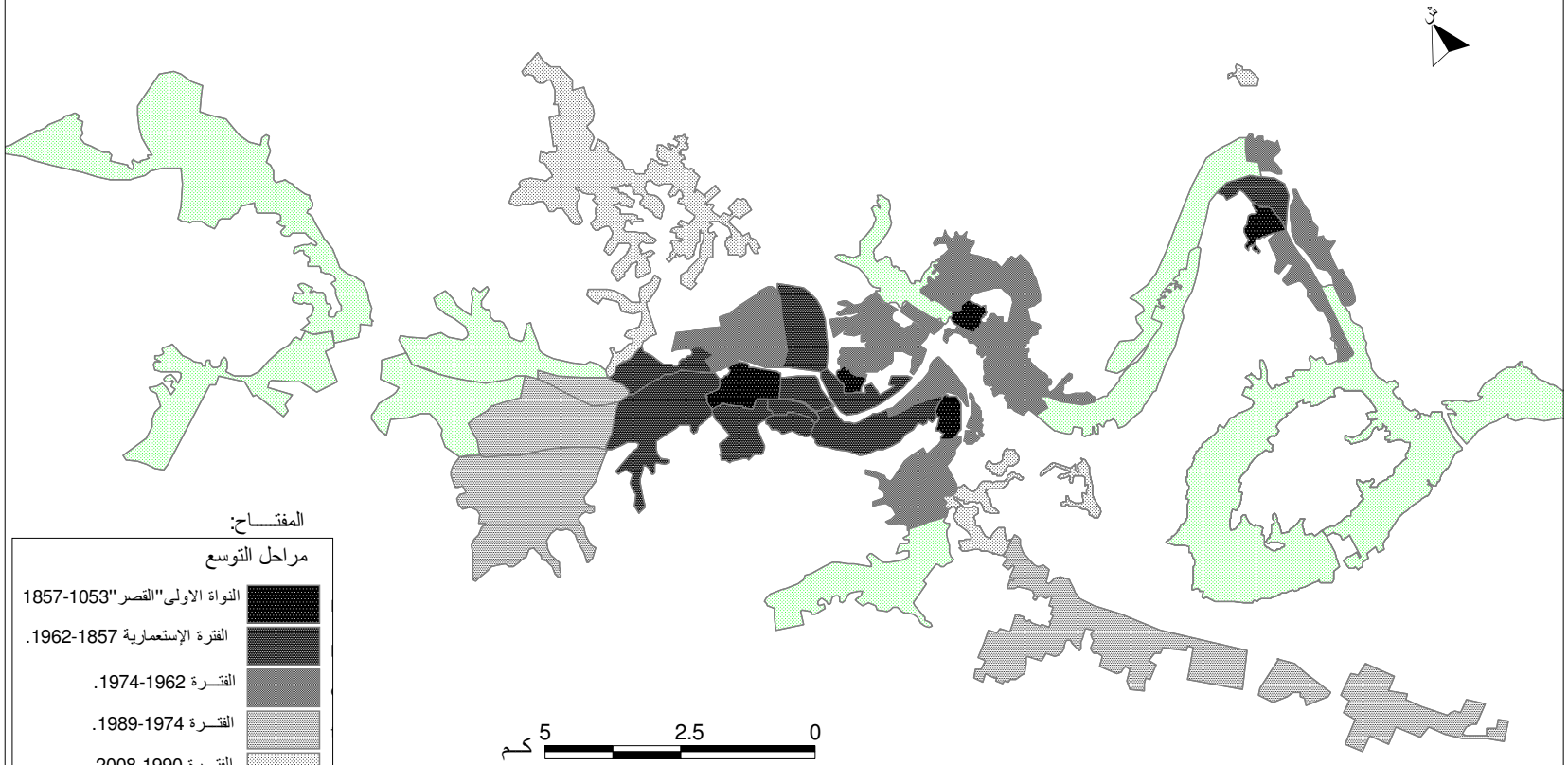

6-مخطط توجيهي موحد لبلديات وادي ميزاب:

تجتمع بلديات سهل "وادي ميزاب" الاربعة في العديد من الخصائص والمميزات التي أكسبتها خصوصيات مشتركة، وبحكم موضعها وهشاشة بيئتها الحضرية، و تموقعها في بيئة جغرافية واحدة ونظرا لتدهور ظروف بنيتها الحضرية ارتأى المسؤولون المحليون إدراج المنطقة كلحمة واحدة ضمن مخطط عمراني موحد، يأخذ على عاتقه معادلة الاختلالات الراهنة مع التحكم في مسايرة التسارع العمراني. حيث يعود آخر مخطط توجيهي للتهيئة والتعمير لبلديات سهل وادي مزاب إلى سنة1992[16] وتم فيه تحديد التوجيهات الأساسية للتهيئة العمرانية لهذه البلديات بشكل موحد، كما تم فيه ضبط الصيغ المرجعية لمخطط شغل الأراضي، ويحمل ذات المخطط تقديرات إلى سنة 2012، ويتم حاليا في مرحلة متقدمة العمل بمخطط توجيهي بديل يساير المعطيات الجديدة.

وعادةً يتم إعادة النظر في المخطط التوجيهي طلباً من السلطات المحلية في حالات عديدة منها: استنفاذ الوعاء العقاري للاحتياطات العقارية مخصص للبلدية، أو في حالة وجود بعض الثغرات، وكذلك في حالة إذا ما باءت هذه المخططات بالفشل، ويوم يجري العمل بالمرحلة الثالث من مراجعة المخطط بعد المداولة الأولى حول إنشاء المخطط والتي صادقت عليها المجالس الشعبية البلدية المعنية، وتم وضعه تحت تصرف الجمهور بمقر البلديات للاطلاع عليه، وخضعت المرحلة الثانية من المخطط كذلك للمداولة وتخص التهيئة بعد تسجيل الملاحظات ورفع التحفظات المتعلقة بالمرحلة السابقة. أما المرحلة الثالثة وتتعلق بالتقنين فهي في طور إعداد التقرير النهائي، قبل المصادقة الأولية عليه من طرف المجالس البلدية المعنية ثم عرضه لاحقا على الجمهور للاستقصاء العمومي والمصادقة عليه من طرف المجلس الشعبي الولائي ووالي الولاية.

وقد جاءت مضامين المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير الجديد حسب كل بلديات التجمع الحضري لوادي ميزاب في أربع قطاعات وهي[17]:

1-قطاع معمرة: تشمل كل الأراضي المشغولة أو المملوكة لأصحابها، أو في طور التعمير، بحيث تتميز بوجود أنسجة عمرانية وتركز عدة نشاطات، فهي القطاعات غالباً ما يكون التدخل فيها حسب المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير عن طريق :إعادة الهيكلة،التجديد،إعادة التأهيل، ويكون هذا عادة في حالة أماكن ذات القيمة التاريخية والمعمارية، لمدة لا تزيد عن 5سنوات.

2-قطاع مبرمج للتعمير: يشمل الأراضي المعرضة للتعمير في أجال لا تتعدى 10سنوات، لذا يتم تقنينها من طرف المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، قبل اجتياحها عن طريق التعمير الفوضوي،وتضم منطقة

[16]-Ministère de l'habitat, PDAU de la vallée du Mzab, Bureau d'étude URBATIA, Agence de Ghardaïa, Année 1992.

[17]- Etude de Révision Plan Directeur d'Aménagement et d'Urbanisme, Vallée du Mzab, troisième phase, Bureau d'étude URBATIA, 2007.

واد نشو مساحة مقدرة ب300هكتار، بوهراوة ب600 هكتار، والقطب الحضري ببنورة ،وسهل حمريات بالعطف، والشعبة الحمراء و بوبريك ببلدية ضاية بن ضحوة.

3- قطاع التعمير المستقبلي: يشمل الأراضي الموجهة للتعمير على المدى البعيد المقدر حسب المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ب20سنة، فأدرجت هذا القطاعات في المخططات التوجيهية للتهيئة والتعمير له بعد ذو أهمية كبيرة من خلال إدراج فكرة التنمية المستدامة للمجال الحضري بصفة عامة والعقار بصفة خاصة، بحيث يضمن إمكانية التوسع المستقبلي ويحد من إهدار العقار. فهي تشمل الأقطاب العمرانية الجديدة التي هي في أروقة التوسع العمراني حيث أن قدرت مساحاتها : بنورة ب240هكتار،النوميرات منطقة علمية ب1100هكتار، بالإضافة إلى سهل حمريات ب200هكتار، وبوبريك بلدية ضاية بن ضحوةب300هكتار.

4- القطاع غير القابل للتعمير: يشمل جزء من الأراضي التي تكون داخل المحيط العمراني إلا أنه يمنع فيها البناء منعا باتاً بسبب وجود عوائق وارتفاقات خاصة، وفي هذا الخصوص تشمل كل من الواحات والأراضي الصالحة للزراعة ،والمناطق المعرضة للفيضانات،المقابر،المحاجر، المناطق الأثرية، ومجال ارتفاق مختلف الشبكات...

ويهدف مشروع المخطط التوجيهي لبلديات سهل وادي ميزاب في مجمله إلى فك الضغط العمراني والسكاني على المنطقة القابعة في وسط الواد، وإيجاد بدائل للتوسع العمراني خارج المحيطات الراهنة، أين نجم عن الوضع الراهن ظهور بنايات فوضوية على ضفتي الوادي و الاحياء محاذية له مثل حي ثنية المخزن، بن سمارة ، مليكة السفلى، سيدي أعباز و غيرها، مما يستوجب التفكير بصفة جدية في إنشاء أقطاب عمرانية جديدة، بعيدة عن مركز الوادي في أماكن أقل خطورة وأكثر ملائمة للعمران. لذلك اليوم استوجب دراسة التجمع الحضري لوادي ميزاب كلحمة واحدة على أساس خصوصيات مشتركة، وتضفي قيمة زائدة لدى الباحث، وعلى الرغم من طبيعة و خصوصية المنطقة الا انه يظهر لنا وجود خلل في تجمع بلديات وادي ميزاب التي بقيت كفكرة نظرية لم تأخذ بعين الاعتبار خطر الحملات المتكررة للفيضانات، بإلاضافة إلى استنزاف كل الجيوب العقارية على مستوى مركزها.

1-6-مخطط شغل الأراضي:"اعتماد73مخططا لتنظيم المجال بالتجمع الحضري لوادي ميزاب"

يعتبر مخطط شغل الأراضي أداة للتخطيط والتسيير الحضري ويحدد بالتفصيل في إطار توجيهات P.D.A.Uحقوق استخدام الأراضي و البناء، ويستوجب على كل بلدية أن تخلق مخطط شغل الأراضي التي تشمل مجالها العمراني من أجل تنظيمه وتحديد قواعد البناء فيه، حيث يقترح المخطط المستقبلي للتهيئة والتعمير 73 مخططا لشغل الأراضي في مجموع تراب بلديات وادي ميزاب. وتنقسم المناطق التي تشملها مخططات شغل الأراضي، إلى أربعة أصناف، الذي تم بناؤه على ضوء المخطط التوجيهي للتهيئة

والتعمير، ويشمل توضيحا كميا لهذه التصنيفات ولكيفية توزيع المخططات على تراب البلديات المعنية، والجدول الموالي يوضح ذلك:

الجدول رقم 06: مشاريع مخططات شغل الأراضي لبلديات سهل وادي ميزاب.

تصنيف المناطق / عدد المخططات حسب بلدية	مناطق معمرة	قابلة للتعمير للمدى القصير	قابلة للتعمير للمدى المتوسط	قابلة للتعمير للمدى الطويل	المجموع
بلدية غرداية	15	7	8	2	32
بلدية بنورة	6	5	6	1	18
بلدية العطف	9	1	/	/	10
بلدية ضاية	7	4	1	1	13
المجموع	37	17	15	4	73

المصدر: Révision P.D.A.U , Vallée du Mzab, troisième phase,2007

فهذه المخططات القائمة منها والمبرمجة التي حددت في إطار مخطط توجيهي للتهيئة والتعمير، والغرض منها تحقيق الخطوط العريضة المسطر لها حسب احتياجات كل بلدية، وما يمكننا قوله أن مخطط شغل الأراضي يعد كحلقة ربط بين المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير الذي يعطي توجيهاته العامة على مستوى بلدية وأدوات التهيئة والتعمير التي يتم العمل بها على أصغر خلية على مستوى المدينة وهي الأحياء.

خريطة رقم :13

إستخدام الأرض بالتجمع الحضري لوادي ميزاب

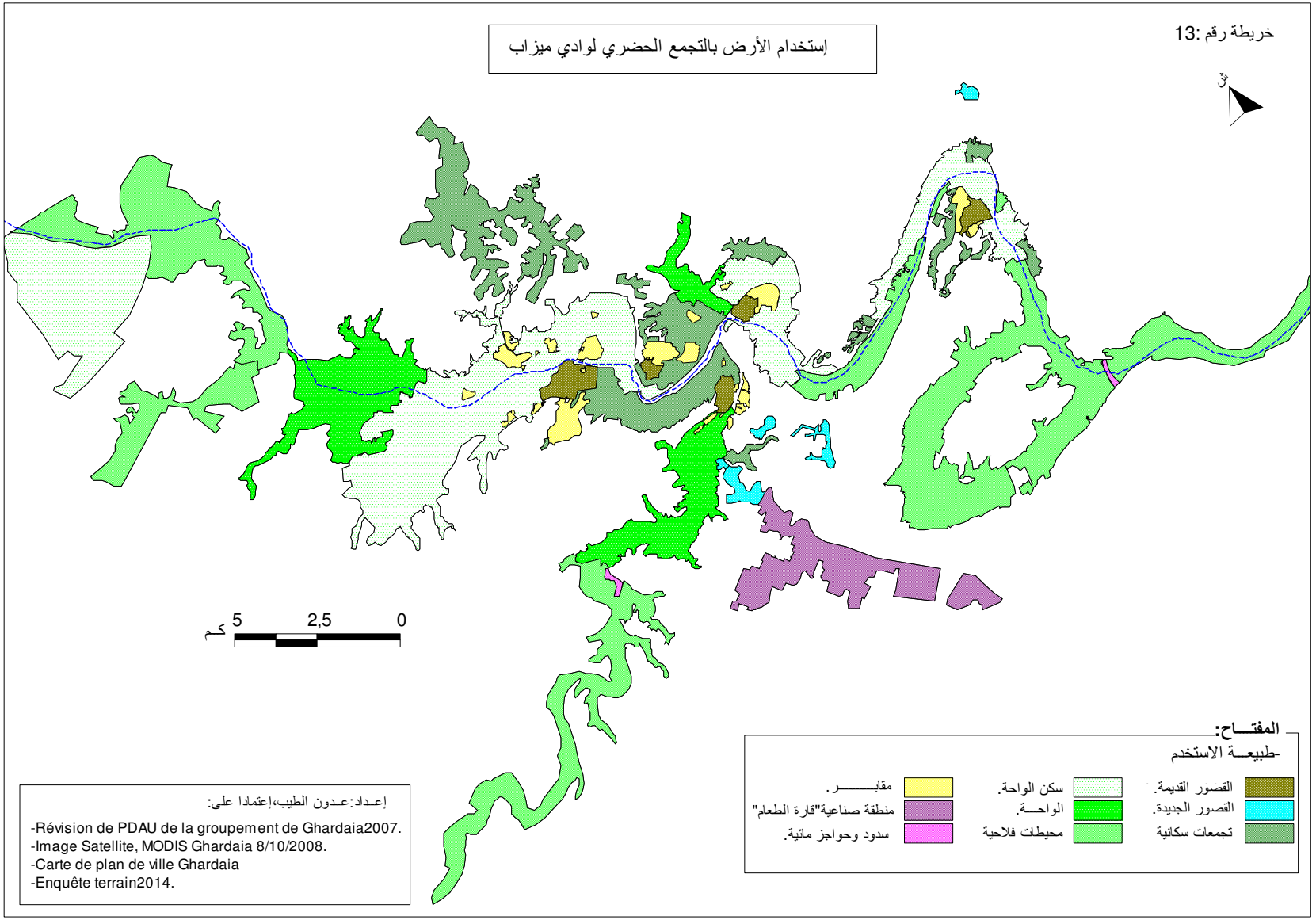

2-6- تباين في شغل المجال أهم سمات أستخدامات الأرض:

انطلاقا من الخريطة السابقة قمنا ببعض التحاليل الحسابية، أين خلصنا في الأخير إلى الجدول الموالي مبرزين في ذلك طبيعة شغل المجال حسب المناطق المصنفة على مستوى منطقة سهل وادي ميزاب. و نهدف من هذه العملية إلى قراءة شاملة وجيدة للمجال، وتشخيص صور عامة للمنطقة ككتلة متكاملة مع الوسط، رغم عوائق طبوغرافية، من شدة الانحدار إلى مجرى الواد و الأراضي الزراعية الخصبة، مما أدى إلى توسع المنطقة بشكل خطي على طول مجرى الواد مع تباين مجالي فرضته الطبيعة وحضنته المنطقة.

الجدول رقم 07: استخدامات الأراضي لبلديات سهل وادي ميزاب

المنطقة	المساحة(هكتار)	النسبة المئوية
القصور القديمة	87,62	1,85
القصور الجديدة	49,35	1,04
تجمعات سكنية	610,9	12,86
سكن الواحة	1380	29,06
الواحة	554,1	11,67
محيطات فلاحية	1574	33,15
المقابر	146,1	3,08
منطقة صناعية	338,5	7,13
سدود	7,98	0,17
المجموع	4748,55	100

المصدر:حسابات الطالب، انطلاقا من خريطة سابقة.

يتضح من خلال الجدول رقم 07 والخريطة رقم 13 هيمنة الإطار السكني بكل أشكاله(القصور القديمة والجديدة، تجمعات سكنية، سكن الواحة) الذي يمثل أهم أشكال استخدام الأرض بحوالي 44.81%من المساحة الإجمالية، وهذا أمر طبيعي في كل مدينة، لأن السكن يمثل مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية و الوظيفة الأساسية للمجال الحضري. فالتجمعات السكنية لغرداية الحالية تعادل ما يقارب 8 أضعاف المحيط المبني للقصور الخمسة القديمة المتوضعة بالقمم الصخرية والبعيدة عن خطر الفيضانات. ولكن من غير الطبيعي أن تمثل السكنات القابعة داخل الواحة نسبة 29.06%من الحيز المسكون، الذي يؤثر بشكل كبير على تراجع النشاط الفلاحي بالمنطقة بسبب التآكل المتزايد للأراضي وتفكك البنية الفلاحية(Le mitage de l’espace agricole[18]) للمجال المخصص للفلاحة والنشاط التقليدي، وهذا ما يبرز الاسراف والاستنزاف في حق الثروة الواحية من خلال التوسع على حساب البقع الخضراء.

[18]-"Le mitage de l’espace agricole":تآكل الأراضي الزراعية، نتيجة الزحف العمراني على أراضي الفلاحية كحتمية طبيعية فرضتها ظروف معينة، مثل تفكك الملكية الجماعية للأرض ، أو رغبة الفرد في الاستقلال عن الأسرة ، وبناء مسكن وغير ذلك.

وأما المحيطات الفلاحية فتمثل 33,15%من المساحة الاجمالية، أي ما يفوق 3/1من المساحة المشغولة على امتداد سهل وادي ميزاب. وهذا ما أكسبها أهمية كبيرة في المساهمة في الاقتصاد التقليدي للتنمية وتطوير المنطقة، بالإضافة إلى السدود والحواجز المائية المقدرة بحوالي 0.17% التي أنجزت بغرض وقاية وحماية وادي مزاب، ولدعم عجلة التنمية الفلاحية بالمنطقة .

صورةرقم06: سكنات فوضوية بحي مليكة، متواجدة على مجرى الوادي. (أفريل 2013).

صورةرقم07: واحـــة غرداية –تآكل الأراضي الفلاحية (OPVM.2014).

كما توجد شبكة هامة من الأودية بالمنطقة تم انجاز سدود لتجميع مياهها منها:سد "أحباس[19]"بالعطف الذي يعتبر مجمع لروافد وادي ميزاب،سد بوبريك بالضاية، السد الكبير لبني يزقن. ولقد كان لظهور التصنيع أثر مباشر وغير مباشر على الواحات، فبعد ما كانت النخلة تمثل رمزا للثروة ومجالا مناسب لسكان الواحات تحول خلالها الدعم المادي الذي انصب على الزراعة نحو الصناعة وهذا ما يفسر مدى استقطاب القطاع الصناعي لعدد هائل من الفئة النشطة بالمنطقة، حيث قدر بحوالي 7,13% وبمساحة إجمالية تفوق 338,5 هكتار وهذا ما يعكس حجم الاستثمار التي فتح لها الأبواب أمام مشاريع صناعة قوية وأفاق واعدة، وكان الغرض من إنشاءها بغية تحفيز ساكني المنطقة بالخروج من الواد باتجاه الهضبة ، وكونها تتواجد أيضاً ضمن أروقة و أقطاب توسع المدينة .

فأمّا المنطقة الصناعية بنورة منذ إنشاءها سنة 1970 دخلت في الإنتاج الفعلي 1977، الذي ضم 25وحدة موجهة للخواص[20]. ومن أشهر النشاطات المتواجدة بها :مصانع الجبس لشمال إفريقيا، المؤسسة الوطنية للأنابيب، مواد البناء والسيراميك والزجاج، صناعة المطاط والبلاستيك، صناعة النسيج.

وأما الاستخدامات الخاصة مثل المقابر التي تنتشر عبر سهل الواد تمثل مساحة لا يستهان بها حوالي 146,1هكتار؛ أي ما يفوق3%من إجمالي المجال المشغول، حيث تتواجد بهذه المقابر مساحات للقبور والمحاضر (المصليات) وتميزها ازدواجية الحياة الدنيوية والحياة الأخروية، كتجسيد للمعتقد الديني عند سكان المنطقة. كما تم تسجيل وجود مقابر مسيحية وأخرى يهودية بحي مرماد، و مقبرة نصرانية في الناحية الشمالية لحي ثنية المخزن. إن المساحات الكبيرة التي تحتلها كل هذه المقابر تشكل عائقاً أمام كل أشكال التوسع التي طالت المنطقة، فبعدما كانت المقابر قائمة بأطراف المدن، أصبحت اليوم تشغل قلب التجمع العمراني، الذي يعرف وضعا مزريا فيما يتعلق بالمرافق من حيث عدم كفايتها، باعتبارها أراضي حبوس تابعة للأملاك الوقفية غير القابلة للنقل ولا للتجزئة، و يستحيل التوسع على حسابها .

3-6- تشبع المنطقة على أثر استنزاف العقار الحضري:

أظهرت مختلف الممارسات السابقة لطبيعة استغلال العقار ضمن المجال المدروس إلى التباين في النمط الاستهلاكي الحديث نتيجة الحاجيات العصرية مما يؤدي إلى تغيير معايير القيم ومن بينها القيم العقارية. فمنذ مطلع الاستقلال، الفراغ الذي تركه المستعمر استحوذ عليه أهالي المنطقة، والتسابق نحو امتلاك عقارات على طول وادي ميزاب، فقد أخذ التعمير الخطي عبر وادي مزاب بالموازاة مع محور الوادي أشكالا عشوائية بشغله للأراضي الفلاحية الخصبة، وقضائه على مساحات كبرى من الواحات القريبة من القصور، مهدداً بذلك ديمومة النظام البيئي للواحات التي قامت على خطها قصور وادي

[19] -"أحباس":هياكل الري أي السد من خصوصيات وادي مزاب وهي مكسرات لقوة مياه الوادي وتحويل لمسار الوادي. للتعرف على المزيد عن منشآت الري أنظر، لمسن الناصر بن بابا،2011،"العرف في التعمير والسكن والفلاحة والري بوادي مزاب "، نشر جمعية إحياء التراث وحماية الآثار جمعية البيئة وحماية المجتمع، القرارة غرداية ص 63.

[20]-Direction de la Programmation et du Suivi Budgétaires Annuaire statistique de la wilaya de Ghardaïa,2012, P93.

ميزاب و قاومت المناخ الصحراوي منذ مئات السنين، ذلك النظام القائم على الاستغلال العقلاني للمجال المترجم بتعدد وتشتت التجمعات العمرانية المتواضعة الحجم فوق هضاب صخرية بعيدة عن أراضي الواحات الخصبة المحيطة بالقصور من كل جهة .

ومما زاد من ارتفاع العقار وقلة توفره من جهة أخرى زوال النمط المحلي الأصيل. كما يؤكد تمركز النشاطات الاقتصادية والإدارية على طول المحور الرابط بين غرداية وبني يزقن ومحور غرداية نحو العطف وسيدي أعباز والمنفذ بوهراوة شمالا خلق الندرة العقارية وتأثيراته على امتلاك الاراضي داخل الوادي. وفي ظهور أشكال ونماذج عمرانية جديدة على نطاق واسع تنافس تشكيلة القصور،على أساس تسارع وتيرة استهلاك العقار ولم تتمثل فقط في التحام المـدن القديمة بل انعكس أيضا علـى عمليات التعمير وتغيير نمـط الاستهلاك، وحسب ما صرح لنا به لدى الوكالة العقارية ببنورة أن مساحة النمط التقليدي للمسكن الواحد بالقصر مقدربـ 70إلى 80م²كحد أقصى، يقابله اليوم في بعض الأشكال السكنية الجديدة بمنطقة بوهراوة بمتوسط مساحة تقدر بـ 128م² ونتج عن ذلك استهلاك أكبر للمجال والعقار كثروة لا تزول يراهن عليها اليوم ضمن مجالات التنمية الواسعة للمدن.

خلاصة:

إن التوسع العمراني ظاهرة حتمية والخيار الوحيد لأي مدينة، فمادامت في نمو و تشكل فهي سائرة في طريق التوسع بمختلف أشكاله.

فغرداية المدينة النموذجية القابعة في وسط الواد، عرفت طابع عمراني غربي مع دخول المستعمر حينها امتزج تكوينها العمراني القديم بالحديث، وبدأت تنتقل من قاع الوادي إلى الزحف الخطـي نحو الأطراف الذي صاحبه تأثير واضح على مجالها، وهذا الأخير انعكس بشكل واضح على الأنماط الحضرية. ومع تفاقم الأوضاع العشوائية التي شهدها العمران بعد الاستقلال، استعانت الدولة آنذاك بالخبرة الأجنبية تجلى ذلك في اعتمادها على بعض المخططات والمشاريع ومقترحات المهندسين الأجانب لوضع إستراتيجية للتوسع.

وقد شهدت منطقة وادي ميزاب تطوراً عمرانياً سريعاً خاصة بعد الاستقلال، وهذا نتيجة انتهاج سياسة تنموية اتجاه المنطقة كما عرفت المنطقة توسعات خارج المدينة لعدم تواجد مساحات شاغرة للتعمير في المدينة، ونتيجة الزيادة السكانية و الهجرة نحو عاصمة الإقليم التي تتميز بتعداد الوظائف وفرص العمل التي مهدت لها الدولة من خلال إنشاء المنطقة الصناعية، والاستقطاب الكبير الذي وصل صداه للمدن المجاورة.

فالتوسع العمراني غير المخطط كان له تأثير كبير على تغير ملامح المنطقة حيث تسبب في تكدس عمراني وسكاني، بالإضافة للآثار الاجتماعية وتركيبة المجتمع، رغم ذلك لا يمكننا إهمال التوسع الذي اكتسح الواحة وما ترتب عنه من تآكل الأراضي بأنواعها. وفي ظل كل هـذا تفطنت السلطة المحلية إلى الأوضاع التي آلت إليها المنطقة والتي صنفت كتراث من طرف اليونسكو. باشرت في انتاج مجالات جديدة بعيدة عن الواد و النسيج القديم فوق مناطق أقل انحدارا واعتمدت في توسعها على شكل بقعة الزيت من خلال أنوية جديدة ليسهل التحكم فيها ويكون تسييرها أقل تعقيدا من المدينة الأم. وأصبح التوسع في المنطقة مختلفا عما كان عليه، حيث كان في السابق يتبع مجرى واد ميزاب،أما في الآونة الأخير أصبح توسع شريطي على امتداد الطريق الوطني رقم 01 .

الفصل الثالث
خصوصيات العمران الصحراوي

إن ظهور العمران بالصحراء ليس بالجديد كما روج إليه (في بعض الأوساط)، فقد امتدت بوادره منذ مطلع فجر الإسلام، أين عاشت معظم المدن العربية و الإسلامية الفترة التي طالها التحول الطبيعي والتاريخي للبيئة العمرانية السائدة، وعندها سادها تطور حضاري واجتماعي موزون، المستوحى من تعاليم الإسلام والعادات والتقاليد الاجتماعية للمجتمع، وكان من نتائج هذا التحول، تكوين بيئة عمرانية خاصة ومميزة عن بقية البيئات العمرانية في العالم .

ومع مرور الوقت تطور العمران الصحراوي التقليدي إلى العمران الحديث المعاصر. وخلال مطلع القرن الحادي والعشرين، بدأ يتجلى تأثر عمران المجتمعات الصحراوية بالاتجاهات والمداخل الغربية الحديثة في التخطيط العمراني وتغير صورة المدن الصحراوية التقليدية، كما ظهرت بعد قيام الثورة الصناعية وسائل وتقنيات حديثة في عمليات البناء ووسائل المواصلات التي أدت إلى إهمال التقنيات الموروثة في عمران المناطق الصحراوية التقليدية، وقد تشكلت تجمعات عمرانية حديثة بأنماط وأشكال جديدة لم تراعي استدامة طابعها العمراني. ومع بداية تطور العمران سواء من الجانب الاقتصادي والاجتماعي أو في الجوانب الثقافية والتشريعية، خلال مرور عقدين من الزمن تشعبت أنظمة العمران بالمنطقة واختلفت أنماطها نتيجة لاختلاف التوجه السياسي للبلد فتعددت مشاكل النمو العمراني بصورة غير منتظمة في المراكز العمرانية والتجمعات القائمة نتج عنها تزايد الضغط الشديد على أسس ومرتكزات الحياة، وظهور التجمعات العشوائية داخل الكتل العمرانية القديمة ومحيطها و بالأخص على حساب تآكل الأراضي الزراعية، وأثرها على إختلال توازن البيئة المحلية، و زاد من خطورة هذه الظاهرة المرضية وأثرها على النسيج القائم.

واليوم تطرح قضية ملائمة الفضاء العمراني للإنسان كراهن يعول عليه في عملية تنمية المجتمعات الصحراوية، الذي أصبح فيه الفضاء العمراني يخضع لآليات حديثة، هذه المشكلة لم تطرح من قبل في الأنسجة القديمة خصوصا المدن العربية الإسلامية والتي منها المدن الصحراوية، حيث تم إنشاء هذه المدن على أساس يتماشى مع متطلبات الإنسان الأساسية ويعكس القيم الاجتماعية والمؤثرات الثقافية التي جاء بها الإسلام، في توظيف المواد المحلية للتغلب على الظروف الطبيعية السائدة.

ولنا في هذا الجانب محاولة في دراسة الخصوصيات العمرانية للتجمع الحضري لوادي ميزاب بغرض تكوين صورة عامة عن الأنماط القديمة التي سار العمل بها لفترة طويلة، والتي اكتسبت اهتمام واسع لفئات متنوعة من شرائح المجتمع، بالاضافة إلى أنها مازالت تحافظ لحد الآن على النسيج القديم (القصر) رغم إحداث بعض التغيرات.

1-العمران الصحراوي المتجدر:

لقد قطن الإنسان الصحراوي منذ القدم ونظرا للظروف القاسية التي صحبته، استطاع التأقلم مع هذه الأخيرة وذلك من خلال إنشائه لمدن ذات طابع خاص ومميز والذي يتمثل أساسا في القصر والواحة وهذا ما يميز المدينة في شمال الصحراء الجزائرية.

فالمدن الصحراوية الجزائرية تخضع من جهة إلى مناخ حار وجاف ومن جهة أخرى إلى مساحات شاسعة، مما أدى هذان العاملان إلى إكسابها لخصوصيات كثيرة، حيث نشأت هاته المدن من نتيجة محاور محطات قوافل العصور السالفة وأخذت شكل المدينة.

يشكلان كل من الماء والواحة قاعدة أساسية لظهور محطة القوافل ومن جهة أخرى لم تعرف المدن الصحراوية ازدواجية نمط معماري إلا بعد امتداد الهجمة الشرسة للسرطان الاستعماري طيلة قرن ونصف محاولاً القضاء على هوية المجتمع، فورثت مدننا أنماطا معمارية غريبة عن المنطقة، كما اعتمدت مقاييس عمرانية موحدة عبر كافة التراب الوطني (PDAU-POS)، فتشابهت مدن الشمال بمدن الصحراء مما يثير مشاكل في قابليتها للسكن، وهذا الأخير راجع لعدم مراعاة الخصوصيات العمرانية والمعمارية والمناخية لكل منطقة.

ونذكر أن هاته المدن الصحراوية يختلف بعضها على البعض باختلاف الموقع، فالبعض منها ما هضمت كليا واحاتها (بشار، الأغواط) وأخرى أنشأت حديثا بدون واحة ولا قصر (تمنراست، حاسي مسعود) وهذا لا يعني أن كل هذه المجالات الاجتماعية الصحراوية لم تحافظ على طبيعتها. فنجد بأن مدينة غرداية تزخر بهندسة معمارية وتقاليد حضارية تعكس صورة حقيقية للمدن القديمة.

لقد عرفت مدن الصحراء دراسات عديدة إن لم نقل عنها بالمتواضعة فيما تعلق بالعمران وخصوصياته، من طرف العديد من الباحثين المختصين في علم العمران، حيث نجد بعض الدراسات أبرزت سمات وخصوصيات المجتمعات السائدة. فاليوم لم تعد الصحراء جرداء بعد اكتشاف الثروات الطبيعية البترولية والمعدنية الهائلة مع إحداث التكنولوجية في مجال الزراعة الصحراوية وشبكة من المواصلات التي غيرت الكثير من معالم هذه المناطق. فقد جاء تأكيد هذا على يـــد كوكبة من الباحثين ركزت دراستهم على الجنوب الشرقي ، نــذكر منهم "عبد الله فاري[1]" عندما أبرز في دراسته خصوصيات المدن الصحراوية ،متمثلة في كل من (بسكرة، تقرت، وادسوف) كنماذج المدن المتروبولية بهذه الناحية من الوطن، والنشاط الذي تلعبه في منطقة الصحراء المنخفضة والتي تمحور دورها في تنظيم المجال وتشخيص مسيرة التحولات الاقتصادية المهمة، حيث يبرز خلالها الدور التنظيمي

[1]-FARHI.A ., 2005: une forte micro urbanisation in COTE .M (dir): la Ville et le désert, le bas Sahara Algérien, Aix en Provence. Karthala-IREMAM .Paris.

والتقارب المجالي ضمن حدودها الإقليمية، زد على ذلك تضاعف عدد سكانها في الفترة 88/77 نتيجة قيام الصناعة والاستكشافات العديدة ، مع الرواج الواسع للتجارة.

و يذهب"جمال علقمة[2]"عند تطرقه إلـى خصوصية العمران على مستوى إقليم الصحراء المنخفضة بالجنوب الشرقي للجزائر، أين يؤكـد على قــوة "الميكروعمرانية" بالتجمعات التي يفوق عـــدد سكانها100.000نسمة، وكذا التذكير بمعظم المشاكل الناجمة عن هذا العمران من خلال تسيير الموارد المائية والحفاظ على المحيط عموماً.

أما"مارك كوت[3]"يبرز في هذا الصدد الخصوصية الحقيقية للعمران بنفس المنطقة وتوصل إلى وجود ما يسمى بمصطلح "الميكروتعميري" الذي ينسب إلى حقيقة التعمير المتسارع بالمنطقة، مع التأكيد على الجذور التاريخية العميقة للعمران و كيفية عرض خصوصيات العمران الذي تشهده المدن اليوم في ظل التطور السريع لوتيرة التعمير.

و انطلاقا مما تم سرده حول العمران الصحراوي من حيث الأهمية وما يحويه من تعقيدات التجمعات البشرية، سنحاول الربط ما بين مسار التعمير وخصوصياته مع محاولة إسقاطه على مستوى سهل وادي ميزاب من حيث الشكل والتنظيم ضمن خصوصيات النطاق الصحراوي.

2-العمران الميزابي:" إين تعد القصور أهم سمات هذا العمران"

إن العمران الميزابي جزء لا يتجزأ من عمارة الصحراء الذي أبدعته أنامل أوائل الأهالي النازلين على المنطقة، واستطاعوا التكيف مع بيئتهم القاسية. والحديث عن العمران الميزابي الذي تتميز به منطقة غرداية يقودنا إلى الإشادة بقصورها الخمسة السابقة الذكر الضاربة في الزمن، و أن التمعن في صورة منطقة وادي ميزاب، يظهر لنا جلياً تواجدها ضمن سلاسل صخرية غير معمرة و انحصارها ضمن المجال المحدود لوادي ميزاب مع شح مواردها المائية، وهذا ما يفسر توصل الأجيال الأولى الوافدين عليها بالاستغلال الأمثل للمجال بشكل يتماشى مع طبيعتهم ويعكس حياتهم الاجتماعية البسيطة مع الإبداع في ذلك.

فالعمران بوادي ميزاب تميز بعدة خصائص تعكس بساطة أشكال الوسائل المعمارية، وكل شيء هناك على مقياس الإنسان، وتعبر عن قيم اجتماعية سامية في توظيف أساليب البناء بفعل الاحتياج الذي فرضته قسوة البيئة الطبيعية. كما تظهر المدن على مستوى سهل وادي ميزاب على هيئة كتلة عمرانية متماسكة ومتلاحمة تتوضع على قمم جبلية صخرية، فقد رشحت بهذا الموضع لمراعاة الحصانة وعلى أن تكون في مأمن من سيلان الوادي مع الحفاظ على الأراضي الزراعية.

[2]-ALKAMA Dj.,2005 :une forte micro urbanisation in COTE .M (dir) : la Ville et le désert, le Bas Sahara Algérien, Aix en Provence. Karthala- IREMAM .Paris.

[3]-COTE M. , 2005:l'urbanisation aujourd'hui au Bas Sahara, Aix en Provence. Kharthala IREMAM .Paris

2-1-مفهوم القصر:

قد تعددت التعاريف والمفاهيم حول مصطلح القصر، أين يمثل الكيان العمراني الذي ساد جل الصحراء الجزائرية على العموم ومنطقة غرداية بالخصوص. وخلال إطلاعي على مختلف الأعمال والدراسات التي أجريت على القصور الصحراوية وما قيل عنها، يمكننا الجرد لبعض تعاريف القصر:

- القصر مصطلح يدل على كيان عمراني الذي يسود نمط توطن معين لمجموعة من الأفراد تربطهم روابط مشتركة ضمن بيئة صحراوية أو شبه صحراوية، مع توفر الماء كعنصر أساسي يساعد على الاستقرار. كما يشكل القصر وحدة سياسية و اجتماعية و اقتصادية محكمة، تنظم داخله حياة جميع الأفراد والمجموعات.

- و يعرف القصـــر مـن الناحية المورفولوجية، على انه كتلة كثيفة متماسكة ذات نسيج متضام وله علاقـــة مباشرة مع الواحـــة، وارتبط تواجده بالقرب من الأراضي الصالحة للزراعة والمجاري المائية وفوق قمم الجبال أو سفوح الهضبة الصخرية الصلبة، وليس الغرض منها دفاعي فحسب، ولكن للاستغلال العادل لعنصر الماء بطريقة مضبوطة ومحكمة. مثل القواعد العرفية التي تعارف عليها الناس، وساد العمل بها فيما بينهم إلى حـد الاعتقاد بحتميتها[4].

- إن القصر من الناحية الوظيفية يمثل نظام عمراني مصغر الأكثر تناغماً مع البيئة المحلية، فالنمط المعماري الشائع استعماله في الوحدات السكنية كان مقتصراً على مواد محلية الصنع وبعيد كل البعد عن جل المواد الحديثة التي عوضت المواد التقليدية في البناء.

2-2-مفهوم القصور الميزابية :

يُعَدّ القصر المزابي نمط عمراني محلـــي، يتألف من وحدة اجتماعية طبيعية محدودة بسور، يتواضع في شكل حلقات مركزية فوق مرتفع، أين يشغل قمة المرتفع المسجد الذي يلعب الدور القيادي نظرا لقدسيته، وحول المسجد تقام المباني والخدمات المتعددة الوظائف. أما من الجانب الاجتماعي فيعد الفضاء الثاني بعد المسجد الذي يجسد التكافل والتماسك الاجتماعي من خلال نظام عشائر محكم يتمثل في "مجلس العزابة[5]"الذي يصدر قرارات على شكل تشريع عرفي، وتنفـذ من طرف الجماعة وهذا ما يحقق قوة الترابط الاجتماعي ودرجة الانتماء للمجال.

[4]- لمسن الناصر بن بابا،2011،"العرف في التعمير والسكن والفلاحة والري بوادي مزاب "، نشر جمعية إحياء التراث وحماية الآثار جمعية البيئة وحماية المجتمع، القرارة غرداية ص 4.

[5]–مجلس العزابة:جماعة تتكون من أهل الورع والصلاح والثقة والصدق في الأمانة، ويقومون بجميع الوظائف الدينية والدنيوية.

2-3-الخصائص العمرانية للقصور الميزابية:

لقد تميزت المدن الميزابية بمورفولوجية كانت وليدة احتياجات وظروف سكانها، حيث لم يكن علم التخطيط معروفا بمفاهيمه ونظرياته المعاصرة، كما أن وسائل وأساليب البناء في العصور القديمة كانت تختلف كل الاختلاف عن مثيلاتها الحالية، وعلى الرغم من ذلك ظهرت اتجاهات تهتم بالعمرانية وتنـدد بقيم ومبادئ ومعايير في تخطيط المدن.

ومما تم سرده سابقاً حول العمران الصحراوي، يمكن استخلاص بعض الخصائص المهيكلة لقصور وادي ميزاب منها:

- اختيار الموقع الجيد للقصر، والتوطن الدفاعي الدّال على المستوى الذي وصلت إليه العبقرية الاباضية الذين كانوا أول النازلين بالمنطقة لغرض الاستقرار.

- التوطن الهرمي، حيث روعي تدرج مجال محكم للمرور من المجال العمومي المتمثل في المسجد والسوق إلى الدار التي تعتبر مجالاً خصوصياً مع الاخذ بعين الاعتبار حرية المجال الداخلي.

- الاعتماد على قواعد عمرانية متعارف عليها محلياً في عملية البناء والتشييد متمثلة في "القوانين العرفية" والتي تنفرد بها بقعة وادي ميزاب.

- تناغم وانسجام الطبيعة مع المكان من خلال تحويل الباحة الجرداء والقاسية، إلى منطقة تعج بالحياة و التأقلم مع طابعها الحار والجاف.

- تختلف المدن الميزابية عن المدن الصحراوية من حيث اللون، فهي تمتاز باللون الأصفر نظراً لطبيعتها الصخرية، مقارنة بواحات ادرار المكسوات بالأحمر. فظهور المدينة بوادي ميزاب بتنوع قِببها وأروقتها مع صلابة بناءها أنها كانت منعزلة عن الفضاء الخارجي.

- أما الطرق و الدروب والمسالك بأنواعها، تعـد من العناصر الأساسية في تشكيل هيكل المدينة، وشريان الحياة وسبيل الحركة بها، فمسالكها تتميز بكثرة الالتواء التي تشكل متاهات مضللة.

- المسجد عبر قصور وادي ميزاب، أول ما يظهر في القصر هو المسجد الذي يكون في أعلى نقطة منه ويكون البعد متساوي لمختلف الوافدين من كل الاتجاهات.

- السوق هو المكان العمومي الهام بعد المسجد أين يمكن لأهل المدينة أن يجتمعوا فيه لتبادل الأخبار والاهم من ذلك لممارستهم التبادلات التجارية فيما بينهم وبين القوافل التي عاة ما تتردد عليه.

وتمثل كل من (المصلى، المسجد، الأبراج الدفاعية، الآبار، الأبواب، ساحات،...). ملحقات القصر وهي بمثابة معالم تاريخية كقيمة زائدة أضفت على قصور المنطقة خصوصيات أكثر.

صورة رقم 08: بئـر تقليدي بالساحة ابن رستم،(أفريل،2014).

صورة رقم 09: باب الحداد، قصر غرداية، (أفريل،2014).

صورة رقم 10: بـرج بولايلة بني يزقن،(أفريل،2014).

صورة رقم 11: شارع ،بقصر غرداية،(أفريل،2014).

3-خصوصية النسيج العمراني لوادي ميزاب:

عمران "وادي ميزاب" يمثل جزء هام من عمارة الصحراء، التي أبدعوا فيها أهالي المنطقة مختلف الأعمال الفنية والأشكال الرمزية مع ربطها بالذاكرة المحلية، وأبرز خلالها الإنسان مجموعة من الملامح والاحتياجات الإنسانية، التي تحددها مجموعة من العوامل كالخصوصية والوظيفية، والتكافل الاجتماعي والعمل التشاركي. ويرجع الفضل إلى استخلاص بعض الأسس والقواعد التخطيطية التي عرفتها المدن العربية الإسلامية.

ولاشك أن دراسة تركيبة النسيج العمراني القديم تعتبر أهم الدراسات التي تساعد المخططين وأصحاب القرار في فهم وتحديد النقائص والمشاكل المطروحة على مستوى العمران الحالي، والمراد من هذا الخروج بالنسيج العمراني القديم من دائرة النسيان والولوج به إلى مصب العمران المعاصر، الذي يصبو إلى تحقيق التنمية والحد من النمو السكاني والتدهور العمراني الملازمان للمدن.

وسنحاول اختصار خصوصيات النسيج العمراني بمنطقة وادي ميزاب المتعلقة بالنسيج القديم، وذلك باعتماد التحليل التيبوموفولوجي"typo-morphologique" من أجل إبراز الخصائص الفيزيائية للتركيب الداخلي للمسكن القديم .

3-1-مفهوم التيبوموفولوجي:

ترجع الباحثة "عمارة بكوس[6]" ما يسمى بالتيبوموفولوجي، عند تطرقها إلى تحليل العناصر الحضرية أنها تتعلق بالتيبولوجية المعمارية في تحليل المباني القائمة، و تصنيف العناصر المكونة لنسيجها العمراني مع مراعاة ملكية المسكن وعلى من تعـود.

وإن كانت عوامل الحركة الحديثة لثورة البناء و التشييد في ظهور التيبومورفولوجيا التي قلبت كل مظاهر العمارة التقليدية، وحل محلها معمار جديد تلاشت على إثره المدن القديمة وإن وجدت فهي قليلة و استثنائية، وخلقت قطيعة بين النسيج القديم والحديث.

ونجد كذلك أن "فاطمة طهراوي"عند دراستها لتكامل الإحياء العتيقة و المورفولوجية الاجتماعية والشكل الحضري للمدن الجزائرية، خلصت إلى أن المدن التي أنشئت على نمط المدن الإسلامية عرفت التدهور والزوال باستثناء غرداية، وتشيد بأن"المدينة الجميلة النادرة في الجزائر لا توجد سوى في مدن ميزاب[7]" التي لازالت محافظة على قصورها، وتنوه بالمرفولوجية المحصنة للقصور بالضرورة التاريخية لمبدأ الحماية، و إبداعها في مواجهة الظروف المناخية القاسية.

[6]– BEKKOUCHE A.,2005*: « Eléments d'analyse urbaine, théorie et application »* ,Cahiers du CERES, n°14, p11.

[7]–Ibid, pp75-101.

وعليه يفيـــد التحليل التيبوموفولوجي إلى قراءة الشكل الحضري للإطار المبني، ويساهم في التدخل المنطقي للمستعملين ومنتجي المباني، والتحكم في نمو المدينة مع مرور الزمن. على اعتبار أن الشكل العمراني لا يمكن فهمه من جميع النواحي إلا إذا تفحصنا جانبه التاريخي .

صورة رقم 12: النسيج العـــمراني لقصر غرداية، (OPVM,2014)

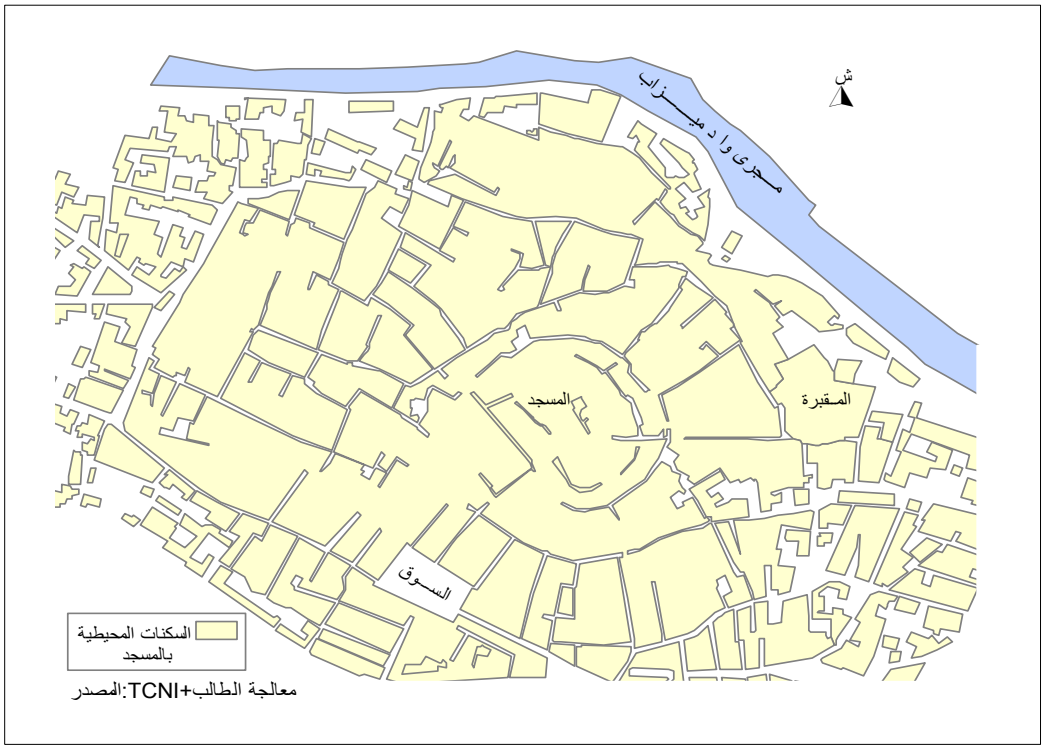

الشكل رقم04: البنية العمرانية لقصر غرداية.

3-2-النسيج العمراني "نموذج قصر غرداية "

يعبر مفهوم النسيج العمراني عن الخلايا المتضامنة، والفراغات من العناصر الفيزيائية : الموقع، الشبكات المختلفة، الفضاءات المبنية وغير المبنية، الأبعاد، شكل ونوعية البناء والعلاقة التي تربط بينها. كما يرتبط مفهوم النسيج العمراني بالمرفولوجية العمرانية عموما بإدراك السكان وخصائص الإطار المبني، ويتخذ شكلا ثابتا مثل حالة الأشكال العمرانية خلال فترة معينة وقد يتخذ ديناميكية لإمكانية تطور نمو هذه الأشكال.

فمدينة غرداية تمثل العمران المتجدد في الصحراء الجزائرية، أكسبها موضعها خصوصيات بدون منازع، أين بادر بني ميزاب من الوهلة الأولى، على فرض نموذج عمراني في بيئة قاحلة يجمعهم ويحميهم من جل الاضطهاد. إن قصور غرداية تختلف عن باقي المدن الصحراوية في بنيتها المكونة من بنيتين مختلفتين إلا أنهما يشكلان صورة واحدة متكاملة، و إن المتجول في قصورها يلاحظ من أول وهلة ان نسيجها المبني ككتلة موجودة ومتجانسة يربط بين أجزائها شبكة ممرات تأخذ شكل شرايين موصلا إلى واحات النخيل المعروفة لديهم بالغابات.

- الـــواحة: وتتمثل في غابات النخيل التي توجد بجانب النسيج العمراني حيث تزخر بثروة هائلة من النخيل وفي بعض الأحيان تحيط بالنسيج العمراني، حيث أن لكل مدينة من مدن مزاب واحة تشهد إلى غاية اليوم حركة وترددات واسعة للأسرة الميزابية على إثر وجود مساكن بالواحة "تـزْريبْتْ " بالمزابية تأوي إليها العائلات لقضاء فصل الصيف وفي أواخر الأسبوع، و دورها الرئيسي يكمن في جلب الغذاء، وتوفر مناخ منعش و جو لطيف، كما تعمل على كسر الرياح .

- القصـــر:هو الكيان الحي لتواجد الإنسان، يبدو النسيج العمراني للقصر بشكل ضام متجانس على شكل شبه دائري مع مباني ذات المستوى الواحد، وأزقتها الضيقة وأحياء تتخللها ساحات عامة وحرة، وتعتمد في تخطيطها على مقاييس الإنسان (الذراع ،الشبر، الخطوة)، فجاء نسيجها العمراني كتلة غير منتظمة لإطارها المبني الذي تميز بسكنات متضامة فيما بينها هندسياً وغير منتظمة تميل إلى شكل المربع أو المستطيل، وذات نمط تقليدي موحـــد بحيث تشكل استمرارية للمركبات العمرانية .

3-3- خصائص النسيج القديم[8]:

إن قصور المنطقة أقيمت على أساس ومتطلبات الإنسان الأساسية ويعكس القيم الاجتماعية والمؤثرات الثقافية التي جاء بها الإسلام، ويوظف المواد المحلية للتغلب على الظروف الطبيعية السائدة. وسنستعرض باختصار مجموعة الخصائص التالية.

[8]- BEN YOUCEF B.,2010 : Le M'Zab un parcours millénaire, Alpha Algérie .

3-3-1-العضوية:

هي النسق العضوي الذي يقوم على التكامل بين مجموعة العناصر التي تحمل صفات المجتمع المسلم؛ أي كالجسد الواحد المترابط الأعضاء والمتكامل الوظائف، وهي تتكون أساسا من ثلاث عناصر:

- المركز: وهو الجامع الذي يمثل قلبها النابض وله دور في توحيد الأعضاء كما يقوم باستقطابها وهي هيكلتها وتنظيم حركتها.

- الأحياء: هي بمثابة جسدها الذي يستمد منه المركز طاقته وضرورة وجوده وماهيته.

- المسالك والأزقة: هي بمثابة الشرايين التي لا تتم الحركة إلا بها، وتقوم بإيصال الأعضاء مع بعضها البعض، بحيث تبدو العناصر الثلاثة متداخلة ومتكاملة ومنسجمة.

3-3-2-الوظيفية:

وكمنظومة اجتماعية لكل عضوية دور وظيفي منسجم ومتكامل يتوزع وفق التقسيم التالي:

- المركز: والمتمثل في المسجد الذي يقوم بالوظيفة الدينية والإدارية، والمصالح ذات الطابع الجماعي.

- المسالك: وظيفتها الاتصال والربط بين الأجزاء.

- المحيط: هو ما جاور المدينة حيث تكون الأسواق والمجالات النائية، المزارع مكان وظائف العمال.

3-3-3-الانسجام:

تبدو المدينة القديمة كنسق وظيفي متكامل بين أجزائها ذات تركيبة عمرانية نلمس فيها الانسجام التام بين أجزائها وكلها وفق التدرج الهرمي انطلاقاً من الوحدة البنيوية الأساسية المتمثلة في الدار إلى وحدة الجوار ثم الحي وأخيرا المدينة. فالوحدة الأساسية (الدار) تتجه نحو داخلها وتنفتح نحو السماء مشكلة بذلك واجهة داخلية مستترة على الفضاء الخارجي بجدران تكسبها حرمتها وتفصل داخلها عن خارجها.

3-3-4-المركزية:

تعتبر هذه الخاصية من أهم خصائص المدينة القديمة عن طريق القلب النّابض المتمثل في المسجد والعنصر البارز والمحرك للنشاط الحضري والمهيكل للنشيج العمراني الكلي للقصر، ووفق تدرج هرمي نجد الأحياء متمركزة حول الرحبة ووحدات الجوار تتمركز حول الدرب.

3-3-5-الحرمة:

تمثل الحرمة محاولة حماية المكان والاستتار عن الخارج أي الملك المصون للإنسان الذي يتمسك به و يثوق لحمايته، كما أن لكل فضاء حسب التدرج الهرمي المذكور آنفا حرمته الخاصة التي ترتفع حدتها كلما اتجهنا من أطراف المدينة نحو مركزها. فالجدران الخارجية للمسكن تعبر عن حرمته، كما هو الحال بالنسبة لسور المدينة.

ويتبين لنا بأن هذه الخصائص جاءت نتيجة لحياة فرضتها الظروف الطبيعية والاجتماعية، وقد اعتمدت في ذلك على العناصر الأساسية المميزة لها، وهي تعبر عن عبقرية فذة، إضافة إلى مدى تفاعل الإنسان والطبيعة وتسخير قواها المختلفة لتحقيق الأغراض والرغبات الحياتية رغم الظروف الطبيعية وهذا بأقل التكاليف وبتخطيط محكم.

3-4-المسكن :

لقد أهتم العديد من الباحثين والمهندسين بموضوع السكن التقليدي بوادي ميزاب ومنهم على سبيل المثال: "ابراهيم بن يوسف" في كتابه"Espace et société"والمهندس المعماري أندريه رافيرو صاحب كتاب"Le M'zab,une leçon d'architecture".

إذن وباعتبار المسكن هوالمنزل في القصر أي المكان الذي يحمي حرمة العائلة، ويتم فيه استقرار كل أفراد العائلة بأحسن الأحوال. والمنازل الميزابية كثيرة التشابه، مساحتها لا تتجاوز 100م^2 تشتمل على طابقين وسطح، إضافة إلى الدهليــز (طابق تحت الأرض)، حيث أن الطابق الأرضي يمثل فضاء ليلي في فصل الشتاء أما الطابق الأول والسطح يمثلان فضاءات ليلية في فصل الصيف ونهارية في فصل الشتاء، أما الطابق الواقع تحت الأرض فهو يلائم المناخ بحيث يكون دافئ شتاء و بارد صيفا. و نجد أهم عناصر التنظيم الداخلي للمنزل داخل القصر في غرداية هي:

1- المدخل: عبارة عن فتحة مستطيلة في جدار الواجهة، ارتفاعها 1.70م و عرضها 1.10م، يتميز المدخل بعتبة تمنع دخول الأتربة إلى الداخل، لأنه يكون في اغلب الأحيان مفتوح خاصة في فصل الصيف وذلك من اجل التهوية.

و يقابل المدخل جدار يمنع الرؤية داخل المنزل(حرمة المنزل)، وتكون به فتحة ترى من خلالها المرأة لمعرفة من بالباب.

2- السقّيفة (التّاسكيفت): نجدها في الجهة الجانبية للمدخل من اجل الحرمة وتسمح بالمرور إلى قلب المنزل وسط الدار حيث تعمل على نظام التهوية من خلال التيار الهوائي الذي يدخل من فتحة الشباك.

3- وسط الدار: هو الفضاء الأكثر اتساعاً في الطابق الأرضي وهو نقطة تحول وتلاقي الفضاءات فهو الفضاء المركزي و الممر الحتمي الذي لا يمكن التنقل بدون المرور عبره، كما توجد في هذا الفضاء فجوات في الحائط لتنظيم بعض الأدوات، وكذا آلة النسيج التقليدية، والمدفئة الطبيعية التي تحيط بها بعض الرفوف لتحضير الوجبات، يوجد في جدرانه قطع خشبية مغروسة تستعمل لتعليق الملابس أو المصباح، ....الخ.

و وسط الدار هو المكان الوحيد الذي توجد به فتحة واسعة نحو الخارج على شكل مستطيل تكون في السقف وتسمح بإضاءته وتهويته تسمى الشباك.

1-مفهوم المركزية في المدن القديمة من قصور الجنوب الجزائري.

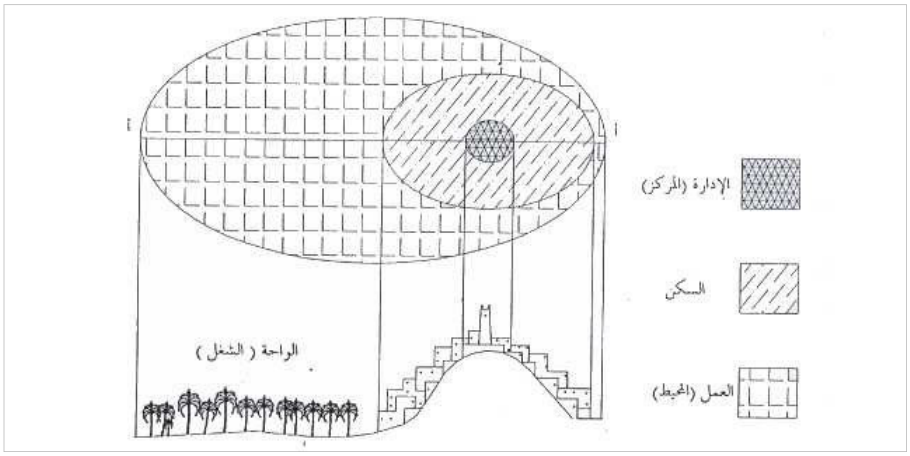

2-التدرج الهرمـــــــــــي للمجالات.

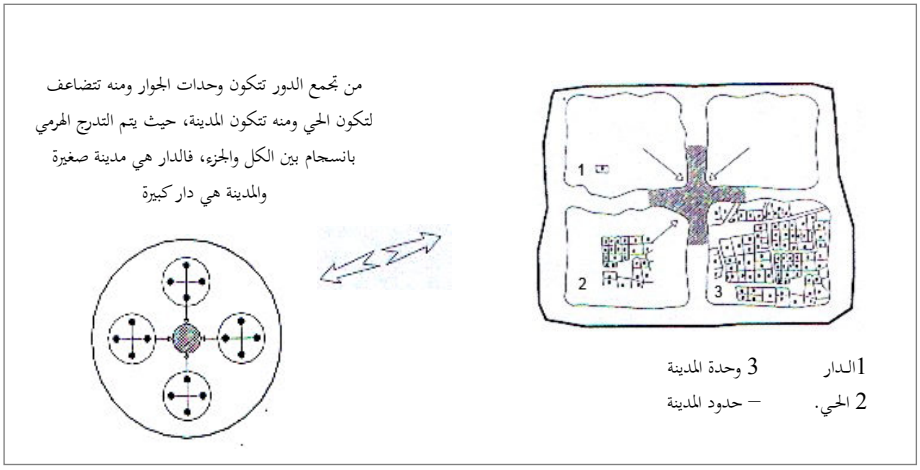

3-مفهوم الوظيفة في المدن القديمة .

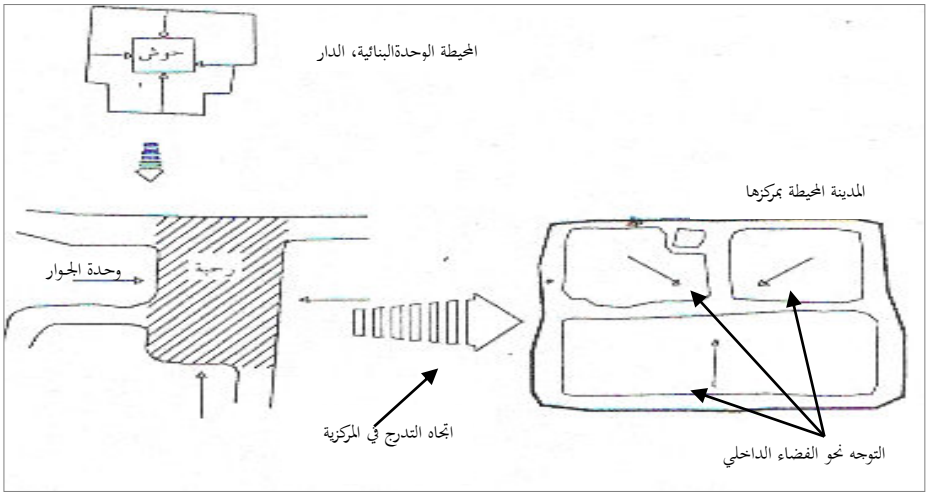

الشكل رقم05: خصائص النسيج العمراني للمدينة القديمة(**BEN YOUCEF B,.2010**).

4- تيزفـري: هو فضاء هام يكون موجه نحو الجنوب الشرقي، يستفيد مباشرة من الإضاءة الواصلة من الشباك، وهو فضاء لتلاقي العائلة يوجد به المنساج، كما انه فضاء للصلاة و يمكنه أن يلعب دور غرفة استقبال للنساء فقط أو لتجمع نساء العائلة عند دخول غريب إلى المنزل .

5- الغرفـة(تِزَقْوِينْ): هي عبارة عن حجرة صغيرة تشبه من حيث صغرها المخزن وهي مغلقة ليس بها نوافذ، تكون الغرفة مفصولة عن وسط الدار بباب من الخشب وعتبة.

6- المرحاض(أجمير): له حجم صغير، مدخله ضيق لا يوجد له باب، به ثقب مستطيل في الأرض تحته حفرة بها مواد جافة مثل الرمل، هذه الحفرة تفرغ عند امتلاءاها وتستعمل الفضلات بعد تجفيفها كمواد لتسميد التربة الزراعية ونجد دائما بجانب المرحاض وجود المغسل.

7- المطبـخ(إنّايَنْ): لا وجود للمطبخ داخل المسكن الميزابي قديماً كفضاء خاص مستقل بالمفهوم المتداول حالياً وإنما يقتصر فقط على موقد يوضع في أحد زوايا البيت بشكل تستطيع المرأة مراقبته وأن لا تكون معزولة عن باقي أفراد العائلة.

8- الـدرج: تمثل فضاء انتقاليا للربط بين الطابق الأرضي والعلوي، يحشر دائما في الزاوية ويحتل فضاء صغيرا جدا ونلاحظ أحيانا وجود درجين في المنزل احدهما يكون مرتبط مباشرة بالسقيفة من اجل تجنب وسط الدار خاص بالضيوف والثاني مخصص للعائلة.

9- الشّباك: هو عبارة عن فتحة مستطيلة موجودة في سقف وسط الدار، يسمح بدخول أشعة الشمس و الضوء إلى الطابق الأرضي كما يسمح بتغير الهواء بواسطة تغير الضغط ما بين داخل المنزل وخارجه.

10- الايكـومار: رواق مزود بأقواس يقع في الطابق الأول يصل بين السطح و الفضاءات المغطاة على شكل زاوية قائمة موجهة نحو الجنوب الشرقي والجنوب الغربي، يقوم بدور كاسر للشمس يحمي الفضاء المغطى من أشعة الشمس المحرقة في الصيف ويسمح بدخول أشعة الشمس الدافئة في فصل الشتاء.

11- تِغرْغرْت (سطح): هو عبارة عن فضاء يتوضع مباشرة فوق وسط الدار وهو عبارة عن سطح محمي من طرف أربع جدران بمثابة امتداد للايكومار، ونجد في إحدى جوانبه المرحاض و المغسل اللذان يضمنان استقلال الطابق الأول، وبعض الغرف.

12- الـدّويرة: هي قاعة استقبال مخصصة للرجال في الطابق الأول .

13- السطـح: هو عبارة عن فضاء مخصص للنساء، يوجد به أبواب مع الجيران يسمح للنساء من خلاله الاتصال مع بعضهم البعض.

إن ما يظهر من التركيب الداخلي للمسكن الميزابي و صياغته لم يكن بشكل اعتباطي، بل حمل في مضمونه معاني حقيقية، لذا أننا لا نجد جزء من المعمار الميزابي أُنشئ هكذا، بل كل جزء في هذا المعمار يرمز إلى هدف و أداء مجالي معين.

صورة رقم 13: مدخل المسكن،(أفريل2014).

صورة رقم 14: وسط الـدار، (OPVM,2014).

صورة رقم 15: السقيفـــة،(OPVM,2014).

صورة رقم 16: الـــــــدرج، (OPVM,2014).

صورة رقم 17: نمـوذج لمطبـــــــــخ مزابي،(OPVM,2014).

صورة رقم 18: تيـــــزفري، (OPVM,2014).

الشكل رقم 06: **هيكلة المسكن التقليدي داخل القصر**

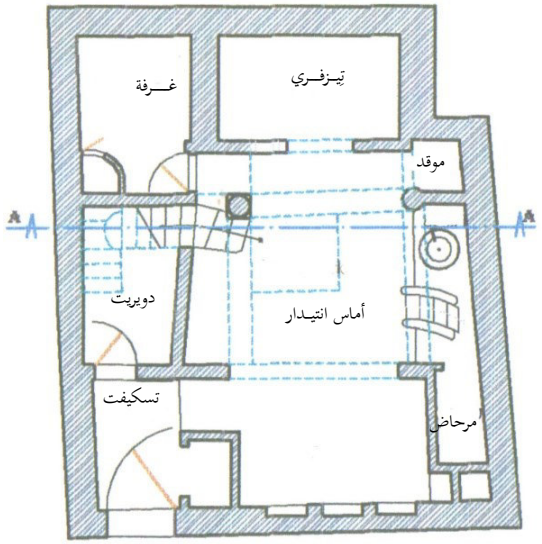

مخطط الطابق الأرضي

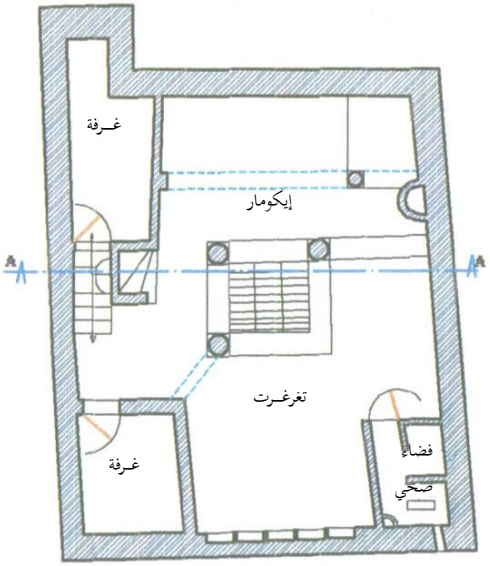

مخطط الطابق العلوي

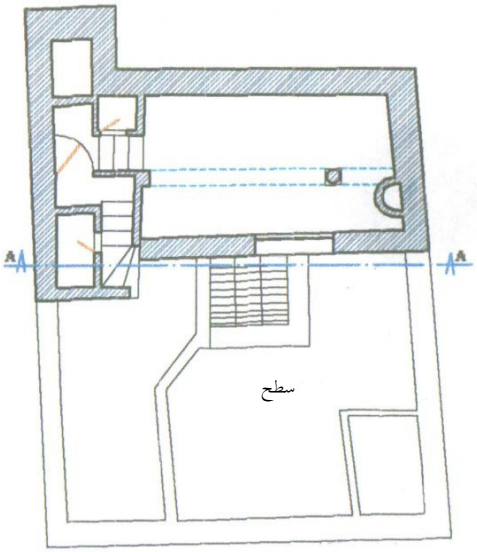

مخطط السطح

المصدر: منشورات ديوان حماية وترقية وادي مزاب، المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع المحمي لسهل وادي مزاب+معالجة، الطيب ع .

4-تجربة استحداث القصور بمنطقة وادي ميزاب:

على ضوء ما صدر حول السكن والعمران بقصور وادي ميزاب من خصوصيات، وفي ظل التدهور الذي مس العديد من الأنسجة العمرانية مع مرور الزمن، و استفحال الأنماط العمرانية الغربية "المتعدد الجنسيات"الوافدة، التي عملت على محو الهوية والثقافة المحلية. و مع ظهور بعض التيارات الحديثة التي استحدثت نماذج من الأشكال والأنماط المعمارية والعمرانية المتباينة والبعيدة كل البعد عن البيئة والاحتياجات الإنسانية والمجتمعية، وهذا الكم الهائل من التشكيلات نمى نموا عشوائيا في كل مكان وأخذ أشكالا مختلفة، نجد منها ما تأثر بالفكر الغربي ونظرياته التي لا تتماشى مع قيمنا وتقاليدنا ودينا و مبادئنا، ومنه ما حاول الرجوع إلى الماضي و الاقتباس منه، دون النظر إلى خصائص كل عنصر ودوره في التشكيل، حيث أدى كل هذا إلى فقدان العمارة والعمران مقوماتهما الحضارية، حيث أصبح التغريب مبدأ يرمز إلى التقدم والتطور، وأصبحت العمارة الصحراوية الحديثة مجرد عنصر مضاف لا تعبر عن جوهر الفكر المعماري والعمراني للمجتمع الصحراوي الأصيل.

إن عمران القصور الذي يسود المنطقة يعكس في حيثياته جزء من أصالة الأنسجة القديمة الحاملة ضمنها العديد من المعاني التي برز فيها براعة الفرد في التعامل مع البيئة السائدة. و إن كانت اليوم القصور قد خرجت عن صمتها، فهي قد احتضنت ماضيها والمدينة التي لا تحتضن ماضيها لا مستقبل لها. وهنا نسترجع التجربة التي أجراها المهندس المعماري "حسن فتحي[9]" في بناءه مع شعبه عندما أرجع للريف المصري القيمة والهوية الحقيقية، وكان أول من شكل مركب النقص عند المعماريين المصريين إزاء منجزات العمارة الغربية، حيث أقترح حلولا ثورية ببنائه قرية "القورنا" فائقة الجمال تمثل واحدة من أكبر المعالم المعمارية بالصعيد المصري آنذاك، معتمدا في بناءها على مواد محلية. فقد اخترع عمرانا إنسانياً مستنبطاً من التقاليد المحلية، وبين أن للمهندس المعماري القدرة على إحياء إيمان الريف بثقافته الخاصة، وبإبراز ما يستحق الإعجاب من الأشكال التقليدية المحلية، فالأسلوب الشعبي كان يجب أن يكتشف و يقتبس من جديد من خلال الصناعة التقليدية والمزج المحلي، فهو يقول " يجب من البداية أن تخلقوا بناءاتكم من الحياة اليومية لمن يعيشوا هنا ".

و نجد الجزائر على غرا ر الدول العربية أعطت الأهمية البالغة للمدن الصحراوية، التي تعرف توسع عمراني سريع. من خلال إصدارها لعدة مخططات عمرانية لتنظيم المجال العمراني والمساهمة في ثورة البناء و التشييد، إلى غاية تحرير سوق العقار و أعطيت مبادرة لإشراك كل من القطاع العام والخاص في عملية التعمير مهما كان شكلها و صفتها. كما شجعت الاهتمام والاستثمار في القصور و الأنسجة القديمة

[9] – حسن فتحي،2001:"عمارة الفقراء"، دار العين للنشر والتوزيع،القاهرة.

من خلال التعاون و الشراكة المتبادلة مع الجمعيات والمهتمين بالأنسجة القديمة، بإلاضافة إلى إجراء بعض المنتديات والمشاريع بغرض حفظ ما بقي من عمران القصور القديمة ..

إن الهدف من دراسة بعض التجارب السابقة التي قام بها بعض المخططون والمهندسون المحليون والجمعيات جاءت لحل بعض المشاكل التي تتخبط فيها المدن الصحراوية اليوم كفقـدان الهوية العمرانية وعدم التلاؤم مع المناخ المحلي، والبناء الفوضوي غير المخطط وكذلك التوسعات العمرانية التي لم تأخذ بعين الاعتبار الجانب الاجتماعي لهذه المدن. سوف نستعرض بعض تجارب القصور النموذجية التي أقيمت بمنطقة وادي ميزاب. كحل للمشاكل المطروحة وتـدارك الوضع الراهن.

4-1- القصور سمة العمران بالمنطقة:

ان القصور المستحدثة مؤخراً بالمنطقة جاءت استجابة للطلب المستمر على السكن، وارتفاع الضغط السكاني داخل القصور القديمة. و من خلال تجولنا عبر المنطقة جذبنا وجود مجموعة من القصور الجديدة مع وجود قطيعة فيما بينها واختلاف شكلي كذلك، رغم أنها تتوافق ومقومات النموذج العمراني المحلي، ودورها الكبير من خلال المساهمة في التنمية العمرانية، و تلبية حاجيات السكان والحـــد من تدهور البيئة الهشة. حيث تتفرع مشاريع القصور إلى نوعين منها، المنجزة من قبل الحكومة ومنها المنجزة من قبل الخواص، تتميز البرامج الحكومية بتخطيط عمراني موحد، أما المشاريع الخاصة فهي تختلف في أنماطها المعمارية فنجد مشاريع حاولت استعمال النمط التقليدي المستوحى من القصور مع بعض التغيرات الطفيفة حسب النمط المعيشي الحالي، مثل مشروع تافيلالت ببني يزقن، أما المشاريع الأخرى فقد اعتمد في تخطيطها على الهيكلة التنظيمية للقصر كتوسط المسجد للمجمع السكني وإحاطته بالنشاط التجاري مثل مشروع(أغرم أنو أعزام) بالنوميرات. و سوف نستعرض هذه القصور النموذجية المستحدثة كل على حـــدى كما يلي :

4-1-1-مشروع القصر الجديد الحمريات "بلدية العطف":

من أجل مواجهة المشاكل التي فرضتها كل من الزيادة الطبيعية والسكانية في بلدية العطف جاء المشروع المقترح من طرف السلطة العمومية في إنشاء قصر الحمريات المتواجد خارج نطاق واد مزاب بمساحة تقدر ب35 هكتار مع برمجة قطعة أرض زراعية لكل مسكن. حيث يعتبر موضع قصر"الحمريات"من بين أفضل الخيارات الموجودة على مستوى بلدية العطف لأنه يتميز بعدة خصائص:

1-موقع القصر بجانب القصر الأم لبلدية العطف، وحسب توجيهات المخطط العام للتهيئة والتعمير يعتبر موضع الحمريات منشأ للنواة الأولى للتنمية المستدامة في واد الحمريات الذي يمتد على طول 27 كلم على يسار واد مزاب وهذا حسب البرنامج المسطر لهذا المشروع على المدى المتوسط والبعيد.

2-بفضل موقعه بجانب الطريق ألاجتنابي لواد مزاب والطريق المستقبلي الرابط بين العطف و القرارة، ما سيسمح باندماجه داخل وادي مزاب من جهة، وفك العزلة عن مدينة العطف من جهة أخرى .

3-الطبيعة المرفولوجية، الميل المسيطر وفي اتجاه واحد يسمح بالتصريف الأمثل للمياه المستعملة و مياه الأمطار.(الصورة الموالية توضع موضع القصر).

4-1-2-مشروع" أغرم أنو أعزام" بالنوميرات:

أغرم[10] أو القصر"أنو أعزام" هو المشروع المقترح من طرف الخواص، يتواجد على مستوى منطقة النوميرات وعلى أرضية المنطقة المبعثرة(ZE) لبلدية العطف، بمحاذاة الطريق الوطني رقم 01.

هذه التجربة الفريدة بمنطقة النوميرات، المتمثلة في حل مشكلة السكن بأقل تكلفة وهذا بانجاز 360 مسكن اجتماعي تساهمي(LSP) ومحلات تجارية، من طرف المرقي العقاري "الحاج أحمد" . شرع في بداية الأشغال ووضع الأسس للقصر سنة 2008، بالمساحة المبنية المقدرة بـ 4هكتار، حيث كان هدفه من خلال المشروع:

- خلق فضاء قصوري جديد تسوده نوع من الحميمية، والثقافة الحضرية .
- بعث سمة القصور، والحفاظ على الهوية والتماشي مع متطلبات العصر الحديث.
- وجوده على مستوى محور الحركة و الصرح العلمي لمنطقة النوميرات، ما يكسبه جاذبيةً و استقطاباً.

على العموم ما يعرف عن القصور في الجنوب الجزائري أن يكون لها نسيج ضام متلاحم(compacte) مرتبط مباشرة مع الواحة، وما يظهر بالقصر"أنو أعزام" سوى تجمعات سكانية فردية (groupement Individuelles) بشكل متراص على تشكيلة الوحدات الحضرية الجديدة، فالتسمية تدل على شيء والبنية المورفولوجية تدل على شيء أخر.

صورة رقم 19: أرضية المشروع التي أقيم عليها قصر "أغرم أنو أعزام"،(أفريل 2014).

[10]-أغرام:هي التسمية التي يطلقها سكان المنطقة على القصور،وهي كلمة أمازيغية.

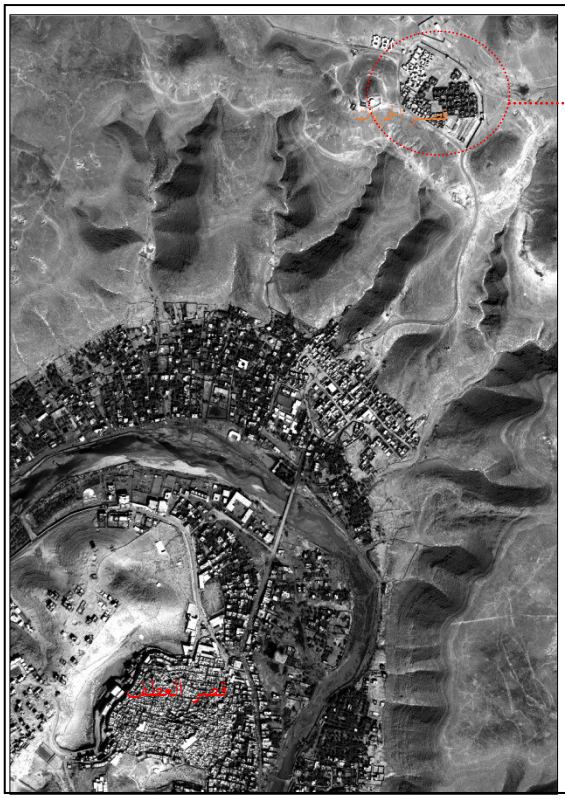

صورة رقم 20:موقع قصر الحمريات -العطف-

المصدر: image satellite, MODIS ,Ghardaïa.2008.

-حالة القصر عند بداية الاشغال.2008.

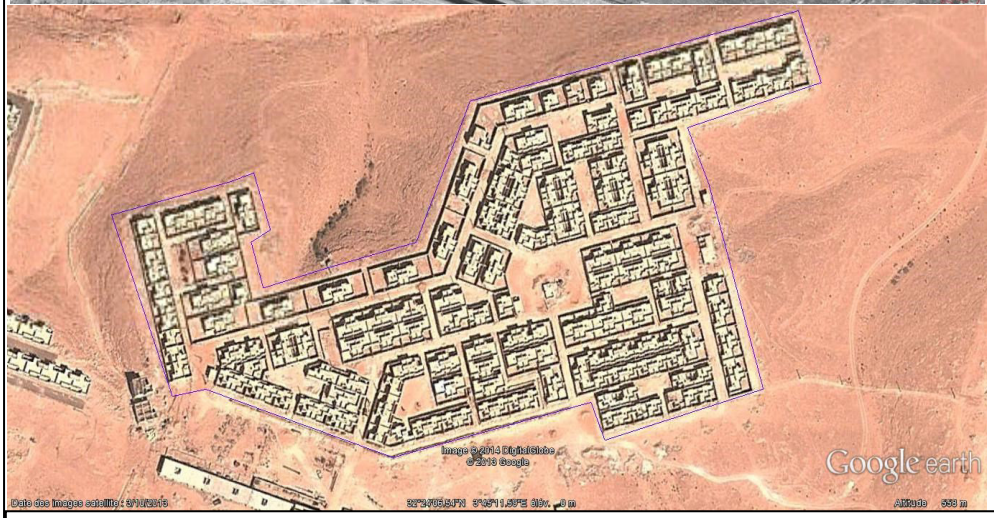

-حالة الراهنة للقصر، 2013

صورة رقم21: موقع " أغرم أنو أعزام" بالنوميرات.

4-1-3-مشروع"المجمع القصوري" ببني يـــزقن:

تمثل كل من القصور(تينميرين ،تافيلالت، تونزا I-II- III) المتوضعة جنوب بني يزقن في شكل تجمع قصوري، ومجال توسع عمراني للمدينة على المدى المتوسط، و تجربة إنسانية وعمرانية فريدة من نوعها في العالم العربي وإفريقيا، أو ربما في العالم أجمع، حيث أنها خضعت في تخطيطها إلى قواعد المدينة الإسلامية العربية والشمال-إفريقية عموماً، و تمثل روح تطور العمران المتظافر مع المكان والزمان وقاطرة للتعمير بالمنطقة وجسراً للتواصل بين الشعوب.

فهذه النماذج من القصور لازالت تحافظ على خصائص عمرانية واجتماعية وثقافية تعبر عن حياة سكانها الذين يحافظون على وسائل الحياة البسطة التي تكفل لهم الانسجام والتفاعل الاجتماعي، وإذا عدنا إلى المرفولوجية العمرانية المشكلة لها لوجدنا أنها تتكون من أنسجة عمرانية متعددة التي تعد الأنوية العمران بالمنطقة، والتي تحمل في طياتها الكثير من الملامح التقليدية للحياة الاجتماعية للسكان.

فقد تفطنت السلطة المحلية إلى الحالة التي آلت إليها القصور القديمة، من تدهور لأنسجتها القديمة و العجز المسجل في استيعاب العدد الهائل للتزايد السكاني بالاضافة إلى استحالة توسع القصر. و أمام هاته المشاكل المطروحة بادر المجتمع المدني والهيئات المحلية والوطنية إلى بلـورة واقتراح عدة مشاريع للحفاظ على الموروث العمراني للمنطقة منها:

4-1-3-1- قصر تينميــرين (ksar Tinemmirine):

هذه التجربة الفريدة من نوعها المتمثلة في حل مشكلة السكن بأقل تكلفة، وكانت انطلاقتها من فكرة التعمير ألتشاوري الذي يستند إلى مبدأ إشراك كل الفاعلين. و تم وضع الحجر الأول للمشروع يوم 1995/12/14 بمبادرة من جمعية "تــويزة[11]"المحلية وبمساهمة الدولة وإشراك الخواص وكل الفاعلين من مجتمع مدني من خلال:

انجاز 70 مسكن فردي تقليدي معاصر على شكل قصر جديد، مستنسخ لقصر بني يزقن. حيث كانت النماذج التصميمية لهذا القصر من اقتراح المهندس "بابا عمي احمد "وهو عضو بالمجلس الشعبي الولائي بغرداية، حيث كان من بعض أهدف هذا المشروع:

- بناء سكنات اجتماعية لائقة وذات نوعية بأقل تكلفة للمعوزين، مع الحفاظ على الطابع المعماري والعمراني المحلي.
- الجمع بين التقنية الحديثة والقديمة بغية استمرار النموذج التقليدي.
- حماية الواحة من الزحف العمراني والتآكل المستمر للأراضي الفلاحية....

[11] - التويزة: وهي الأعمال التي تشتهر بها المنطقة و أشادا "الرئيس عبد العزيز بوتفليقة" باستفحال ظاهرة التويزة لدى أهالي غرداية وذلك عندما نزل بالمنطقة سنة 2008. حيث هي الأعمال التي لا تتطلب تقنيات ومهارات عالية إذا تقتصر على تحويل أو نقل مواد البناء ، تحضير الإسمنت الرمل والحصى، تنظيم الورشة وإنجاز أشغال أرضية المباني(Plate Forme) .

4-1-3-2-قصر تــونزا(I) "Tawenza":

بعد نجاح تجربة القصور المستحدثة عبر الخطة التي رسمت لها واصلت الدولة والجماعة المحلية في بناء قصور جديدة استجابة للطلب على السكن المستمر. وبعد استكمال قصر تينميــرين، استحدثت تحصيصات تــونزا(I) على شكل قصر جديد بالمنطقة. كان هذا المشروع قد طرح من طرف المهندس "بابا عمي أحمد"، لمواصلة تشييد القصور بالمنطقة، والحفاظ على ما تبقى من الواحة. فهو يقع على محور طريق الوحدة الإفريقية الذي يسمح بسهولة وقابلية الحركة.

4-1-3-3- قصر تــونزا(II- III) "Tawenza":

جاءت كل من تــونزا(II- III) كتوسع لتــونزا(I) من الناحية الجنوبية الشرقية. و تخصيصاً للبناء الذاتي، و لا زالت تــونزا(III) في طور البناء، أين يعكف أصحاب الأراضي على زيادات خارجية ما يشوه المظهر الخارجي، ويلحظ غياب التهيئة والمساحات الخضراء بداخلها. وبحكم موقعها بمحاذاة الطريق رقم 01 يفتح الباب أمام سهولة حركة الدخول والخروج.

أم قصر تافيلالت سوف نستعرضه بالتفصيل في الفصل الرابع.

صورة رقم22: موقع المجمع القصوري ، جنوب قصر بني يزقن.

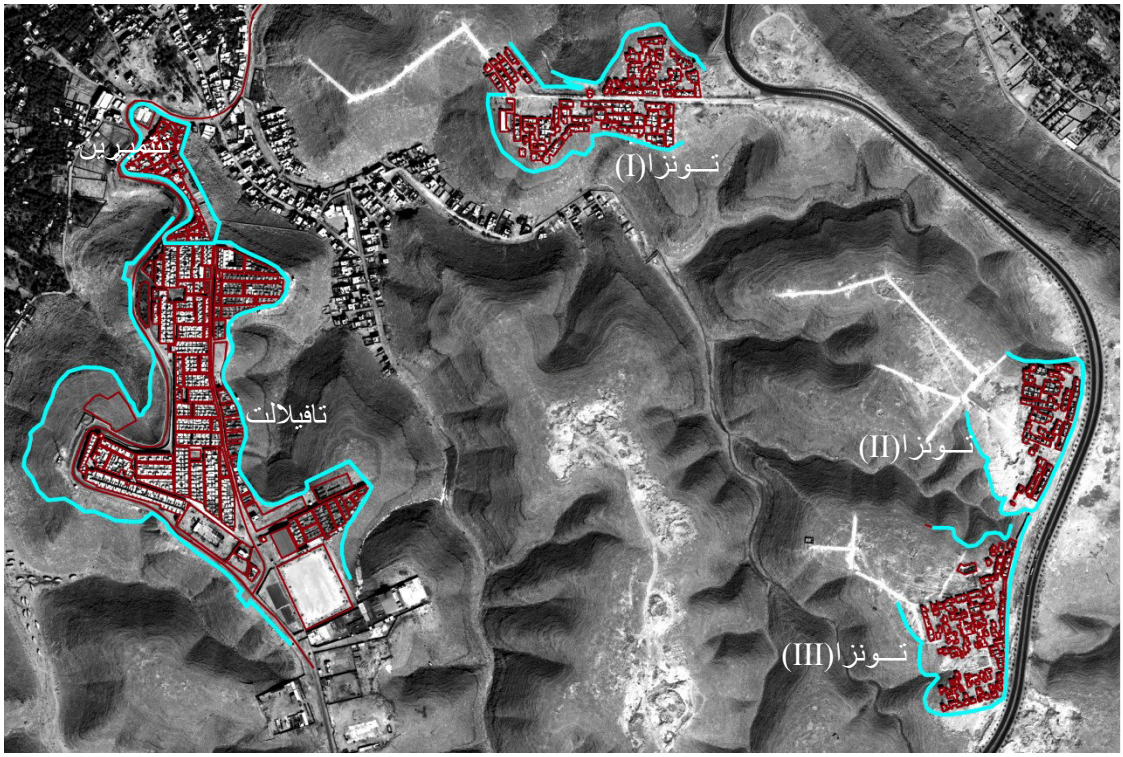

المصدر: image satellite, MODIS ,Ghardaïa.2008

5-مساهمة الدولة في التنمية واستمرار القصور:

في إطار حماية الخصوصيات العمرانية للمنطقة وحرصاً على استمرارية نمط القصور، والحد من التدهور الذي مس جل القصور الصحراوية، بادرت الدولة ممثلة في ديوان حماية وترقية سهل وادي مزاب (OPVM)[12]، بعدة مشاريع في إطار الشراكة والتعاون الأجنبي منها:مشروع دلتا"DELTA"، ومشروع طريق القصور وغيرها.

1- مشروع دلتا"DELTA"[13]:

هو المشروع الذي انطلق سنة 2002 ضمن برنامج التراث الأورو- متوسطي " Euromed Heritage"الممول من طرف الاتحاد الأوروبي، لغرض تثمين الأنظمة الثقافية المحلية. حيث استفادت منه هيئة ديوان وادي ميزاب، ويهدف إلى ترقية وتنمية الموارد التراثية والثقافية والبيئية من نظام الواحات القديمة و استمرارية النسيج القديم لقصورها.

2-مشروع "طريق القصور"[14]:

وقد انطلق هذا المشروع سنة 2007 بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية والحكومة الجزائرية والمؤسسات العمومية والخاصة، حيث تعلق هذا المشروع بأربعة ولايات جنوبية (بشار،ادرار، غرداية، ورقلة) . ويهدف إلى إرساء قواعد نموذجية في التعامل مع البيئة المحلية في ظل الوضعية التي آلت إليها قصور الجنوب الجزائري وذلك في إطار عمل تشاوري بين مختلف شرائح المجتمع، وإعادة إحياء النشاط الحرفي ضمن الوسط القصوري بغرض المحافظة على الموروث الثقافي والاجتماعي المحلي.

[12] - ديوان حماية وترقية سهل وادي مزاب:كان سنة1970 يحمل اسم ورشة الدراسات والترميم الذي أنشئ من طرف الحكومة الجزائرية ،ثم ترقية هذه الورشة إلى ديوان حماية وترقية سهل وادي ميزاب ، بموجب المرسوم التنفيذي رقم 92-419 المؤرخ في 1992/11/17.

[13]- Projet DELTA, 2002 :Plan d'action Cas de Ghardaïa, Etude faite par l'Union européenne, sous l'égide par Délégation Algérienne.

[14]- Idir AMMOUR, projet de la route des ksours , Les Nations unies au chevet du patrimoine national, L'Expression, 21/10/2007. p 20.

خلاصة الفصل:

بعد الدراسة العامة لمدينة غرداية، جاء وقوفنا في هذا الفصل على تحليل الخصائص العمرانية للمنطقة، والتراكيب الداخلية لقصورها وخصوصيات نسيجها الحضري. فالقصور التي تتميز بها المنطقة تمثل روح تطور العمران المتظافر مع المكان والزمان، وقاطرة للتعمير بالمنطقة وجسر للتواصل بين الشعوب، حيث يظهر خلالها حقيقة العمران الصحراوي بكل خصوصياته.

و إزاء ذلك كله خلصنا في أخر إلى أن عمران قصور الصحراء، جاءت نتيجة لحياة فرضتها الظروف الطبيعية والاجتماعية، وقد اعتمدنا في ذلك على العناصر الرئيسية المميزة لها، و تعبر عن مدى تفاعل الإنسان مع الطبيعة واستخدامها لتحقيق أغراضه بأقل التكاليف.

وأما المدن الصحراوية الحديثة فنجدها قد فقدت هويتها وذلك نتيجة لتدخل الآليات الحديثة والتقليد الأعمى للطرز المعمارية الغربية حتى في مواد البناء وعدم مراعاة خصوصيات المدن القديمة في تخطيطاتها العمرانية مما جعلها تعاني من عدة مشاكل وإشكاليات.

ومن هنا يمكننا استخراج الكثير من المبادئ والقيم من المدن الصحراوية العتيقة لتوظيفها في التصميم والتخطيط العمراني الحديث لإنجاز مشاريع عمرانية تراعي هذه المبادئ والقيم وتتأقلم مع متطلبات الحياة الحديثة وتتخطى إشكاليات المدن الصحراوية الحديثة.

كما حاولنا في الأخير استعراض تجربة استحداث القصور الجديدة النموذجية بالمنطقة، والأشكال التي أخذتها لتدارك العجز المسجل في إنتاج المباني، والحد من التدهور في ظل التوسع العمراني الذي ألتهم الأخضر واليابس، رغم تدخل الدولة والسلطات المحلية، بغية الاستفادة من أحداث الفاتح من أكتوبر 2008بادرت في أنشاء عدة مشاريع التي تعود بالنفع على الأمة، وذلك بالوقوف على حقوق المواطنين وبدأت في إنشاء قصور وتجمعات جديدة لإسكان المنكوبين في مناطق آمنة لضمان شروط العيش الكريم للمواطنين.

الفصل الرابع
تحليل الأنماط الحضرية الجديدة بمنطقة وادي ميزاب

المدينة الحديثة نمطاً وشكلاً تعبر عن نســق عمراني معقد صعب القراءة، والإحساس بعدم انتظام صورة العمران الذي يترجم ما يحدث بالمدن. رغم التطور الذي وصلت إليه المدن بقيت المدينة شكلاً من أشكال التجمعات البشرية بالغ الكثافة والتنظيم والتعقيد.

فمدينة غرداية من ضمن منطقة وادي ميـزاب تتحدى الزمــن وتختصر التاريخ مــن خلال احتضانها للأنماط العمرانية والمعمارية التي كانت تسود البيئة الحضارية للمدن العربية.

ان الأنماط الحضرية التي نراها اليوم بمنطقة وادي ميزاب جزء منها المتمثل في "القصور" قد نمى و ترعرع في أحضان "المدينة الأم" منذ القدم، وما يظهر منها اليوم ما هو سوى نسخة بحلة جديدة أُدخل عليه نوع من التغييرات حسب ما يتماشى والظروف الراهنة. وجاءت استجابةً لاكتساح الزحف العشوائي للعمران على حساب الواحة، بالاضافة إلى تدهور النمط القديم وظهور فوضى العمران مع زيادة الطلب على العقار الذي يمثل بالنسبة للإنسان رهان للاستقرار وفطرة التملك للأرض بشكل فردي أو عائلي. ولقد تطورت في السنوات الأخيرة قواعد تملك واستخدام الأرض مع تطور المجتمعات التي وضعت تشريعات خاصة لتسيير الأراضي و الإشراف عليها.

و أمام الدينامكية الاقتصادية و الاجتماعية التي يشهدها وادي ميزاب أصبح الطلب على العقار يتزايد شيئا فشيئا بما يفوق الطاقة الاستيعابية للمجال الطبيعي، مما ترك أثراً عميقاً على التوازن البيئي والاجتماعي لذات المنطقة. و سنحاول تحليل مختلف الأشكال الحضرية للتجمعات الجديدة بمنطقة وادي ميزاب انطلاقا من استعراض التطور الديناميكي لملكية العقار الذي أدرج سياسات عمرانية جديدة على العقار.

1-تطور الملكية العقارية في الجزائر:

إن التطور الذي عرفه مجال البناء و التعمير، يعتبر نتيجة لديناميكية سوق العقار عبر مـر التاريخ، بسبب زيادة الحاجة عليه وهذه الحاجة تكون ناتجة عن زيادة النمو الديموغرافي للسكان عبر مراحل التاريخ، ورغبة الإنسان في حب امتلاك العقار، في إطار ما يسمح له بحرية التصرف فيه. وعلى ضوء هذا، سنستعرض تطور الملكية العقارية في مرحلتين كما يلي :

1-1المرحلة الأولى: الملكية العقارية خلال الفترة الاستعمارية.

من المعروف أن الاحتلال الفرنسي حاول سلب جل أراضي الجزائريين بشتى الطرق الممكنة، والوسائل المادية والقانونية، من خلال إصدار ترسانة من القوانين، عندها حاول القضاء بصورة تدريجية على القواعد العقارية المستمدة من الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية مع حلول أشكال استغلال الأراضي الفردية محل التنظيم الجماعي لتملك الأراضي. ومن أهم القوانين التي تم اتخاذها في هذا المجال قانون 1873/07/29 المسمى "قانون فارني "و المعروف بقانون المعمرين، وهذا القانون يقضي بفرنسة كل الأراضي الجزائرية و القضاء على الملكية الجماعية واستحداث الملكية الفردية، بغرض التعجيل في عملية تأسيس الملكية الفردية للمستعمر والمساعدة على التوسع على حساب الأراضي التي هي بدون صاحب وضمها إلى الأملاك الفرنسية، كما مست كذلك أرض البور وأراضي الرعي التابعة للعروش و إخضاعها للقانون الفرنسي. و ألغيت بذلك القوانين الإسلامية التي كانت تحكم العقارات في الجزائر ومهد كذلك للاستيلاء على الملكية الفردية التي تمت وفقا لقانون 1963/4/21 القاضي بقسمة أراضي العروش. ولجأت عندها إلى أحداث هيئات قضائية فرنسية للنظر في كل المعاملات العقارية التي تتم مابين أهالي الجزائريين أصحاب الأراضي والمعمرين الفرنسيين.

1-2-المرحلة الثانية : الملكية العقارية بعد الاستقلال.

ورثت الجزائر المستقلة في هذه الفترة بعض الأصناف العقارية الموروثة عن العهد الاستعماري، وأحدثت بعض التصنيفات العقارية في إطار الإصلاح الزراعي، كالمستثمرات الفلاحية، وهذا تماشيا مع التوسع العمراني الذي شهدته المدن الجزائرية. حينها فرض على الدولة اتخاذ إجراءات للتحكم بهذه التوسعات وتسييره من خلال القوانين، حيث تحوي هذه الأخيرة مجموعة من النصوص التشريعية المتعلقة بتخطيط وتهيئة المدن. ونظراً للنهج الاشتراكي للاقتصاد الوطني الذي سلكته الدولة بعد الاستقلال وامتد إلى غاية صدور دستور 1989 أفرزت بعض التغيرات الجذرية على العقار، ويمكن تقسيم هذا التطور إلى مرحلتيـن:

1-2-1- الملكية العقارية من الاستقلال إلى عقد الثمانينيات :

تدخل المشرع الجزائري منذ الاستقلال بالكثير من النصوص لتنظيم الملكية العقارية ابتداء من تعريفها على ضوء المادة 674 من القانون المدني الذي ينص على أن:"الملكية هي حق التمتع و التصرف في الأشياء شريطة أن لا يستعمل استعمالا تحرمه القوانين و الأنظمة". فمن هذا التعريف يتضح أن عناصر الملكية ثلاثة و هي الاستعمال و الاستغلال و التصرف و ذلك وفقا للقوانين و الأنظمة المعمول بها.

وخلال عقد السبعينات (1971-1975) في إطار الإصلاح الزراعي استحدث ما يعرف بالثورة الزراعية كإصلاح جديد عن طريق تأميم الأراضي لفائدة الثورة الزراعية وإنشاء الاحتياطات بموجب الأمر 26/74 المؤرخ في 26-02-1974 لفائدة البلديات، و الذي أعطى السلطة المطلقة للبلديات في مجال التهيئة والتعمير وذلك بالتحكم والتصرف في الأراضي الصالحة، وأصبحت الحالة العقارية تبعا للنظام السياسي والاقتصادي حـــتى أواخـــر الثمانينات مصنفة إلى:

- أراضي الملكية الخاصة.

- أراضي الدولة وصندوق الثورة الزراعية، وتتمثل في: أراضي البلدية، أراضي الدولة، أراضي العرش(الأراضي التي تحوزها العشائر على شكل ملكية جماعية)، أراضي الملك، أراضي الحبوس.

وكان أول تدبير باشرته السلطة الجزائرية بعد مغادرة الأوروبيين وضعت هذه الأملاك تحت حمايتها.

2-2-1- الملكية العقارية بعد عقد الثمانينيات :

بادرت الأجهزة الإدارية الجزائرية القائمة آنذاك على إحداث إصلاحات جديدة منبثقة من الميثاق الوطني، الذي تم تبني جزء منه. حيث تبنى دستور 1989 بإحداث القطيعة مع النظام السياسي والاقتصادي المنتهج ليقر الملكية الخاصة مسايرة للنظام السياسي والاقتصادي والحر، فاستحدث المشرع الجزائري القوانين التي تتماشى معه والتوجه الجديد كقانون 90-25 المؤرخ في 1990/11/18 المتضمن التوجيه العقاري والذي يلزم البلديات القيام بجرد عام للأملاك العقارية الواقعة بترابها في ذلك الأملاك العقارية التابعة للدولة والجماعات المحلية، وقد أصبح التصنيف العقاري الحالي ممثلا في:

الأملاك الوطنية: تتمثل في الأملاك العمومية والخاصة التابعة(الدولة، البلدية، الولاية).

أملاك الملكية الخاصة :وهي التي يمتلكها الأشخاص الطبيعيون.

الأملاك الوقفية: وهي الأملاك المحبوسة لا يمكن التصرف فيها كالشراء أو البيع أو التنازل.

كما تم إلغاء مضامين المرسوم 26-74 المؤرخ في 20فيفري 1974 المتعلق بالاحتياطات العقارية والمندرج في إطار تطبيق دستور 1989. وتبعته كذلك إلغاء العديد من الرخص طالما كانت عائقا أمام المعاملات العقارية المختلفة.

لقد قطع العقار أشواطاً كبيرة في مدة تفوق 50 سنة (1962-2014)، رغم القوانين الموروثة عن المستعمر بادرت الدولة الجزائرية إلى وضع ترسانة من القوانين والمراسيم لضبط الديناميكية التي شهدها سوق العقار، وسـن مجموعة القوانين التحفيزية والردعية لتطوير النصوص المتعلقة بالملكية العقارية، التي لم تكن بصفة إجمالية لكثرة التدخلات والتعديلات وفقدان التناسق مابين المهيئين و المسيرين والمستهلك وهذا ما يقودنا إلى تطرق المتدخلين المرتبطين بالتسيير الحضري للعقار.

2 – المتدخلين في تسيير العقار الحضري:

يعد العقار محور إستراتيجي نظراً لكونه من أولويات انشغالات الدولة، فحاجة المدينة للتوسع العمراني وتطوير المناطق الحضرية يقتصر على ما تجود به المدينة من مخزون عقاري.

ويتوجب على السلطات العمومية كلما دعت الحاجة الماسة للعقار،أستوجب عليها توفير الأراضي اللازمة لتوسع المدن وانجاز التجهيزات الأساسية والمرافق الضرورية وخلق المناطق السكنية والصناعية والتجارية والسياحية...إلخ ،على الرغم من تظافر الجهود التي يقوم بها كافة المتدخلين في القطاع العام والخاص في مجال البناء والتهيئة فإن مختلف التدخلات في المجال العقاري من أجل إمداد السوق العقارية بالأراضي اللازمة لا تزال عاجزة على مواجهة الحاجيات. وان عملية التوسع الحضري لأي مدينة ما يستوجب التطرق إلى ثلاثة عناصر يقوم عليها هذا التوسع والمتمثلة في العقار، العمران، المتعاملين أو المتدخلين. ويمكن حصر المتدخلين بشكل عام في ثلاثة فئات:

2-1-الدولة بمختلف مؤسساتها:

لقد ظلت الدولة منذ بداية السبعينيات أهم متدخل في مجال التهيئة والتعمير وذلك على الرغم من عدم قدرتها على تحقيق سياسة التعمير أكثر فعالية إلا أنها حاولت باستمرار توفير الأراضي بالمناطق التي يشملها التعمير.

إلا أنه ما يلاحظ هنا أن تدخل الدولة من أجل تطوير المجال العمراني ما يزال يعرف ضعف الإمكانيات والوسائل الفعالة، هذا ما يدفع المسؤولون المختصين إلى التفكير باستمرار إلى إسناد هذه المهمة الشاقة إلى القطاع الخاص أو المؤسسات الأجنبية[1] إلا أن هذه المبادرة لا تساير تطلعات الدولة التي تعمل على تغليب المصلحة والمنفعة العامة في كل ما يتعلق بميدان التعمير.

2-2- المتدخلون الخواص:

بعد زوال احتكار الدولة للعقار، ومع مطلع التسعينيات علق المخططون الكثير من الآمال على القطاع الخاص لحل أزمة السكن التي لم تستطع السلطات العمومية التغلب عليها رغم مخططات التنمية في ميدان التهيئة والتعمير. و يتبين من خلال الواقع أن الخواص يلعبون دورا أساسيا في تحديد مستقبل التوسع

[1]-المؤسسات الأجنبية:في إطار الشركة، كما يلاحظ اليوم تعدد الاستثمارات الأجنبية التي دخلت سوق الجزائري لإنتاج المباني.

العمراني، و تضم هذه الفئة مجموعة من الحرفيين وشركات البناء التي تساهم في تهيئة المجال العمراني من أجل خلق برامج سكنية وتجارية وسياحية ...فتظل هذه الفئة على اتصال مباشر بالسوق العقارية للتزود بالأراضي اللازمة لانجاز مشاريعها. فلقد كانت مساهمة الخواص لا تتجاوز 15 % في مجال التهيئة والبناء مقارنة بدور الدولة الذي تجاوز 85 % فكانت هذه الأخيرة تحتكر هذا المجال من حيث توفير القطع الأرضية بالمناطق السكنية والصناعية على مستوى البلديات.

2-3-الملاك العقاريون:

هم مجموعة الأشخاص الذين يعتمدون على إمكانياتهم الفردية لإيجاد الأرض المناسبة لمشاريعهم ويستعملونها بإمكانياتهم الخاصة لبنائها أو هم أشخاص يملكون قطع الأراضي عن طريق الشراء من أجل الاستعمال المباشر.

وإن كانت تجزئة الأراضي بالمناطق الحضرية إلى قطع صغيرة يؤدي إلى ارتفاع عدد الملاك العقاريين وبالتالي تتعدد معهم عمليات البيع والشراء وتتشتت الملكية العقارية التي توزع على عدة مالكين في المناطق المؤهلة للبناء والسكن وإعطائها دفع فيما يخص التعمير.

3-الدراسة العمرانية للنماذج المدروسة:

ان الأنماط الحضرية الجديدة التي نحن بصدد دراستها لكل من منطقة "النوميرات، بوهراوة، تافيلالت ، واد نشو" والتي تتميز على العموم بوحدة الشكل والنمط وطريقة إنشائها عبر النسيج المكون لمنطقة وادي ميزاب، و التي أكسبها خصوصيات و أشكال تبلورت جراء التوسع المستمر للمدينة، وكنتيجة عكستها ارتقاء المدينة التي كانت قابعة داخل الواد إلى صنف المدن المتروبولية الصحراوية على مستوى الجنوب الجزائري، حيث رسم لها ذلك ضمن مشروع التهيئة العمرانية لسنة 2000 بجعل غرداية مدينة ميتروبولية صحراوية بغض النظر عن الأرقام، وذلك وفق أسلوب يندرج في إطار سياسة محو الفوارق الجهوية، والذي أكسبها أهمية من التحول شيئا فشيئا إلى مركز عمراني كبير وسط الصحراء بحوالي 100.000 نسمة مع تعددية في الأعراق والمذاهب، الاتجاهات والأنشطة. مع أن المنطقة تمثل مصدرا حقيقيا للثراء والإشعاع وكذلك أيضا رهانات ثقافية واقتصادية وسياسية نظرا للعراقة التي تزيد عن عشرة قرون، والتي تتميز بها (اجتماعيا، اقتصاديا، ثقافيا). فقد شهدت المدينة تطور عمراني مستمر ونمو سريع في العشرية الأخيرة، أدى إلى فقدان المدينة طابعها الأصلي، وتوسع الهوة بين الأنسجة العمرانية القديمة والحديثة، بما فيها المجمعات السكنية الحديثة، والتدهور المستمر للمجال العمراني لاسيما على مستوى المناطق الحضرية.

أما إذا تطرقنا إلى تلاحم النسيج الحضري للمدن الخمسة للمنطقة يستوجب بنا استحضار ما تطرق إليه أستاذ " معاشو حاج محمد [2]"في دراسته الشكل الجديد للمدينة المتروبولية الصحراوية، و غرداية نموذج حـــي في قلب الصحراء، من خلال مقاله، "غرداية من البونتابول إلى المتربول". وهنا يستحضر الأستاذ الشكل الذي عرفته المنطقة من خلال إلتحام مدنها الخمسة، مشكلة متروبولية خطية على طول وادي ميزاب، واليوم توسع المنطقة يشهد منحى أخر بتوضع التجمعات على طول محور الطريق الوطني رقم 01، وهذا ما يعطي شكل أخر لصورة المنطقة أو المظهر العمراني للمنطقة.

ان استعراضنا لحيثيات وشكل توسع المنطقة، بغية تصوير وتقريب الصورة الحقيقية في بروز التجمعات الحضرية والمراكز العمرانية الحديثة بالمنطقة. ولذلك تعد الدراسة العمرانية من أهم الملامح التي تعطي صورة واضحة للمركز والنمو المجالي الحديث، وتطور الاستخدام السكني من حيث عـدده و مرفولوجيته، إن الامتداد العمراني بالمناطق المحاذية لوادي ميزاب أنتجت أشكالا عمرانية مختلفة عن مثيلتها القديمة، وهذا راجع لتدخل عوامل عدة منها طبيعية" الموضع ". ولمعرفة العوامل المتحكمة في التطور العمراني للتجمعات الجديدة، واستهلاك المجال سنقوم بدراسة شاملة للنماذج الأربعة المحاذية لوادي ميزاب.

3-1-التعريف بالتجمعات الجديدة نمطاً وشكلاً:

إنه لمن الضروري التعرف على التجمعات الجديدة لحيز الدراسة، وإعطاء فكرة عامة عن بعض العناصر التي لها علاقة بالموضوع من: أصل النشأة، موقع ، موضع..... .

إن منطقة وادي ميزاب الجوهرة الصامدة بالصحراء تتوزع على أطرافها المحيطية التجمعات والمراكز الحضرية الرامية إلى استيعاب عدد هائل من السكان على المدى المتوسط والطويل. وعلى هذا الأساس اقترحت بمثابة أنوية في بداية الأمر من طرف السلطات المحلية، بهدف امتصاص الكثافة السكانية المفروضة على مدينة غرداية الأم.

ولقد تم اختيار أربع نماذج حضرية جديدة، مختلفة من حيث الشكل و المستوى والأداء المجالي والوظيفي، من بينهم مجمعتين ثانويتين اللتان تعرفان تنمية حضرية واسعة، ومنطقة مبعثرة يراهن عليها بمستقبل واعد، بإلاضافة إلى قصر تافيلالت الذي حظي بالاهتمام المحلي والوطني .

[2] - MAACHOU, H M.,2013: « Le M'zab: de la Pentapole à la "Métropole" » .in Bulletin des Sciences Géographiques – N° 28, pp63-70.

3-1-1-منطقة النوميرات:"Zone de la science"

1-نشأة منطقة النوميرات:

حسب بعض الروايات المتعلقة بمنطقة النوميرات على أنها كانت قديماً عبارة عن منتجع رعوي تتداول عليه قطعان الابل و الاغنام ، إلى غاية دخول المستعمر الذي قام بتشييد المطار الذي يوجد على مستواها ذو الاستعمال العسكري والمدني. وحسب الإحصائيات الرسمية للمنطقة في الأصل كانت عبارة عن دشرة وبناءات منعزلة (Hameau et lieu-dit) في عام 1998 وارتقت إلى صنف منطقة مبعثرة في 2008[3]. و بعد إنشاء المنطقة الصناعية "قارة الطعام"بالقرب منها في الفترة الممتدة (1970-1980) بدأت تدب حركة استقرار البدو الرحل على مستواها. و اليوم هذه المنطقة يطلق عليها اسم المنطقة العلمية "Zone de la science " على أساس الصرح العلمي المتواجد على مستواها من جامعة، مركز البحث، والمركز المهني و الترفيهي والرياضي.

2- الموقع:

تقع منطقة **النوميرات** في المدخل الجنوبي لمدينة غرداية وتبعد عنها حوالي 12كلم، أما عن بلدية متليلي بـ 28كم يحدها من الشمال الشرقي منطقة النشاطات لبلدية العطف، ومن الشمال الغربي المنطقة الصناعية "قارة الطعام" بلدية بنورة. ومن الشرق مدرج مطار النوميرات ومن الجنوب متليلي الجديدة أما من الغرب شعاب الواد وجبال صخرية ، وقدرت مساحتها الإجمالية بـ1100 هكتار .(الخريطة رقم 14.)

[3]- ONS,.2008 : Annexe Régionale Ouargla.

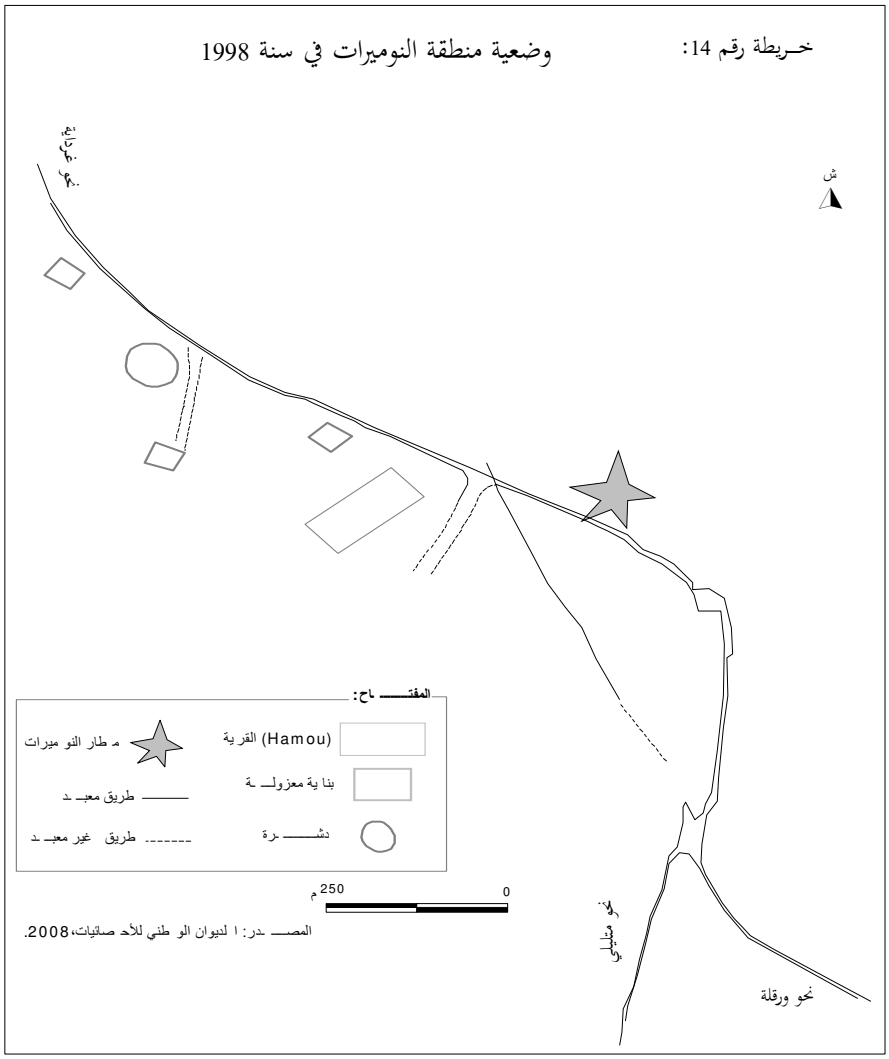

3-الموضع:

يمتد موضعها على امتداد الطريق الوطني رقم 01 والذي يعتبر العامل المساعد على حركة التعمير بهذه المنطقة و□هولة التنقل في الاتجاهين الشمالي (غرداية مركز) والاتجاه الجنوبي إلى مد□ الجنوب. ويتميز □طحها بالانبساط وقلة الانحدارا□. حيث تتموضع على حدود بلديتين(العطف وبنورة) الذي □يضعها على المحك مستقبلاً مع مشكلة الاندماج خلال نموها المستقبلي وهذا ما يقودنا إلى تصور منطقة النوميرا□ ورهانا□ الاندماج .....حتمية أم خيار؟ وهذه النقطة□وف نرجع ونفصل فيها لاحقاً عند تطرقنا إلى الحظيرة السكنية و أمور التهيئة على مستواها.

فقد أظهر□ الخريطة السابقة أ□ منطقة النوميرا□ لم تحض بتجمعا□ □كانية منذ نشأتها □وى بعض البنايا□ المنعزلة التي قد تكو□ من أهم أنماط البناء المعماري التقليدي للمنطقة منذ ظهورها إلى غاية ترقيتها إلى منطقة مبعثرة التي يراهن عليها مستقبلا من حيث التنمية.

صورة رقم23: موقع منطقة النوميرا (image satellite,.2008).

خـــــريطة رقم 15.

مـــحددات الكتلة العمرانية لمنطقة النوميـــــرات

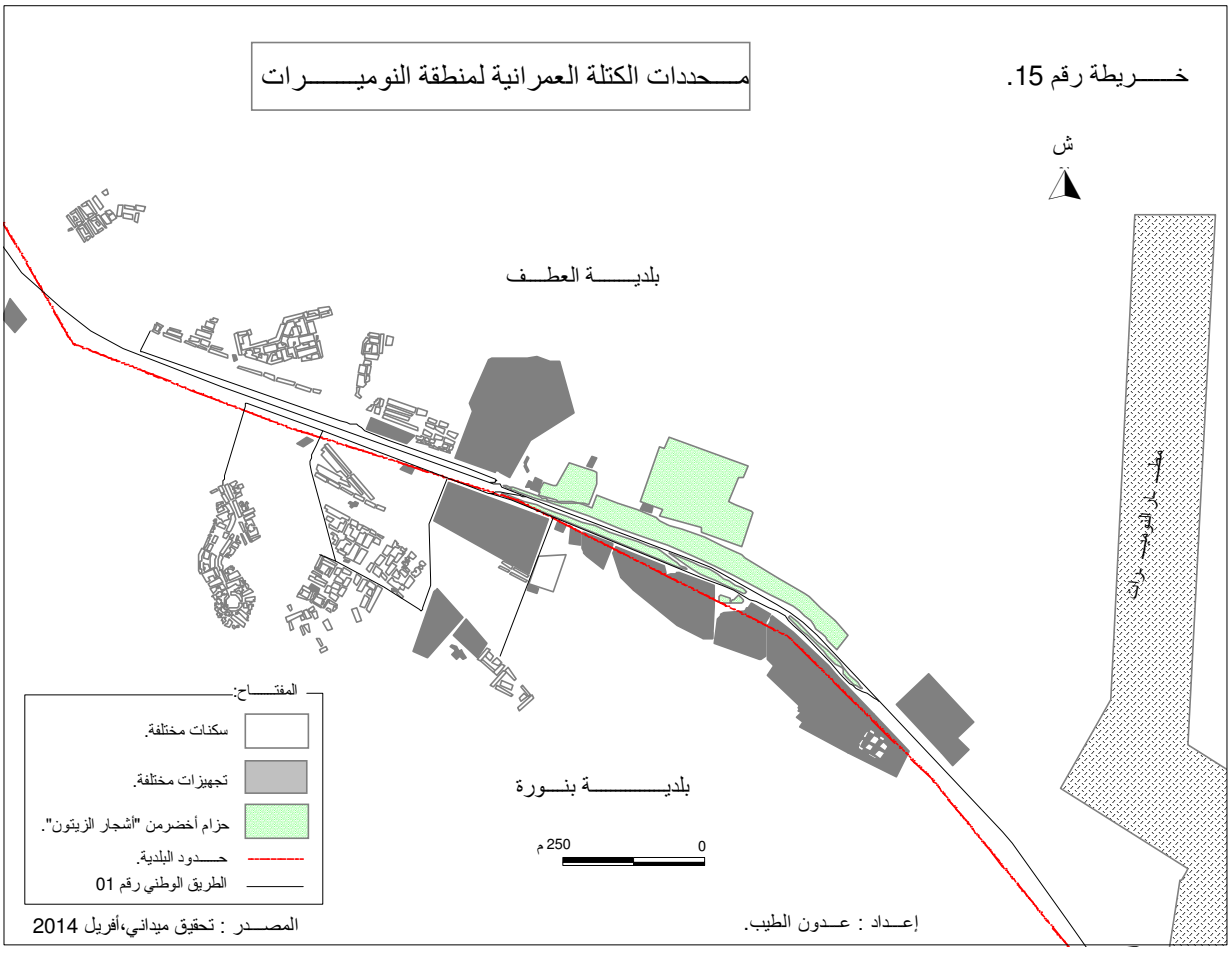

3-1-2-منطقة بوهراوة"مجمعة ثانوية":

1-نشأة منطقة بوهراوة:

وهي عبارة عن تجمع ثانوي لبلدية غرداية حديثة النشأة، الموجودة على سطح ضعيف التضرس "موسى بوكراع[4]"شمال غرداية، مع وجود بعض التشعبات. إذ بادر المجلس الشعبي البلدي بالتنسيق مع المجلس الولائي باقتراح 3000 قطعة أرض للبناء الذاتي في عام 1989، على موضع يتسم بالميل الشديد نحو الشعاب المؤدية إلى واحة بنورة. حيث طرحت في الوهلة الأولى مشكلة التجهيزات وقضية الصرف الصحي بها، حينها أخذت دراسة الوكالة الوطنية للتهيئة القطرية (ANAT) على عاتقها هذه المشاكل بعين الاعتبار وحرصت على مطابقة نتائجها. حيث تبلورت فكرة بناء مناطق سكنية خارج النسيج العمراني، على أساس مخزون عقاري بالمنطقة لسد الاحتياجات العقارية للبلدية على المدى القريب والمتوسط.

2-الموقع:

تقع في ناحية الشمال للبلدية على بعد 03 كلم من مركز المدينة على الطريق الوطني رقم 01 و تشرف مجمعة بوهراوة على المخرج الرئيسي لمدينة غرداية نحو الشمال يحدها من الشمال استمرار الطريق الوطني رقم 01 ومن الجنوب شعاب شديدة الانحدار التي تفصلها على شعبات حي سيدي أعباز على مستوى بلدية بنورة، أما من الغرب منطقة النشاطات. وقدرت مساحتها حسب (PDAU) بـ240هكتار. وبحكم قرب المنطقة من مركز الخدمات داخل النسيج العمراني للمدينة الأم، سوف لن يحـــد من شدة التركز وزيادة الطلب على مركزية المدينة، مما يجعل المجمعة في وضع هامشي رغم الحضور المعتبر للتجهيزات الموجودة بها التي تعتبر مكملة للمدينة، حيث تعطـــي تواصل بين منطقة الـدراسة والبلدية مع زيــادة العلاقة بينهما باقتراح مجموعة من التجهيزات تكون هناك رابـطا وظيفــيا مع المدينة والمحيط المجاور.

3-الموضع:

توجد المنطقة على مستوى نطاق هضبة "موسى بوكراع" ذات ميل ضعيف نسبياً، ويقسمها الطريق الوطني رقم 01 إلى قسمين، هذا ما أكسبها انتعاش و سهولة الاتصال والحركة. حيث سمح لها هذا الموضع كبوابة لسهل وادي ميزاب باستقطاب العديد من التجهيزات الهامة لتخفيف الخناق المفروض على مركز مدينة غرداية. كذلك أكسبها موضعها أهمية في تمرير قنوات الصرف في اتجاه الجنوب الشرقي ضمن الشعاب المؤدية لـواحة بنورة.

[4] - Repère : Ghardaïa ,carte du Sahara Au 1/200000.

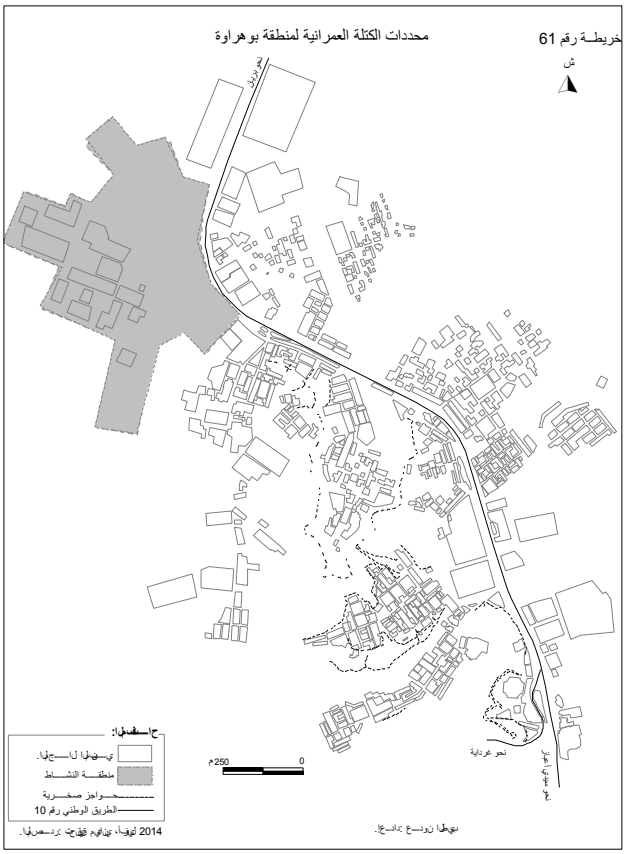

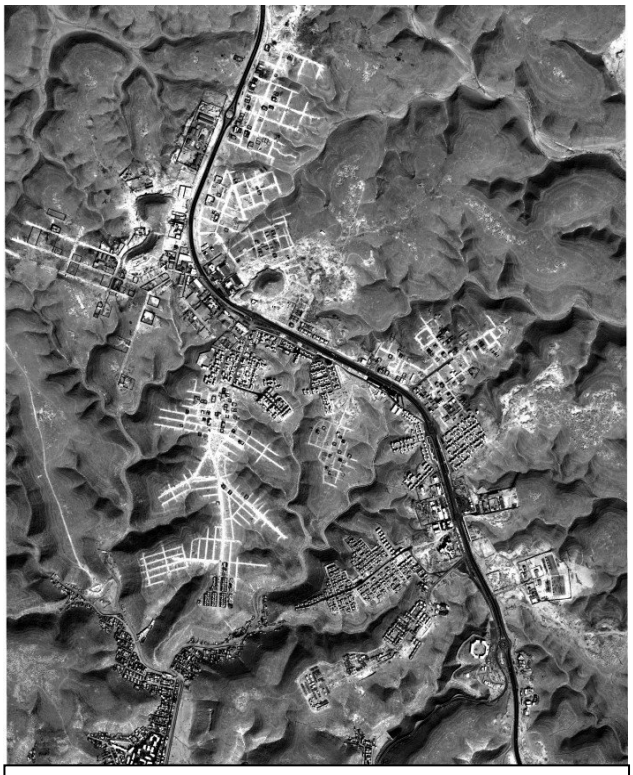

صورة رقم 24: منطقة بوهراوة
(image satellite..2008).

3-1-3-منطقة واد نشو"مجمعة ثانوية بصبغة مدينة جديدة":

1-نشأة منطقة واد نشو:

ترجع حيثياتها إلى عام 1989عندما اقترحت السلطة المحلية إقامة مدينة جديدة على مشارف وادي إوريغنو(Oued Ourilhou) بشمال مدينة غرداية، حيث تم توزيع القطع الأرضية على المستفيدين من تجزئات منذ 1989 بغرض تخفيف الضغط على مدينة غرداية والحد من تدهور الواحة وعندها انتظر المستفيدون تأكيد المشروع باستخراج المياه وتوفير الطاقة الكهربائية. و إلى غاية التعداد السكاني 1998 صنفت المنطقة بمثابة مجمعة ثانوية غير مأهولة بالسكان (inhabitée) رغم ذلك لم يتم الإسكان في هذا المشروع إلا بعد 8 سنوات و هذا نظرا لغياب النقل والتجهيزات العمومية.

2-الموقع:

تقع على بعد 17 كلم من مدينة غرداية في الجزء الشمالي للمدينة وعلى بعد 23 كلم جنوب مدينة بريان وعن المنطقة الصناعية بنورة بـ25كلم شمالاً، يتميز سطحها بانحدار 0متوسط باتجاه الجنوب الشرقي، حيث يتراوح ارتفاعها مابين 560 إلى 600م . أما المساحة حسب (PDAU) قد حددت لاستيعاب 18000 نسمة أي ما يعادل 150هكتار، ومساحة قابلة للتوسع بنحو150هكتار،أي بمجموع300 هكتار.

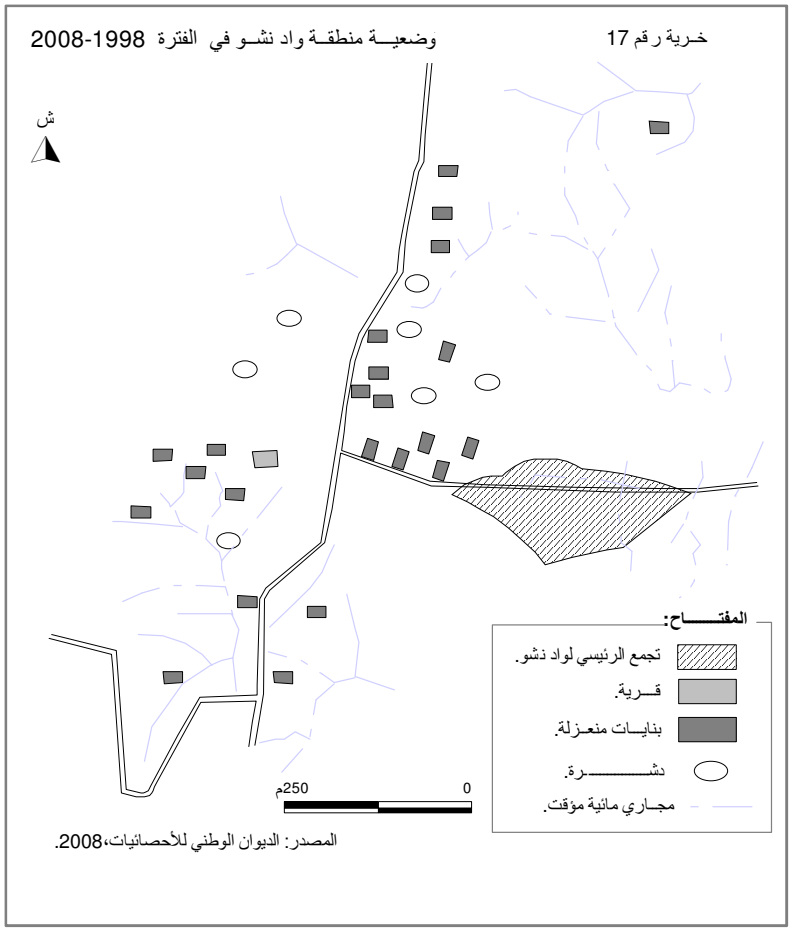

3-الموضع:

تتموضع مجمعة واد نشو بمحاذاة امتداد الطريق الوطني رقم01 وهذا الأخير يعمل على تسهيل الدخول للمجمعة إلى غاية المنطقة البترولية المتواجدة على بُعد بضعة كيلومترا من الناحية الشرقية لواد نشو. بالإضافة إلى قربها من مناطق الا تصلاح الفلاحية المهيأة للزراعة، ويسمح موضعها بحركة التنقل باتجاه ضاية بن ضحوة والمد المجاورة. كما تم إطلا أول مشروع نموذجي للمحطة الشمسية المصغرة بطاقة 1.1ميغاواط و بـــ 6000 لوحة كهروضوئية بالقرب من واد نشو و التي دخلت الإنتاج الفعلي في جانفي 2014، التي تحدثت كمخبر طبيعي للأبحاث في الطاقة الطبيعية .

وعليه منطقة واد نشو التي اقترحت كمدينة جديدة منذ نشأتها عرفت طفرة نوعية للبرامج السكنية وتحول نوعي في مدة قصيرة، إلا اننا صدمنا في الواقع عند جولتنا لها وما تمتاز به من انتشار كبير للبناءا الجاهزة (الشاليها) الذي يشكل 90 في المئة لنسيجها الحضري وهذا يتنافى ويتناقص مع ما جاء به المخططا الراعية لذلك.

3-1-4-منطقة تافيلالت " مشروع عصري رائد للأجيال":

1-نشأة القصر الجديد تافيلالت :

وجود قصر بني يزقن المعمر مصدر ومنطلق فكرة إنشاء القصر الجديد تافيلالت، بغية التثمين والمحافظة على النمط العمراني المحلي والحـد من تدهور الواحة وحماية □هل وادي ميزاب، حيث يمثل هذا القصر تجربة إنسانية وعمرانية فريدة من نوعها في العالم العربي وإفريقيا، أو ربما في العالم أجمع، وجاء في صورة مستنسخة لقصر بني يزقن حيث أدخل عليه و□ائل جديدة و□اليب الحياة العصرية تماشياً مع أفراد القر□ الواحد والعشرو□.

المنطقة قبل إعمارها كانت عبارة عن منطقة جرداء تابعة للدولة، تم شراؤها بسعر معقول من طرف "جمعية امدول" التي أخذت على عاتقها تسيير المدينة "قصر تافيلالت" قبل وبعد الانجاز.

كما يشكل قصر تافيلالت تجربة إنسانية جد خاصة بالمقاربات التي يطرحها، سواء اقتصاديا وثقافيا وحتى ايكولوجيا. تتربع منطقة تافيلالت على مساحة 22.5 هكتار، ومساحة سكنية قدرت بـ 79.670,00م^2 انطلقت بها الأشغال في 03/15/ 1997 على شكل مراحل وسلمت منها 200 مسكن كأول حصة في نوفمبر2000ثم تبعتها سبعة إلى ثمانية توزيعات من إجمالي870 مسكن على مستواه، مع عدم تسجيل أية مشكلة في التوزيع.

ولـدى لقاءنا بالقائمين على جمعية "أميدول"على مستوى المكتب المتواجد بالمدخل الرئيسي للقصر، كل من المهندس"عمار موسى"و مؤسس الجمعية "حاج أحمد نوح"، قدمت لنا بعض الشروحات المفصلة عن كيفية الحصول على المسكن، حيث أنه لا يمكن أن نجد حلاً كاملاً للمجتمع، وأمام الملفات الثقيلة للطلب المتزايد على السكن (Demande d'offre) وبالمقابل وجود شباب حديثي الزواج لا يملكون وسائل لإقامة مساكنهم، بالإضافة إلى فيضان أكتوبر 2008 الذي طرح كعائق أمام الشباب القابلين على الزواج، وبذلك فتح الباب لأصحاب الدخل المتوسط بغية الحصول على مسكن بالقصر. وان كان المسكن لا يعطى للفرد بل يتم بيعه لكي يحـس مالك المسكن بالقيمة ومدى الحفاظ عليه. و بغية شراء مسكناً بالقصر تشترط بعض الشروط منها: لا بدا على الفرد أن يكون متزوج أو في حالة امرأة أرملة حاضنة للأولاد، على كل مالك للمنزل عليه غرس "نخلة" على الأقل حسب ما جاء في دفتر الشروط وبهدف تجسيد الثقافة البيئية.

وما يميز القصر وجود جمعية الأحياء التي تشرف على نظافة الحي، بحيث قسمت أحياء القصر إلى مجموعة من الجزيرات التي تضم مجموعة من المساكن حيث يقوم صاحب كل مسكن بتنظيف الحي مرة في الأسبوع بشكل دوري انطلاقاً من اللوحات الاشهارية المتواجدة على مستوى كل حي، و بغية زرع هذه الثقافة في أجيال القرن الواحد والعشرون.

وما نستطيع قوله في الأخير إن قصر تافيلالت استقطب اهتمام الزوار والمختصين في الداخل والخارج، حيث فاز بميدالية أحسن مشروع عمراني في إفريقيا، كما حظيت بزيارة الرئيس بوتفليقة، إثر كارثة أكتوبر 2008، الذي أشاد بالتجربة واعتبرها نموذجاً يستحق أن يعمّم في الجزائر كلها. كما استقطبت التجربة أيضا أنظار السفير الأمريكي السابق بالجزائر" روبيرت فورد" وأعجب بها أيّما إعجاب على أساس أن قاطنيها لا يحتاجون إلى الهيئات الردعية الحديثة مثل مجالس القضاء والشرطة والمحاكم.

2-الموقع:

يقع قصر تافيلالت الذي شد اهتمام العديد من الباحثين والزوار، بجنوب قصر بن يزقن – غرداية، الذي يبعـد عنها بـ 1,5كم، فهـي تحتل موقع إستراتيجي ضمن الحيز المطل علـى المنطقة الصناعية "قارة الطعام" بنورة والواحة الشرقية لبني يزقن، حيث يمثل قصر تافيلالت الحلقة الرئيسية ضمن التجمع القصوري جنوب غرب بني يزقن.

3-الموضع:

تتموضع تافيلالت على أرض صخرية ذات انحدار 12 إلى 15% مع وجود انحدارات شديدة من الناحية الشرقية ، فالموضع المهم أكسبها خصوصيات المعمار الصحراوي مع تناسق الطبيعة. وما يلحظ بالمنطقة عادة ما تكون مناطق صعبة التضرس هي أكثر ملائمة للعمران في هذه الحالة، وتعطي صورة أفضل من حيث الشكل العمراني، وهذا ما يتجسد عبر جل قصور غرداية. فموضع تافيلالت النموذجي يفتح الباب أمام الأجيال القادمة و المسؤولين على اختيار موضع مماثل تكون قادرة على استيعاب الضغط السكاني المفروض على التجمع الحضري لوادي ميزاب وخلاف التجمعات الجديدة.

وكخلاصة لما سبق الشكل رقم 08 يلخـــص الخصائص الطبيعية وظروف ظهور هذه المناطق.

صورة رقم 25: قصر تافيلالت. (image satellite,.2008).

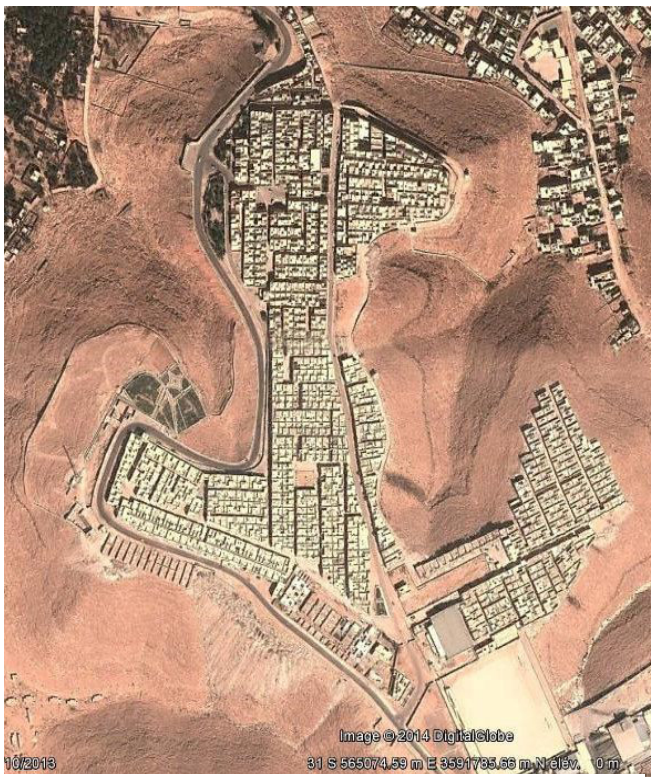

صورة رقم 26: قصر تافيلالت ،(Google Eerth,.2013).

القراءة الأولية للصورتين تظهر جلياً في استكمال كل الوحدات السكنية التي برمجت بقصر تافيلالت منذ أنشأه عام 1997 ، كما يبرز كذلك استكمال الحظيرة الخضراء المتواجدة بالمدخل الرئيسي للقصر التي جاءت كمنتزه ومساحة خضراء لقاطني القصر.

وكخلاصة لما سبق يمكننا القول ان النماذج الأربعة المدروسة أخذت شكل النمو الخطـــي المتطاول لنمو مراكـزها، وامتـــدادها على جانبي الطريق الوطنـــي رقم 01. باستثناء منطقة تافيلالت التي كان تموضعها بعيد عن محور الطريق إلا أنها تُظهر لنا شكلا طولياً لنسيجها العمراني. إن الشكل الخطـــي أو الطولي لنمو هذه التجمعات سوف يغير مع مرور الوقت الشكل الحضري لتجمع وادي ميزاب الذي كان يساير مجرى الوادي، أصبح يوم يأخذ شكلا أخراً مسايراً لمحور الطريق الوطني رقم 01.

فأروقة التعمير المحاذية لوادي ميزاب كانت مسرحاً لظهور هذه التجمعات الجديدة كأقطاب جديدة لنمو(NPC) والتي يراهـن عليها في التنمية على المديين المتوسط والطويل، في احتوى مختلف البرامج التنموية بغرض تخفيف الضغط و فك الخناق المفروض على مركز مدينة غرداية. وسوف تبقـى هذه التوسعات الجديدة السبيل الوحيد للأجيال القادمة لضمان كرامتهم وكل ضروريات العيش الكريم.

الشكل رقم 07 : الخصائص الطبيعية وظروف نشأة هذه المناطق.

المنطقة / الخصائص	النوميرات "Zone de le science"	مجمعة بوهراوة	مجمعة واد نشو	قصر تافيلالت
	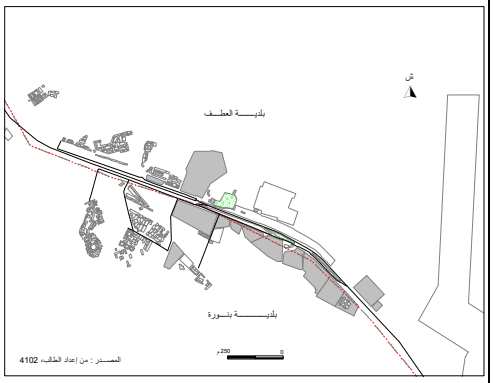	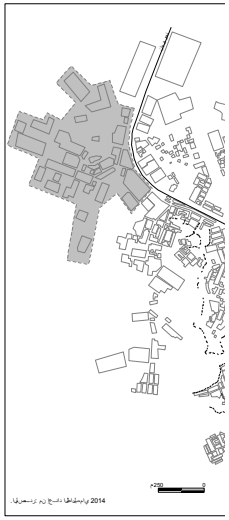	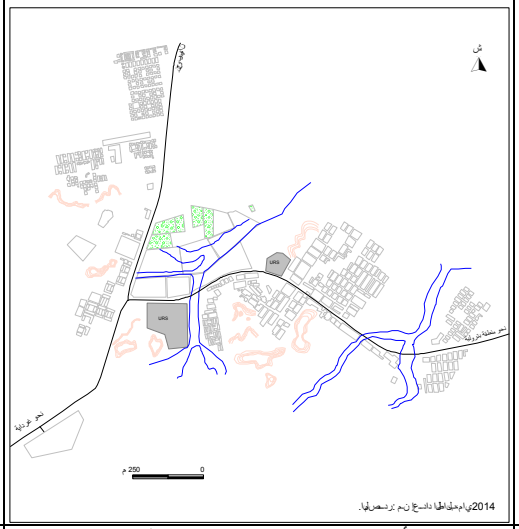	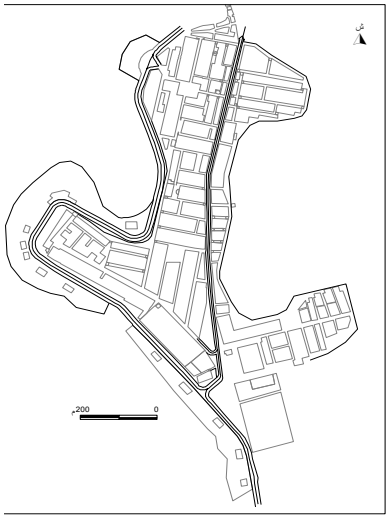
مميزات البيئة الطبيعية	- شعاب الواد . - سطح منبسط.	- مجال صخري واسع النطاق مع سطح كثير التموج.	-أرض شبه مسطحة.وكثيرة التموج -بيئة جرداء خالية من غطاء النباتي.	-منطقة صعبة التضرس -أرضية جافة قاحلة.
تاريخ النشأة	- دشرة وبناءات منعزلة في 1998. -وارتقت إلى صنف منطقة مبعثرة 2008.	اقترحت عام 1989 ، وصنفت مجمعة ثانوية 1998.	اقترحت عام 1989 كمدينة جديدة ، وصنفت مجمعة جديدة ثانوية 1998غير مأهولة بسكان .	1997/03/15
الموقع	جنوب الشرقي التجمع الحضري لوادي ميزاب	شمال التجمع الحضري لوادي ميزاب	شمال التجمع الحضري لوادي ميزاب	جنوب التجمع الحضري لوادي ميزاب
الموضع	موضعها على امتداد الطريق الوطني رقم 01.	على مستوى نطاق هضبة "موسى بوكراع" ذات الميل ضعيف نسبياً.	بمحاذاة امتداد الطريق الوطني رقم01. والسفح الأيمن لوادي إوريغنو.	على أرض صخرية ذات انحدار 12 إلى 15%.
محددات الموضع	محددات صناعية (طريق، المطار) ومشكلة إلتحام المنطقتين المتوضعة على جانبي الطريق.	محددات طبيعية المنحدرات الصخرية وشعاب الأودية.وإمكانية محدودة للتوسع.	محددات طبيعية (جبال، واد، مساحات زراعية).	محددات طبيعية (هضبة صخرية مجال غابي في الأسفل).

المصدر: من إعــداد،ع الطيب.

4-أشكال إنتاج المجال المبني للعينة المدروسة لوادي ميزاب:

إن سيادة السكن الفردي أو التجزئات بالتجمعات الجديدة المحاذية للتجمع الحضري لوادي ميزاب من أهم أشكال إنتاج المجال المبني، بغض النظر عن الجهة المنشئة، كما لا ننسى بأننا في وسط صحراوي عـادة يسوده السكن الفردي الذي يتماشى مع عادات وتقاليد المنطقة. أما السكن النصف الجماعي، فإنه لا يمثل إلا نسبة ضعيفة من مجموع البرامج السكنية المنجزة.

4-1-السكن الفردي المبرمج:

بغرض الحد من تفاقم أزمة السكن، جاء تدخل الدولة مبكراً بتشجيع المبادرات الفردية في إعمار المناطق الحضرية الجديدة والتي مهد لها من خلال قانون 1974 الخاص بتشكيل الاحتياطات العقارية . وهكذا ظهرت التجزئات السكنية الموجهة للسكن الفردي .

4-1-1-تجزئات البلدية:

بعد صدور قانون البلدية 09/90 المؤرخ في 1990/04/07 الذي حدد الصلاحيات ومجال تدخلها في المجال كهيئات إدارية لضمان الرقابة، وصدور قانون 90-25 المؤرخ في 1990/11/18المتعلق بالتوجيه العقاري. كما لا يخفى علينا أن البلدية أهم هيئة في تسيير وتهيئة التحصيصات العمومية أين منح لها الأمر 26/74 المتضمن تكوين الاحتياطات العقارية السلطة المطلقة في التعاملات العقارية، بيع وشراء الأراضي الواقعة ضمن محيطها العمراني. ولكـــن ما جلب الانتباه، مُباشرة بلدية غرداية سنة 1989في الشروع في بناء مناطق سكنية خارج النسيج العمراني بالضبط في كل من بوهراوة و واد نشو، حيث أشرفت على توزيع3000 قطعة أرض للبناء الذاتي بمنطقة بوهراوة التي جاءت من اقتراح المجلس الشعبي البلدي. وتم اقتراح كذلك400 تجزئة بواد نشو التي تندرج ضمن قائمة المدن الجديدة المقترحة بالمنطقة في نفس السنة إلى غاية 2008 برمجت بمجمعة واد نشو التجزئات الخاصة بالمنكوبين جراء فيضان أكتوبر2008، بتعداد 650 وحدة أرضية التي أشرفت عليها السلطة المحلية.

ومن خلال التحقيق الميداني أتضح لنا، ان جل السكنات و التحصيصات الموجودة بالتجمعات الحضرية الجديدة للعينة التي هي قيد الدراسة تابعة إلى الوكالة العقارية[5] (A.F.L) وديوان الترقية والتسيير العقاري[6] (O.P.G.I) ، وأنماط هذه السكنات بين النمط الفردي والنصف جماعي. كما سجلت بعض التحصيصات التابعة للمرقيين الخواص، و سوفى نبرز كل واحدة على حدى :

5- الوكالة العقارية: أقيمت بموجب المرسوم التنفيذي 405/90 المؤرخ في 1990/12/22 ، هي مؤسسة عمومية ذات طابع صناعي وتجاري تقوم بشراء وبيع الأراضي وتهيئتها، وتنشأ من طرف المجالس الشعبية البلدية أو المجالس الشعبية الولائية.

6- ديوان الترقية والتسيير العقاري: وهي مؤسسة عمومية وطنية ذات طابع صناعي وتجاري بموجب المرسوم التنفيذي رقم 91-147 المؤرخ 12ماي - 1991 يتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي يعد تاجر في علاقاته مع الغير ويخضع لقوانين وقواعد القانون التجاري. ولها إسهام في توفير جزء كبير من الحظيرة السكنية.

4-1-2- تجزءات الوكالة العقارية :

وذلك لتخفيف العبء الملقى على بلدية غرداية باشرت السلطة المحلية في وضع الأسس الحديثة لانجاز مجمعة الثانوية ""بوهراوة' كمنطقة مستجابة لتوسع على المديين القصير والمتوسط ، ومع ظهور الوكالة المحلية للتنظيم والتسيير العقاريين الحضريين بالمنطقة لكل من وكالة غرداية و وكالة بنورة بموجب المرسوم التنفيذي رقم 405/90 المؤرخ في 1990/12/22 ، و إسهامها الكبير في إنتاج المجال. حيث نجد معظم التجزئات على مستوى بوهراوة أقيمت مـن طرف وكالة غرداية. والجدول الموالي يوضح ذلك:

الجدول رقم 08: برامج التجزئات التي أشرفت عليها وكالة غرداية.

المنطقة	اسم التجزئة	المساحة(هكتار)	عدد القطع الموجودة	عدد القطع الممنوحة	النمط
بوهراوة	بوهراوة رقم 01	12	300	90	سكن فردي
	بوهراوة رقم02	33	545	188	سكن فردي
	النشاط الاقتصادي	42	178	90	-
	حي 350مسكن	11.5	350	350	فردي تساهمي
	تجزئة 100مسكن جنوب حي الجمال	15	100	100	فردي تساهمي
المجموع		113.5	1473	818	-

المصدر: مصلحة البلدية+تحقيق ميداني، 2014.

وفيما يلي عرض لأهم خصائص التجزئات من إشراف الوكالة العقارية لغرداية :

*تجزئة حي 350 مسكن :

التي تقع من الناحية الجنوبية الغربية لمجمعة بوهراوة تضم 350 قطعة تكون ما يعرف بتجزئة السكن الفردي التساهمي بمساحة 11.5 هكتار، وقد تم توزيعها على إثر البرنامج الخماسي (2004-2009).

*تجزئة بوهراوة رقم1 و2 :

تمثلان تجزئة البناء الذاتي، و الواقعة ضمن قطاع قابل للتعمير من الناحية الشمالية لمجمعة بوهراوة وتضم 845 قطعة أرضي للبناء الذاتي بمساحة إجمالية مقدرة بـ 45 هكتار، رغم ذلك لحظ بها أن عملية الاشغال و البناء لازالت مستمرة مع غياب التهيئة الخارجية.

*منطقة النشاطات:

تتكون من عدد التحصيصات التي جاءت على إثر إنشاء المجمعة لدفع عجلة التنمية، حيث كانت تشرف عليها الوكالة العقارية لغرداية ، كما يبرز خلالها التخصص في شغل المجال.

* تجزئة 100مسكن جنوب حي الجمال:

وهي سكنات تساهمية فردية تتربع على مساحة 15هكتار، انطلقت سنة 2005 وتقع في حي الجمال على مستوى مجمعة بوهراوة.

وما يلاحظ على مستوى التجمعات الأخرى غياب كلي للتجزئات التي تشرف عليها الوكالات العقارية المحلية باستثناء ، 110حصة للبناء الــذاتي على مستوى منطقة النوميــرات التي تشرف عليها وكالة بنورة[7] التي بقيت مجمدة لمدة تفوق خمس سنوات، ولم ترى النور إلى غاية اليوم.

4-1-3- السكن الفردي المنجز من طرف ديوان الترقية والتسيير العقاري:

يساهم ديوان الترقية والتسيير العقاري في دعم التنمية من خلال انجاز سكنات ذات إيجار منخفض مما يفتح الباب أمام أصحاب الدخل المحدود ويسمح في الإسهام بقسط كبير في تعزيز الحظيرة السكنية، والجدول رقم 09 يعطي ملخص عن نشاطه خلال السنوات الأخيرة.

فالجدول أدناه يبرز الحضور القوي لديوان الترقية والتسيير العقاري، من خلال مساهمته الواسعة في عملية إنتاج المباني من نمط سكن فردي، وهذا دليل على أنه كان السباق لإنتاج وتسيير المباني على مستوى التجمعات الجديدة.

[7]- حسب ما صرح لنا به "السيد زرهودي"أحد نواب بالوكالة العقارية بنورة 2014/04/28.

جدول رقم 09 السكن الفردي المنجز من طرف ديوان الترقية والتسيير العقاري[8].

المنطقة	تسمية المشروع	العدد	المساحة (هكتار)	وضعية	الموقع
بوهراوة	سكنات موظفي الولاية	88	2	سلمت في 2005	حي الجمال
	200 مسكن فردي	200	1.5	لم يتم توزيعها	حي الجمال
	تجزئة 230مسكن	230	5	سلمت في 2010	بوهراوة الجديدة
واد نشو	سكنات قطاع التعليم	65	1	نسبة الإنجاز فاقت 90%	شمال غربي لواد نشو
	تجزئة 300مسكن	300	5	سلمت في 2006	عند مدخل حي واد نشو
	تجزئة 251مسكن	251	2	سلمت في 2007	قرب عيادة متعددة خدمات
	تجزئة 236مسكن	236	6	سلمت في 2003	وسط حي واد نشو
	400مسكن RHP*	400	4	انطلقت 2007 وصلت نسبة أشغال 95%	شمال غربي لواد نشو
	100مسكن RHP	100	2	انطلقت 2006 أشغال مكتملة 100%	شمال غربي لواد نشو
	90مسكن RHP	90	2	انطلقت 2009 وصلت نسبة أشغال 90%	شمال غربي لواد نشو
	240مسكنRHP في إطار برنامج خماسي	240	3	انطلقت 2010 وصلت نسبة أشغال 40%	قرب فرع البريد
التوسعات	70مسكن RHP	70	1	سلمت في2011	المنطقة العلمية العطف
	40 مسكن في إطار مخطط تكميلي2010-2014	40	0.5	أشغال كاملة و لم توزع بعد	المنطقة العلمية العطف
	100مسكن اجتماعي	100	1	سلمت في 2012	المنطقة العلمية العطف
	20مسكن RHP	20	0.20	انطلقت 2008 وصلت نسبة أشغال 95%	المنطقة العلمية العطف
	110مسكن في إطار برنامج خماسي	110	2	لم تنطلق بها الإنجاز	المنطقة العلمية بنورة
	375تساهمي	375	2	نسبة الإنجاز فاقت 90%	المنطقة العلمية بنورة
	100مسكن RHP	100	1	في طور الإنجاز	المنطقة العلمية بنورة
	40 مسكن ،مخطط تكميلي2010-2014	40	0.5	أشغال كاملة و لم تسلم	المنطقة العلمية بنورة
	سكنات قطاع التعليم العالي	50	2	أشغال كاملة و لم توزع بعد.	المنطقة العلمية بنورة
	سكنات قطاع التعليم العالي	60	0.5	في طور الإنجاز ب80%	المنطقة العلمية بنورة
	سكنات قطاع التعليم	15	0.25	أشغال كاملة و لم توزع بعد.	المنطقة العلمية بنورة
	80مسكن (CDER*)	80	1	دخلت حيز استغلال	المنطقة العلمية بنورة
	80مسكن RHP	80	1	بلغت نسبة أشغال90%	المنطقة العلمية بنورة
المجموع	-	3340	45.75	-	-

المصدر: ديوان الترقية والتسيير العقاري+ تحقيق ميداني أفريل2014.

[8]-*RHP : امتصاص السكن الهش. *(CDER):خاص بإطارات مركز البحث في الطاقة المتجددة.

4-1-4 السكن الفردي "تجزئات الخواص"

ان السكنات المنجزة من قبل الخواص أو ما يعرف بـ "قطاع الترقية العقارية الخاص" تعتبر حديثة في مدينة غرداية وهذا منذ 1995 إلا أنها استطاعت أن تساهم في دعـم الحظيرة السكنية .حيث كانت المساحة العقارية الخاصة بهذه السكنات المنجزة تابعة للدولة، ثم تم شراؤها من طرف الخواص وتتوزع بكل من منطقة النوميرات و تافيلالت، ومنطقة بوهراوة. أما فيما يخص المشاريع المنجزة فتبنت عملية إنجاز السكنات التساهمية الفردية ستة مرقين خواص، والجدول رقم 10 يوضح ذلك .

جدول رقم 10 : مشاريع السكن الفردي المنجزة من قبل الخواص.

المنطقة	تسمية المشروع	صاحب المشروع	العدد	المساحة (هكتار)
بن يزقن	تافيلالت "تاجديدت"	جمعية اميدول	870	22.5
النوميرات	أغرام أنو عزام	الحاج أحمد	360	4
	490 مسكن (LSP)	بابا أوسماعيل	490	5
	200 مسكن (LSP)	دحـــــان	200	2
	17 مسكن (LSP)	بن دحمون	17	0.20
	100مسكن (LSP)	الحـاج سعـيد	100	1.35
بوهراوة	200 مسكن فردي اجتماعي	مكتب الدراسات العمرانية (URBAT)	200	2
المجموع	-	-	2237	37,05

المصدر: تحقيق ميداني أفريل2014.

***مشروع 200 مسكن للمرقـــــى" دحـــــان":**

يقع هذا المشروع بمحاذاة الطريق الوطني رقم 01على مستوى منطقة النوميرات بجوار ديوان المركب المتعدد الرياضات على تراب بلدية العطف . يضم 200 مسكن اجتماعي تساهمي(LSP) بمساحة 2هكتار ،إلا أنه لم يتم إنجاز ســوى 176مسكن بنسبة 88%من إجمالي السكنات المنجزة، ومن خصوصيات هذه السكنات أنها أقرب للمراكز الإدارية والعلميــة بمنطقة النوميرات.

***مشروع 17 مسكن للمرقـــــى "بن دحمـــون":**

يقع هذا المشروع بمحاذاة الطريق الوطني رقم 01على مستوى منطقة النوميرات وبالضبط في المنطقة "العلمية للعطف" يضم 17 مسكن اجتماعي تساهمي من النمط الفردي بمساحة سكانية تقدر ب2019م^2 ، ولكنها لازالت في مرحلة الإنجاز.

***مشروع" أغرم أنو أعزام" للمرقـــــى الحاج أحمد :**

يقع القصر"أنو أعزام" على مستوى منطقة النومرات على حدود بلدية العطف، بمحاذاة الطريق الوطني رقم 01. يضم 360مسكن اجتماعي تساهمي من النمط الفردي بإلاضافة إلى محلات تجارية .

***مشروع 490 مسكن للمرقـــــى" بابا أوسماعيل":**

يقع هذا المشروع بمحاذاة الطريق الوطني رقم 01على مستوى منطقة النوميرات، على تراب بلدية بنورة أي المنطقة "العلمية بنورة" ويقابله القصر"أنو أعزام" على الطرف الثاني من الطريق الوطني رقم 01. يضم هذا المشروع 490 مسكن اجتماعي تساهمي من النمط الفردي وما يلاحظ على مستوى هذا المشروع الذي هو على وشك الانتهاء، وجود مجال مخصص للنشاط التجاري متعلق بالواجهة الرئيسية للقصر التي تعطي لهذا التجمع جمالية وتناغم مستوحاة من قصور غرداية القديمة.

***مشروع 100 مسكن للمرقـى" الحاج سعيد":**

يقع هذا المشروع بمحاذاة الطريق الوطني رقم 01على مستوى منطقة النوميرات وبالضبط بالمنطقة العلمية العطف، يضم 100مسكن اجتماعي تساهمي من النمط الفردي.

***مشروع تافيلالت لجمعية اميدول** " Société civile Immobilière **Amidoul** ":

يقع هذا المشروع على مستوى منطقة تافيلالت جنوب بني يزقن، ويشرف من الجنوب على المنطقة الصناعية "قارة الطعام" بنورة، حيث يضم 870 مسكن بمساحة إجمالية 22.5 هكتار ومساحة سكنية بـ 79.670,00م²، و انطلقت فيه الأشغال بتاريخ: 1997/03/15. و تم توزيع أول حصة سكانية مقدرة بـ200 مسكن في نوفمبر2000 ثم لحقتها عدة توزيعات، يتكون المسكن من: R+1 + سطح.

*** المشروع200 مسكن بوهراوة لـــ"URBAT ":**

يقع المشروع على مستوى مجمعة بوهراوة أين باشر هذا الأخير في إنجاز 200مسكن اجتماعي وعلى أساس هذا المكتب التابع للدولة خول له القانون الإشراف على انجاز ومتابعة المشاريع .

و لذلك فإن مشاريع السكن الفردي المنجزة من قبل الخواص تمكنت من المساهمة بنسبة معينة في الحظيرة وحاول المقاولين والمرقون الخواص في هذا الإطار المساهمة بحـــد معين في الرفاهية والجمالية بمساكنهم إلا أنهم لم يصلوا إلى مستوى الرقي المطلوب.

4-2- السكن نصف جماعي المبرمج:

سجل حضور ضعيف للسكن النصف الجماعي على مستوى التجمعات الجديدة المدروسة ، وبحكم طبيعة منطقة غرداية الصحراوية التي لا يتماشى معها نمط المسكن شبه جماعي، لا من حيث التقاليد ولا من حيث العادات، ووجودها على مستوى هذه المناطق لدليل على تنوع إنتاج السكن، والمساهمة بنسبة معينة في تعزيز الحظيرة السكنية.

4-2-1 - السكن نصف جماعي المنجز من طرف ديوان الترقية والتسيير العقاري:

تتباين التجمعات الجديدة المحاذية لوادي ميزاب من حيث حصة السكن نصف جماعي حيث سجلت بكل من بوهراوة وواد نشو وجزء كبير منها غير مأهولة بالسكان والجدول الموالي يوضح ذلك.

جدول رقم 11 : مشاريع السكن نصف جماعي المنجز من قبل OPIG.

المنطقة	تسمية المشروع	العدد	الموقع
واد نشو	300مسكن اجتماعي	300	مدخل واد نشو سفلى
	36مسكن اجتماعي	36	واد نشو
بوهراوة	تحصيص 168مسكن	168	بقرب محطة الوقود بوهراوة
	50مسكن اجتماعي	50	قرب قاعة العلاج بوهراوة
	120 مسكن	120	بجوار وحدة الحماية المدنية
	سكنات F.N.P.O.S	48	قرب منطقة نشاطات
	44 مسكن اجتماعي	44	محاذية لطريق الوطني رقم 01
	سكنات موظفي الصحة	11	مدخل حي الجمال
	سكنات موظفي الولاية	14	حي 14مسكن
	150مسكن	150	حي الجمال
	20 مسكن	20	حي 20مسكن بوهراوة
	60 مسكن	60	حي 60 مسكن بوهراوة
المجموع	-	1021	-

المصدر: تحقيق ميداني أفريل2014

صورة رقم27:سكن نصف جماعي من إنجاز الوكالة العقارية، قرب قاعة العلاج بوهراوة،(أفريل،2014).

صورة رقم28:سكن نصف جماعي من إنجاز(OPGI) ، عند المـدخل الرئيسي لواد نشـو،(أفريل،2014).

صورة رقم29:سكن فردي تساهمي من إنجاز الخواص "بابا أوسماعيل"، بمنطقة النوميرات،(أفريل،2014).

صورة رقم30: تجزئة البناء الذاتي ، بحـي بوهراوة الجديـدة ،(أفريل،2014).

5-الأنماط و الأشكال الحضرية الجديدة:

1-الأنماط المعمارية :

إن الصور الحضرية والمعمارية للتجمعات الجديدة ما هي إلا انعكاس صادق للممارسات الاجتماعية للمجتمع، التي تأثرت بشكل واضح عبر الزمان والمكان. فيذهب "سعيد بلقيدوم[9]" في دراسته لتجديد المجال الحضري أن التغير في التشكيلات العمرانية مرتبط أساساً بالتحولات الاجتماعية وانتقال السكان من السكن المميز لطابع القصور إلى السكن العمراني الحديث الذي شاع بشكل واسع بمدن الجنوب. فبالنسبة للزمن ظهرت التجمعات للوجود في العقـدين الأخيرين، واستطاعت إثبات حضورها بقوة محلياً من خلال التحول والأداء المجالي الذي عرفته. وعلى هذا الأساس يمكن استعراض الأنماط أو النماذج الرئيسية :

1-2-النمط الحديث الموحد:

وهو نمط دخيل على المنطقة والمتمثل في السكنات النصف جماعية والفردي والبناء العشوائي للسكان يتميز بهندسته المعمارية تتنافى مع خصوصيات المجتمع المحلي، أين سجل هذا النمط بمناطق التعمير الجديدة على شكل تجمعات سكنية حديثة العهد وعلى الفراغات الهامشية للتجمع الحضري لوادي ميزاب. ويظهر هذا النمط بوضوح من خلال مختلف البرامج السكنية التي جسدتها الدولة في شكل نمط السكن الاجتماعي الذي ينتمي إلى النموذج العام الحديث و المنتوج عبر كامل القطر الجزائري. إلا أنه يصطدم أمام مشكل عزوف المواطنين على النمط الموحد النصف جماعي الذي لا يعكس الواقع المعاش داخل المسكن وحرمته وأمام هذه الانتقادات لجأت بعض الهيئات والجمعيات في التفكير في أنشاء أنماط حضرية فردية وموحدة تحفظ كرامة الإنسان وتراعي جانب الأصالة و العصرنة بدون تبذير المجال.

2-الأشكال الحضرية للتجمعات الجديدة:

يرتبط الشكل الحضري بالطريقة الإنشائية للنسيج الحضري والعلاقة بين المجال المبني والمجال الشاغر، وطريقة توضع المباني وإنشائها. حيث يشكل الشكل الحضري الأبعاد الهامة في الشخصية الحقيقية للمدينة التي شكلته طبوغرافيتها. ولتحديد الشكل الحضري نعتمـد على بعض المؤشرات.

[9] - BELGUIDOUM. S: la restructuration de l'espace urbain : de la cite à la ville. In COTE .M (dir) 2005: la Ville et le désert, le bas Sahara algérien, Aix en Provence. Karthala IREMAM. Paris.

2-1-مؤشرات تحديد الشكل الحضري:

2-1-1-الاستمرارية أو اتصالية المباني: تعتبر من أهم مؤشرات تحديد الشكل الحضري وتكون على ثلاث أنظمة:

- نظام متتابع ومتصل بتراصف محدد للتجمع السكني، و تتموضع المباني في وحدات متجاورة بواسطة جدران مشتركة أو منفصلة.

- نظام شبه مستمر، تتموضع فيه المباني على حد فاصل واحد بواسطة جدران.

- نظام غير مستمر أو غير متتابع، عن طريق تشييد المباني مع التراجع النسبي في الحدود الفاصلة، كالنمط الفردي على سبيل المثال.

وفي الحالات السابقة يمكن للمباني أن تتصل بشكل مباشر بالطريق، كما هو الحال في مجمعة بوهراوة 20م عن الطريق، أما منطقة النوميرات فتنفصل فيها المباني عن الطريق بحوالي (60-120م) وهذا يسمح بمراعاة الشروط الفنية والتقنية للطرق.

2-1-2-مؤشر الاستيلاء (CES):

يكون هذا المؤشر مُعبر في مراكز المدن إذ يصل 90% وقد يتجاوز ذلك، وهذا المؤشر لا يعبر عن الشكل الحضري، إلا إذا قرن بمؤشر"علو البناية". وعلى العموم هذا المؤشر يبقى ضعيف بالنماذج المدروسة. ويبقى كذلك هذا المؤشر له أهمية كبيرة في الدراسات الأكاديمية التي تعنى بتنميط الوحدات السكنية، حيث أن له تأثير من خلال تحديده لشكل الوحدة السكنية وتصميمها وارتباطاتها مع المعايير المتعلقة بالشكل والتركيب للوحدة السكنية.

2-1-3-مؤشر شغل الأراضي (COS): وهو المؤشر معبر عن كثافة استعمال الأرض، ويختلف حسب نمط البناء السائد. و في الحقيقة هناك تباين لمساحة الوحدة السكنية الجديد، حيث تكون مساحة الوحدة السكنية في المدينة القديمة صغيرة المساحة لكن بالابتعاد عنها يبرز تزايد في مساحة الوحدات السكنية. كما يمكن للسلطات العمومية في حالة سماح مخطط شغل الأرض تعدي الكثافة المثبتة من طرف معامل شغل الأراضي (COS) من أن تغير في هذه الكثافة على مستوى المخطط السائر المفعول أو تطبيقها على مستوى المخطط المستقبلي، هذه التغيرات يتم اقتراحها في حالة القيام بمراجعة مخطط شغل الأرض أو مخطط تهيئة منطقة ما.

ولتحديد الشكل الحضري الذي خص كل تجمع حضري بمنطقة وادي ميزاب، قمنا بدراسة استخدامات الأرض بالتجمعات.

3-استخدامات الأرض للنماذج الحضرية الجديدة:

ان مخطط شغل الأرض يحدد بصفة مفصلة بالنسبة للقطاع أو المناطق شكل الحضري وحقوق البناء واستعمال الأرض، وما يظهر اليوم على مستوى النماذج الأربعة وجود قطيعة بين النسيج القديم والحديث ، باستثناء قصر تافيلالت مع عدم الارتكاز على النسيج القديم كمرجعية للنسيج الحـديث، بإلاضافة إلى غياب سياسة تعمير واضحة. وعلى ضوء هذا سوف نبرز الأشكال الحضرية انطلاقا من دراسة شغل المجال للنماذج الأربعة:

3-1 **منطقة النوميرات**"تباين في شغل المجال" **:**

بالاعتماد على ما توفر من معلومات من مختلف المصادر ومن خلال المعاينة الميدانية، ونتائج الملحق الإحصائي لدفتر المقاطعات وبعض الصور الفوتوغرافية الملتقطة من عين المكان يمكن التعرف على واقع الاستخدامات السكنية بهذه المنطقة. حيث تبين من كل هذه المعطيات أن هذه الاستخدامات تتباين من منطقة إلى أخرى، لذا فهي تظهر على شكل وحـدات متجانسة المجال السكني من جهة ومجال تجهيزي وإداري ملتحم من جهة أخرى. وما يلحظ على مستوى الوحدات السكنية بالنوميرات وجـود قطيعة "Rupture " للنسيج الحضري ضمن مجموعات حضرية متكتلة.

*الاستخدام السكني بأنماط مختلفة:

تظهر الأنماط السكنية لهذه المنطقة، شكلاً بنائياً منظماً انطلاقاً من تحصيصات الخواص التي أخـذ فيها السكن الفردي حصة الأسد والمنتشر على جانبي الطريق لمنطقة النوميرات. و انطلاقاً من الخريطة رقم 19 نستحضر ثلاثة أنماط السكن الفردي منها (تساهمي، وظيفي، اجتماعي).

- سكن فردي تساهمي موجه لأصحاب الدخل المتوسط والذي كانت فيه المساهمة الكبيرة في الإنجاز للخواص والتي يطلق عليها تجمع أو تحصيص معين نسبة لصاحبه.
- السكن الوظيفي بالنوميرات الموجه بالخصوص لأساتذة التعليم العالي، وإطارات مركز البحث في الطاقة المتجددة، والمعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني "محمد شريف مساعدية".
- سكن اجتماعي الذي سجل كذلك بمنطقة النوميرات جاء في أطار تحسين السكن والقضاء على السكن الهش وتشجيع السكان على الإيجار.

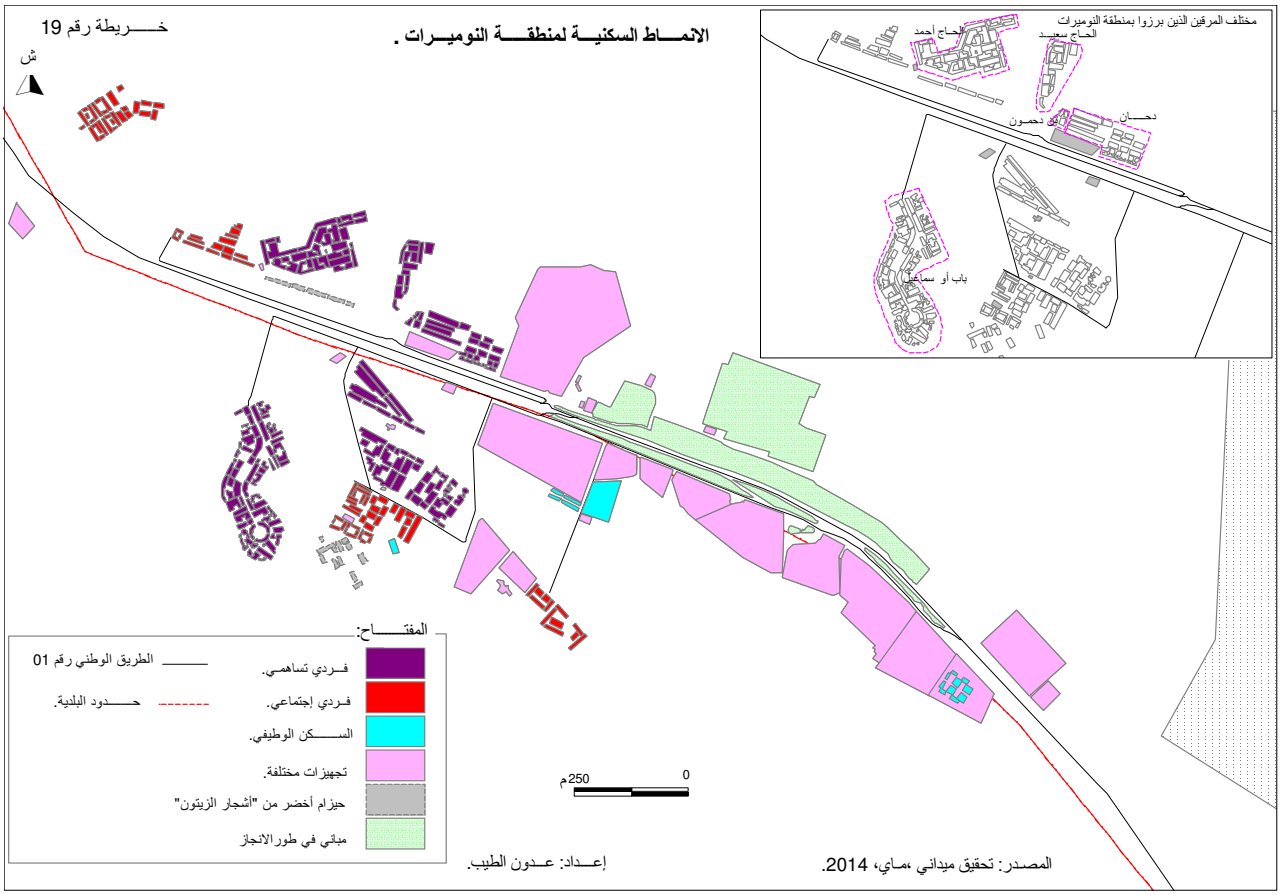

صورة رقم 31: النمط الفردي بمنطقة النوميرا□ ، الموجه لأ□اتذة التعليم العالي،(أفريل،2014).

صورة رقم 32: النمط الحديث، فردي تساهمي بمنطقة النوميرا□ ،(أفريل،2014).

2-3-مجمعة بوهراوة"سيادة السكن الفردي" **:**

انطلاقا من الخريطة رقم 20 سنعرض الأنماط السكنية لمجمعة بوهراوة التي أخذت تخطيطاً محكماً تماشياً مع مورفولوجية المجال، حيث نلمس هذا من خلال التجمع للوحدات السكنية ذات النمط المواحد و توضعها التدريجي مع ميل المنحدر. وعليه مورفولوجية أضفت إلى شكل المجمعة نماذج وأشكال معمارية متنوعة ، وترتيب داخلي في شغل المجال. حيث تبين لنا عند النزول بعين المكان وجود تجمع للأنماط السكنية (الفردية، والنصف جماعية) بكل أنواعها ضمن وحـدات حضرية بنسق بنائي ونمط معماري موحـد ، حيث يطغى على المجمعة السكن الفردي الذي يشغل حيزًا معتبراً منها.

صورة رقم 33: سكنات وظيفية -نمط فردي- بمجمعة بوهراوة،(أفريل،2014).

صورة رقم 34: النمط النصف جماعي ،حـي الجمال مجمعة بوهراوة،(أفريل،2014).

صورة رقم 35:النمط النصف جماعي ،حـي 168 مجمعة بوهراوة،(أفريل،2014).

صورة رقم 36: النمط الفردي الحديث ،حـي بوهراوة الجديدة،(أفريل،2014).

خـــريطة رقم 20 **الانماط السكنيـــة لمجمعـــــة بـــوهراوة**

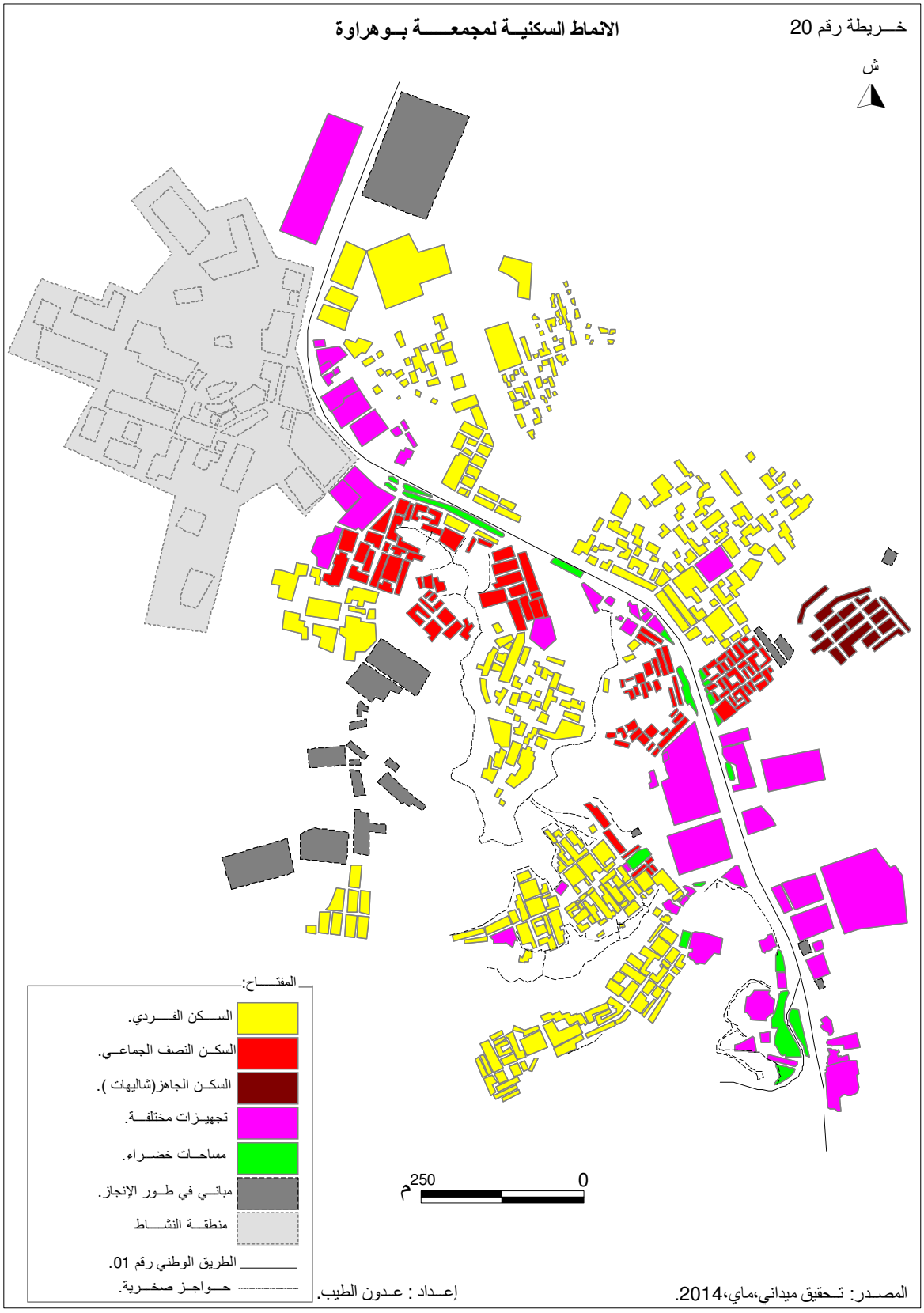

3-3- مجمعة واد نشـــو"تنوع الحظيرة السكنية":

الشكل الحضـري لمجمعة واد نشـو يطغـى عليها نمط السكـن الجاهز(الشاليهات)، الذي أقامته الدولة في العديد من المدن لظروف استثنائية ارتبطت كثيراً بالكوارث الطبيعية. وعلى العموم السكـن الجاهز(Logement préfabriqué) هو سكن يركب بمواد البناء تكون مركبة وسهلة التركيب والنقل والتفكيك ويستعمل في عـدة حالات منها:

-عند حدوث الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات مثل فيضان غرداية 2008

-سكنات لعمال الشركات والمصانع

ومن خلال التحقيق الميداني وجدنا أن جـل السكنات بواد نشـو عبارة عن سكنات جاهزة وهذا ما عكس حيوية المنطقة بعـد كارثة أكتوبـر 2008. بإسكان المتضررين في سكنات مؤقتة والاعتناء بهم نفسياً، حيث باشرت السلطة المحلية شهراً بعد الكارثة بإنجاز 307سكن جاهز بواد نشو، وربطها بكهرباء وشبكة الصرف وتم كذلك تعزيز منطقة واد نشو بابتدائية ومتوسطة بناء جاهز، بالإضافة لوحدة المياه وفرقة الدرك الوطني و ملحقة للحماية المدنية .

ان استخدام الأرض بمنطقة واد نشـو غلب عليها الطابع السكنـي بأشكاله، حيث أفرزت البرامج السكنية الأخيرة التي جلها كان من إنجاز ديوان الترقية والتسيير العقاري في الاستهلاك الواسع للمجال فظهرت سكنات من صنف اجتماعي على امتداد محور الطريق رقم 01. التي جاءت معظمها في إطار برنـامج القضاء على السكن الهش، وإعادة إسكان المتضررين من فيضان أكتوبر2008. والخريطة الموالية تبرز أهم الأنماط بمجمعة واد نشو.

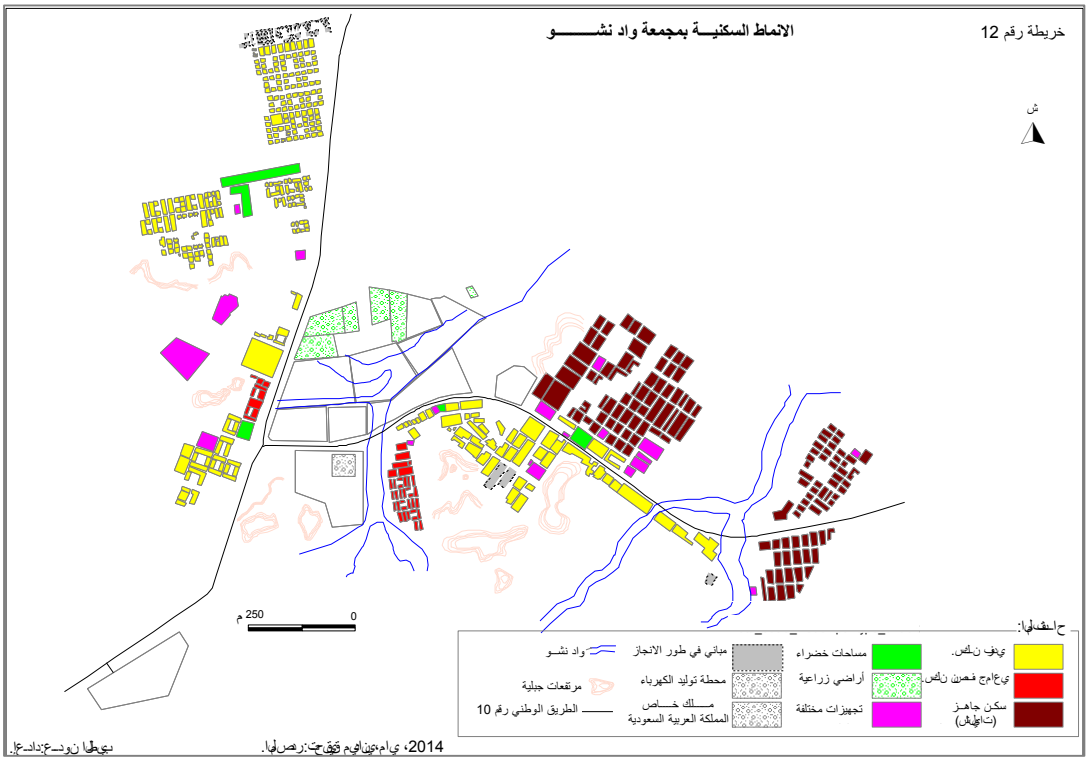

صورة رقم 37: سكنات البناء الجـــاهز- نمط فردي- واد نشـو،(أفريل،2014).

صورة رقم 38: النمط الفردي الحديث لسكنات اجتماعية ،بمجمعة واد نشو ،(أفريل،2014).

صورة رقم 39: النمط الحديث النصف الجماعي ،مجمعة واد نشو،(أفريل،2014).

3-4- قصر تافيلالت"تنظيم محكم في شغل المجال":

يظهر لنا استخدام الأرض بقصر تافيلالت تسيير محكم للمجال حيث عاهد القائمون عليه استنباط تجربة قصر بني يزقن القديم وتطبيقها ضمن منطقة أكثر ملائمة لبيئة الصحراء، بالاعتماد على نمط القصر الذي يعتبر طريقة التعمير المختارة أكثر ملائمة لبيئة الصحراء، واعتمادا على ما توفر من معلومات المعاينة الميدانية، وبعض الصور الفوتوغرافية الملتقطة من عين المكان يمكن عرض واقع الاستخدامات السكنية بهذه القصر. حيث تبين لنا تباين لنمط الاستخدام من تدرج المجال السكني إلى المجال العمومي داخل وحدات القصر مع تجانس واجهات المباني وتلاحم نسيجها الحضري مشكلا وحدة عضوية متكاملة.وما يمكن استخلاصه من خصائص شغل مجال القصر:

-نسيـــج عمراني كثيف

-الهيكل التنظيمي للاماكن العامة.

-احترام المقياس الإنساني المستنبط من القصور القديمة.

-احترام هوية المدينة من قبل العناصر التحليلية مثل : الأبواب الحضرية - السوق - الفضاءات الانتقالية الساحات العمومية - تدرج الأماكن العامة.

- إنشاء عناصر ذات قيمة رمزية عالية، آبار، مآذن، أبراج ، وسور دفاعي .

ومنه تجربة قصر تافيلالت كنمط معماري وشكل حضري جديد بالمنطقة أعطى الدعم في إنجاز مشاريع مماثلة و أمام استحداث أشكال حضرية جديدة على شكل وحدات حضرية في كل من بلديتي العطف وبنورة، وعلى أساس هذا يمكننا استخلاص بعض النتائج لهذه التجربة الجديدة:

- تم إشراك المواطنين كفاعلين أساسين في تحديد البعد الثقافي المتعلق بإنشاء المساكن.

- الاستفادة من الأثر الفني للموروث المعماري القديم والاستفادة من مواد البناء المحلية.

- تم كذلك إثراء التركيبة المجالية لجعل وسط القصر دائماً في ديناميكية.

صورة رقم 40: المدخل الرئيسي، قصـــر تافيلالت ،(أفريل،2014).

خـريطة رقم 22 نمط شغل المجال بقصـــر تافيلالت .

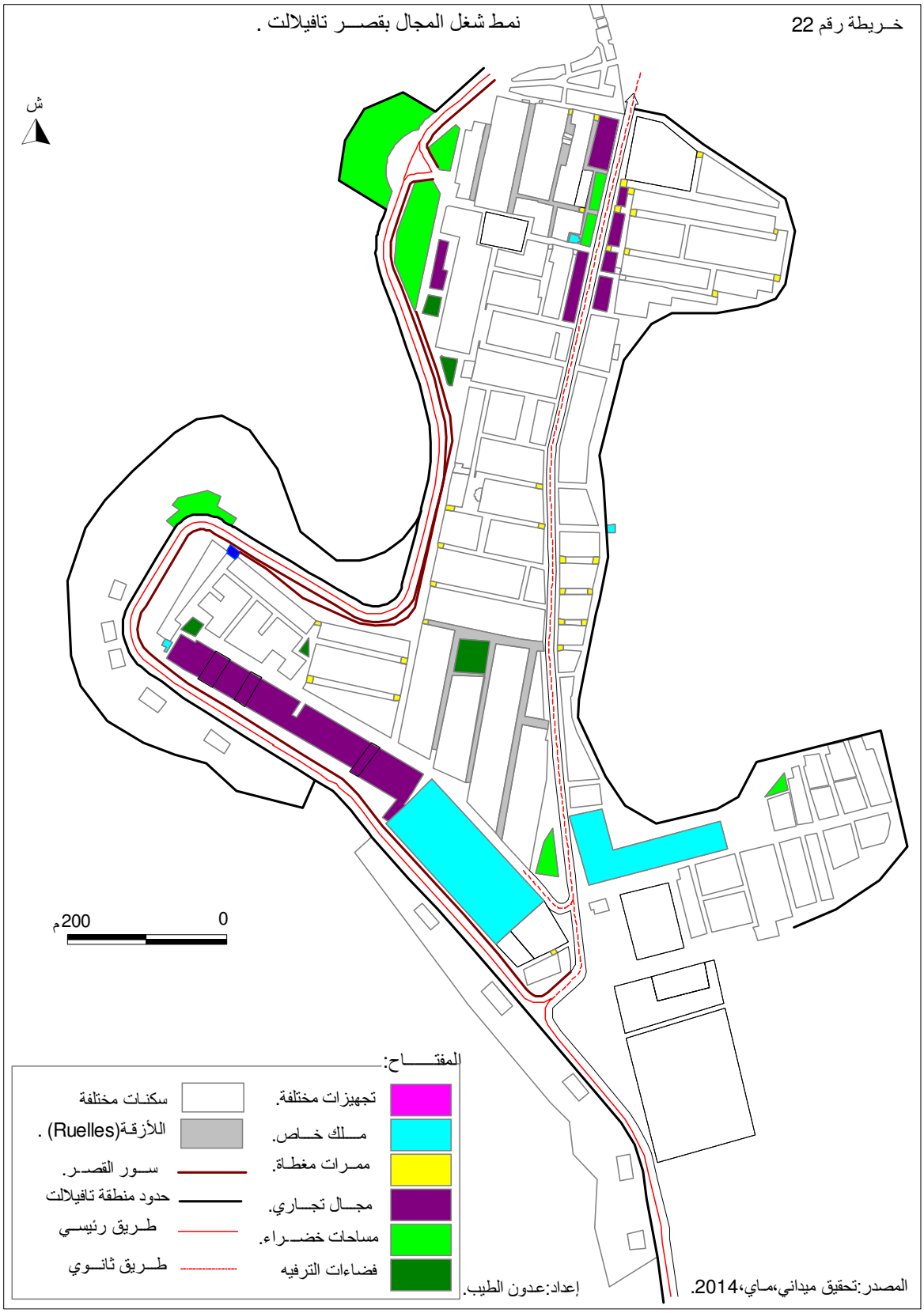

صورة رقم 41: مساحة خضراء بواجهة قصـــر تافيلالت ،(أفريل،2014).

1-طـــريق رئيســـي.

2-فضاء لعب الأطفال.

3-بئــر بساحة القصر

4-ممرات مغطاة

صورة رقم 42: مختلف فضاءات بقصـــر تافيلالت ،(أفريل،2014).

6- منطقة النوميرات رهانات الاندماج .....حتمية أم خيار؟

قد لمسنا ضمن النماذج المدروسة إلى قضية منطقة النوميرات الواقعة على حدود بلديتين الذي يضعها على المحك ان لم تتدارك السلطات المحلية ذلك، قد لا يظهر أثرها حالياً ولكن سيطرح في المستقبل بشكل أكيد وأكثر حدة.

وتأكد لنا من خلال إمكانية هذه المنطقة أنها قادرة على تكوين إقليم جديد تنعدم فيه الحدود المشتركة، تتوحد فيه المصالح وتحدد فيه التوجهات. أن البلديتين المعنيتين هما العطف وبنورة والسؤال الذي يطرح، هل هناك تعاون فيما بينهما؟ وكيف تجسد هذا التعاون على مستوى هذه المنطقة؟

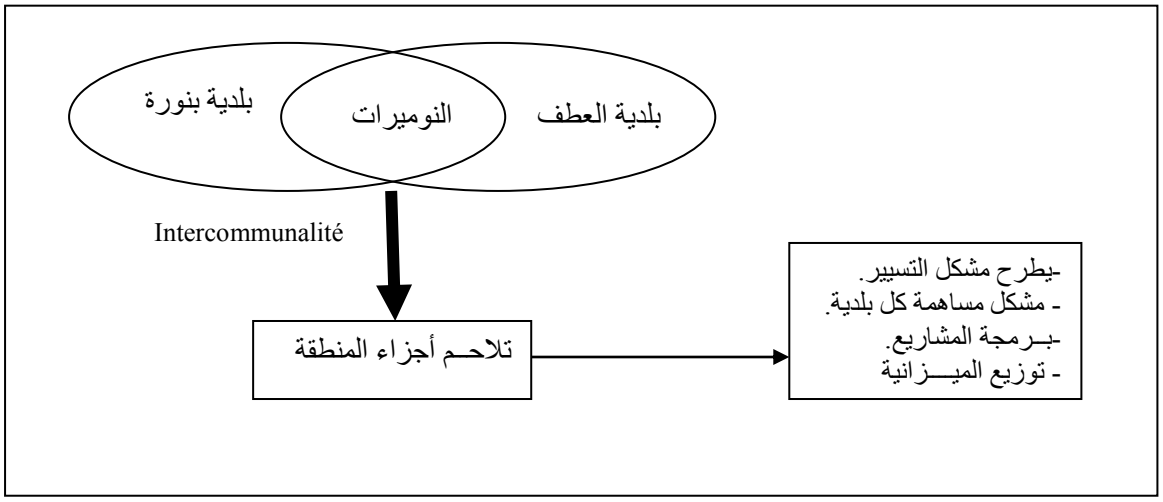

الشكل رقم 08 :العلاقة الترابطية لمنطقة النوميرات.

إن التعاون بين بلديات سهل وادي ميزاب على العموم وبلديتي العطف وبنورة على الخصوص الذي ظهر مؤخرا على إثر وجود مخطط موحد، لم يشهد أي شيء على أرض الواقع خصوصاً بمنطقة النوميرات التي يعنيها الأمر بدرجة أكبر. وعلى أساس الحوار الذي دار بيننا وبين أعضاء مصلحة التعمير لبلدية بنورة صرح لنا أن بلدية بنورة الوحيدة التي تأخذ على عاتقها تنظيف المحيط وجمع النفايات[10]، بالاضافة إلى قيام المؤسسة العمومية لتسيير مراكز الردم التقني لولاية غرداية (EPWG-CET) ذات طابع تجاري بجمع نفايات المراكز العلمية الحيوية.

فتجربة التعاون مابين البلديات ظهرت لأول مرة في فرنسا كتجربة رائدة في مجال التعاون البلدي، ومساهمتها في حل أشكال كثرة البلديات على ترابها، حينها بادرت إلى وضع مخططات التوجهات الواجب مراعاتها لضمان تكوين مجال بلدي متجانس ومتكامل. وأخذ التعاون البلدي لديها أشكال أهمها: نقابة البلديات، نقابة مختلطة، الجماعة الحضرية، مجمع البلدية وغيرها.

[10]- لقاء وحوار موسع جرى مع مهندس "إبراهيم"، مصلحة التعمير بلدية بنورة،26/04/2014.

أما هذا التعاون المعاش لدينا في الجزائر قد أشار إليه المشرع الجزائري من خلال قانون التهيئة والتعمير في عام 1990إلا أن هذا النوع من التعاون بين البلديات يتم عن طريق إتحاد مجموعة البلديات المتاخمة ضمن مجال بلدي واحد وإعداد مخطط التهيئة يهتم بإشكالية هذا المجال ككل، هذا المخطط الذي تحدد توجهاته السلطات المحلية لكل بلدية وفق احتياجات كل منها وتشرف عليه الولاية لما يناسب خدمة المجال البلدي المشترك ويتوافق مع توجه المجال الولائي ككل.

وعليه يمكن تجسيد هذا التعاون على أساس فائدة متبادلة، بالاهتمام بالمنطقة العلمية بنورة كصرح علمي وثقافي واعد يراهن عليه باستقطاب السكان ومركز جاذب لمختلف الفئات. أما المنطقة العلمية العطف بتنوع وظائفها وقربها من المطار تساعدها على تقوية علاقة مع محيطها لتصبح قطب ثاني مجاور ومميزا للمجال، كونها تمتلك مؤهلات وإمكانيات مختلفة.

بالإضافة إلى النمو الحضري الذي عرفته منطقة النوميرات محليا عملت على جذب السكان من خلال التردد اليومي لمختلف فئات المجتمع، كما أوجدت الجامعة والمعاهد بها علاقات جديدة وعملت على تغيير طبيعة المنطقة وتحويله إلى تجمع حضري له جاذبيته على السكان، فقرب منطقة النوميرات من المنطقة الصناعية والمطار يساعدها على تقوية الروابط مع محيطها لتصبح قطب حضري متميز بالمدخل الجنوبي لمدينة غرداية وبالتالي يتجسد هذا فعليا انطلاقا من التعاون الذي يجب أن يكرس أكثر مستقبلا.

وعلى العموم أن ما يجذب الانتباه ببلديات الجنوب التي تتميز بالمساحة الشاسعة، كان من المفروض أن لا نجد حالات مشابهة في صورة تجمعات ومراكز حضرية على حدود بلديات إذا ما قرنت بحجم مساحتها في الوقت الراهن، قد تكون مستقبلا على ضوء التحولات التي تشهدها معظم تجمعات مدن الجنوب مقارنة بمدن الشمال .

خلاصة الفصل:

تعرضنا في هذا الفصل مختلف الهيئات والمصالح التي ساهمت في إنتاج المجال المبني بالتجمعات الحضرية الجديدة المحاذية لوادي ميزاب، ودورها في ديناميكية استهلاك العقار الحضري. ولقد بدأت تتوسع هذه المجالات الجديدة على أثر البرامج السكنية الفردية والنصف جماعية التي تباين إنجازها ما بين القطاع الخاص والعمومي.

و من خلال تحليلنا للأشكال و الأنماط الحضرية الجديدة للنماذج الأربعة للتجمعات المحاذية لوادي ميزاب، وجـدنا التباين الواضـح من خصائص وطبيعة شغل المجال وتوزيع الأنماط السكنية المحددة لكل منطقة ، وما كان لها من انعكاس واضح على حياة السكان واستهلاك المجال.

و من خلال دراسة الأنماط الحضرية الحديثة على مستوى النوميرات وجدنا أنها يغلب عليها النمط الفردي المنجـز بكل أشكاله الذي حبـي بدافع كبير لتدخل الخواص وإشراكهم في ثورة التشييد وإنتاج البناء. رغم ذلك لحظ تشكيل المباني على شكل تجمعات صغيرة في صورة وحدات حضرية مع تسجيل قطيعة في النسيج الحضري يفوق 200م، أو بعدم التلاحم للوحدات الحضرية.

و أما الأنماط المسجلة بكل من مجمعة بوهراوة و واد نشـو أظهرت وجود نمط السكن الجاهز على خلاف النمط الفردي والنصف جماعي، فنمط السـكن الجاهز ليس هو بالسكن المبرمج ولا القديم أو الغير الشرعي، بل أفرزته ظروف طبيعية عصفت بالمنطقة على إثر كارثة أكتوبر2008، عندها بادرت السلطة المحلية إلى استحداث عقارات في مناطق منبسطة للإسكان المؤقت للمنكوبين في سكنات البناء الجاهز يحفظ كرامتهم ويخفف من معاناتهم ويضمن لهم أساسيات العيش الكريم.

وقد تطرقنا كذلك إلى تحليل قصر تافيلالت كنمط عمراني جديد بالمنطقة و تجربة إنسانية وعمرانية فريدة، جاء كمشروع سكني مقترح من قبل الخواص، سرعان ما أكتسب الشهرة المحلية والوطنية ، ما فتح الباب في مجال البناء أمام الخواص، للاستثمار في مجال السكن بمنطقة النوميرات وهذا ما لا نجده في كل مجمعة واد نشو بوهراوة في المشاريع التي تم إنجازها، ولو أن هناك إقبال محتشم وغياب كلي من طرف الخواص في إنتاج السكنات في كل من بوهراوة وواد نشو.

كما أننا عرّجنا في الأخير إلى نظرة عامة لمشكلة الحتمية التي قد تطرح مستقبلا منطقة النوميرات إثر تلاحم نسيجها الحضري ونموها على حدود البلديتين، أين برهن على الإمكانية المحدودة على المساهمة ما بين البلديتين في النمو وطرق التعاون لتجسيد الفائدة المتبادلة وضمان الرقي و الازدهار والمصلحة المشتركة.

الفصل الخامس

السكن والتجهيزات بالتجمعات ا?ضرية الجديدة

إن السكن والتجهيزات عاملان ملازمان للفرد، حيث يرتبط استقرار أي فرد ما في الوسط انطلاقاً من مـدى توفر واستكمال هذان العاملان. وكما يساهمان كذلك في تركز السكان ونشوء تجمعات وخلق حركة وانتعاش الوسط.

حيث عرفت المناطق الجديدة المحاذية لواد ميزاب إقبال متواضع للسكان، وتباين واسع النطاق للوحدات السكنية، على سبيل المثال منطقة واد نشو عرفت عزوفا للقاطنين بها رغم وجود الكم الهائل للسكنات وغياب المرافق والتجهيزات. و عليه انطلاقاً من المعلومات التي أفرزتها المعاينة الميدانية، ونتائج التحقيق الميداني بالخصوص، حاولنا معرفة مـدى الاقبال على هذه التوسعات الجديدة من خلال الإطلاع على درجة التجهيزات المتوفرة، والكشف للانطباعات التي سجلت على السكان اتجاه الأنماط الحضرية الجديدة ومدى تقبل السكان المحليين للأشكال التعميرية التي بـــرزت بقوة في الآونة الأخيرة.

1-السكن والسكان بالتجمعات الجديدة:

نستهل في هذا العنصر بالدراسة السكانية للتجمعات الحضرية الجديدة لأنها المنطلق الرئيسي لأي عملية تهيئة و إنشاء تجمع جديد، وتشكل جانب مهما ومكملا للدراسات في الميادين الأخرى سواء كانت منها العمرانية، الاجتماعية.

1-1-أصل سكان التجمعات الجديدة وإقبالهم المتواضع عليها:

1-1-1-حسب مكان الازدياد:

إن معرفة الأصل الجغرافي للسكان أفضل طريقة لدراسة حيوية الوسط الحضري الذي تتجسد فيه العلاقات السّيكولوجية مابين المواطن الأصلي وموطن الإقامة الحالي والدوافع التي أدت إلى ذلك. حيث أتضح لنا من خلال العمل الميداني أنا لأصول الجغرافية لأرباب الأسر حسب مكان الميلاد كان أغلبهم من داخل مدينة غـــرداية عاصمة وادي ميزاب.

جدول رقم 12:الأصول الجغرافية لأرباب الأسر حسب مكان الميلاد.

المنطقة / مكان الميلاد	النوميرات		بوهراوة		تافيلالت		واد نشو		المجموع	
	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%
داخل غرداية	11	73,33	110	73,33	144	96	20	66,67	280	81,16
خارج غرداية	4	26,67	40	26,67	6	4	10	33,33	65	18,84

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

ان ما يفوق 80% من الأسر المحقق معها قد ولدوا بمدينة غرداية والذي يدل على أن المدينة الأم غرداية كانت خزان المنتجة والحاضنة لهذه الأسر. وما يفوق 18%من إجمالي الأسر أصل ولدتها من خارج غرداية، وعلى أساس وجود تجمعات جديدة على أطراف مدينة غرداية لعبت دوراً كبيراً في جذب السكان مقارنة ببقية المدن المتخمة لوادي ميزاب.

1-1-2-حسب مكان الإقامة السابقة:

ان معرفة أماكن الإقامة السابقة للأفراد لمدينة ما،يسمح لنا بتتبع مساره المكاني الذي قطعه الفرد عبر فترات زمنية معينة بغية استقراره.

ويمكن الفصل في الأصل الجغرافي لمكان الإقامة السابقة للأفراد التي غلب عليها الساكنة المحلية على اختلافها، وحسب ما أفرزه التحقيق الميداني حول مكان الإقامة السابقة للعينة المدروسة موضح في الجدول الموالي.

جدول رقم 13:الأصول الجغرافية لأرباب الأسر حسب مكان الإقامة السابقة .

المنطقة	الإقامة السابقة	العدد	النسبة المئوية
النوميرات	بلديات ولاية غرداية	4	1,16
	ولاية الوطن	11	3,19
المجموع		15	4,35
بوهراوة	بلدية غرداية	81	23,48
	بلديات ولاية غرداية	19	5,51
	ولاية الوطن	50	14,49
المجموع		150	43,48
واد نشو	بلدية غرداية	8	2,32
	بلديات ولاية غرداية	7	2,03
	ولاية الوطن	15	4,35
المجموع		30	8,70
تافيلالت	بني يزقن	82	23,77
	أحياء مجاورة لقصر بني يزقن	47	13,62
	باقي قصور واد ميزاب	10	2,90
	خارج وادي ميزاب	11	3,19
المجموع		150	43,48
المجموع الكلي		345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

منذ إنشاء تجمعات جديدة بالمنطقة كان كل من مركز المدينة وقصر بني يزقن مصدر الحركة والمنعش الرئيسي لتنقل الأسر نحو هذه التجمعات حيث سجل ما يقارب ¼ من الأسر المحقق معها أصلهم من كل بلدية غرداية وقصر بني يزقن و حظيت منطقة تافيلالت لوحدها بما يقارب 55% من سكان أصلهم من بني يزقن، وما يفوق30%أحياء مجاورة لقصر بني يزقن و10 %من باقي قصور وادي ميزاب كل من بنورة -العطف - مليكة، وما تبقى جاءوا من خارج منطقة وادي ميزاب (بريان، القرارة،الجزائر.).

وتعود أصول ما يقاربــ 55% من سكان مجمعة بوهراوة إلى بلدية غرداية الممول الرئيسي لها بحكم قربها من المركز، كما تمارس هذه المجمعة دورا هاما في جذب السكان من بقية ولايات الوطن بـــ50أسرة أي ما يعادل 33.33% خاصة ولايات الهضاب الوسطى مثل الجلفة،الاغواط،باتنة.

وعليه تبين أن هذه التجمعات الحضرية الجديدة هي إنتاج محلي بدرجة أولى و تعززت بأفراد الوافدة بحثا عن العمل و الأمن على اثر العشرية السوداء حينها كانت كل من مجمعتي واد نشو وبنورة وجهة الوافدين بدرجة كبيرة لتوفر إيجار السكنات بها.

1-1-3- دوافع تغيير الإقامة و الإقبال على هذه الأوساط:

قد يغير الفرد ملجأه بمحض إرادته وقد تفرض عليه ظروف معينة، وهذه الأخيرة تختلف من شخص لأخر فهناك من تدفعه ظروف العمل من تغيير إقامته، وهناك من يغير رغبة في الاستقرار أو استقلال عن الأسرة. و لذلك قمنا بحصرها في ثمانية أسباب، كما هي موضح في الجدول التالي.

جدول رقم 14:دوافع الإقبال على التجمعات الحضرية الجديدة.

السبب	النوميرات		بوهراوة		واد نشو		تافيلالت		المجموع	
	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%	عدد	النسبة%
الاستقلال عن الأسرة	3	2,08	27	18,75	2	1,39	112	77,78	144	41,74
العمل	7	12,50	36	64,29	4	7,14	9	16,07	56	16,23
الأمن	0	0,00	24	96,00	1	4,00	0	0,00	25	7,25
توفـر الكراء	0	0,00	20	57,14	3	8,57	12	34,29	35	10,14
ضيق المسكن	0	0,00	11	64,71	0	0,00	6	35,29	17	4,93
التقاعد	0	0,00	8	61,54	0	0,00	5	38,46	13	3,77
إعادة الإسكان	0	0,00	0	0,00	18	100	0	0,00	18	5,22
أسباب أخرى	5	13,51	24	64,86	2	5,41	6	16,22	37	10,72
المجموع	15	4,35	150	43,48	30	8,70	150	43,48	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

إن الإقبال على التجمعات الحضرية الجديدة بالمنطقة راجع إلى أسباب عديدة وضغوطات اجتماعية على رأسها أزمة السكن، حيث كان الاستقلال عن الأسرة المقدر بـــ41,74% من أهم أسباب تغير مكان الإقامة. ويأتي العمل في المرتبة الثانية بنسبة16,23% ويتعلق الأمر بالعمال الذين قدموا إلى المنطقة بغرض الشغل على مستوى المنطقة الصناعية بنورة ،والبترولية واد النومر بالاضافة إلى بعض التجار المتنقلون قدموا على اثر حيوية السوق المحلية.

وجاء في المرتبة الثالثة توفر الكراء بالتجمعات الجديدة ، حيث شجعت الدولة طالبي الإيجار خاصة على مستوى مجمعة بوهراوة، إلا أن قاطني المجمعة يسعون إلى الحصول على مسكن فردي تضمن لهم كرامتهم وحرية التصرف فيه.

وفي المرتبة الرابعة جاء العامل الأمني بـ 7,25%، ويرتبط هذا السبب بالأسر الوافدة من خارج المنطقة إثر ظروف تسعينيات القرن الماضي.

-أما دافع توفر السكن الجاهز بنسبة 5,22% ، نتيجة الاسكان المؤقت للأسر المتضررة من كارثة أكتوبر 2008، الا أنها عرفت عزوف من طرف الساكنة المحلية رغم ربطها بتجهيزات وكل ضروريات العيش. في هذا السياق خصصت الدولة ببناء 300سكن جاهز موزع على مستوى بعض التجمعات الجديدة وتخصيص 2000مسكن لمحو كارثة و إزالة هذه الشاليهات وإعانات مالية بمبلغ 000 000 1 دج[1].

من خلال الرسم البياني خلصنا إلى أربع مجموعات، التي بدورها عرفت تباين الأسباب حقيقية دفعت إلى تغيير الإقامة فالمجموعة الأولى التي ضمت (ضيق المسكن، الأمن،التقاعد، الكراء) تجسدت بشكل كبير بمجمعة بوهراوة، المجموعة الثانية ضمت (الاستقلال عن الأسرة) الذي شغل أكبر حيز بقصر تافيلالت، المجموعة الثالثة ضمت (العمل وأسباب أخرى) التي شملت كل من منطقة النوميرات وبوهراوة. المجموعة الأخيرة ضمت (إعادة الإسكان) الذي يظهر بمجمعة واد نشو.

[1]-مديرية التعمير والبناء، ورشات حول عقد البناء والكوارث الطبيعية 2010/12/10.

الشكل رقم 9 :أسباب الإقبال على التجمعات الحضرية الجديدة

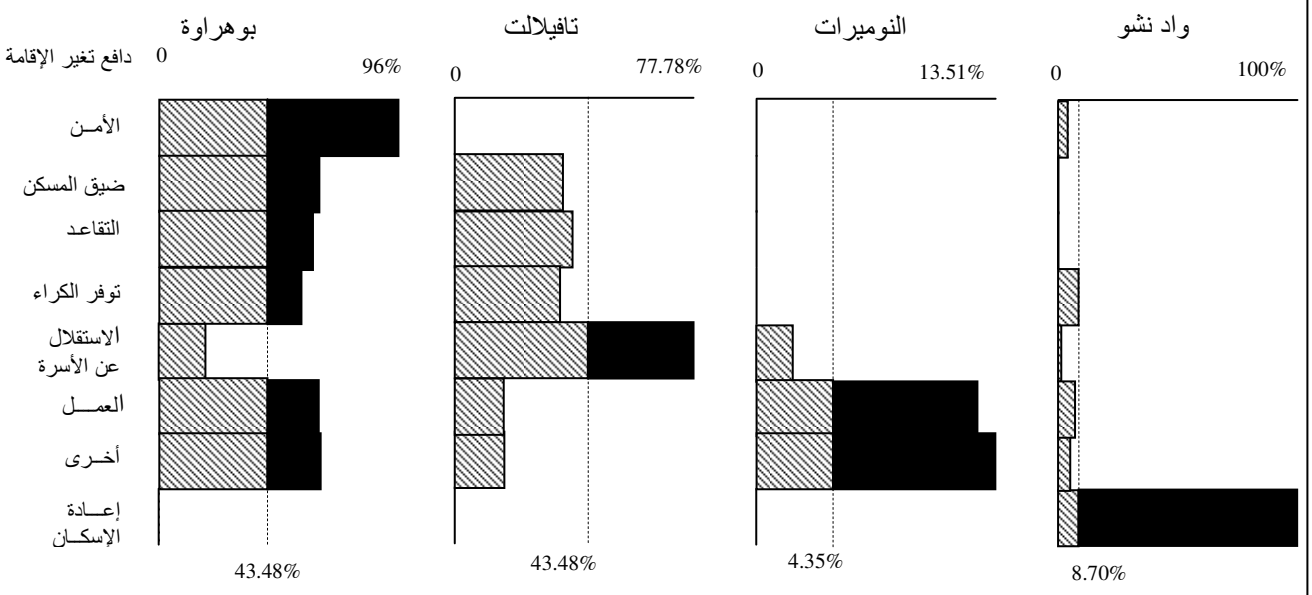

تحقيق ميداني ، أفريل، 2014.

1-1-4-البنية المهنية الاجتماعية لأرباب الأسر: الشغل أهم سمة غالبة على التجمعات.

إنه من الضروري معرفة الوضعية المهنية لأرباب الأسر بغية معرفة المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للنماذج الأربعة المدروسة، بالرغم من ان العينة لم تعطي نتائج دقيقة فيما يخص هذا الجانب، الا أننا حاولنا تصنيفها إلى الفئات الموضحة في الجدول رقم 15 والهدف من ذلك هو إبراز الطبقات الاجتماعية المهنية المكونة للنماذج المدروسة، من أجل الوصول إلى نتائج أكثر توضيحا نظرا لكون نتائج دفتر المقاطعات لم تعطي تفصيلاً في هذا.

جدول رقم15:البنية المهنية الاجتماعية لأرباب الأسر في التجمعات الحضرية الجديدة.

المنطقة / البنية المهنية	النوميرات		بوهراوة		واد نشو		تافيلالت		المجموع	
	عدد	النسبة%	عدد	النسبة %	عدد	النسبة%	عدد	النسبة %	عدد	النسبة %
الإطارات العليا	3	8,57	11	31,43	1	2,86	20	57,14	35	10,14
الإطارات المتوسطة	4	2,63	91	59,87	14	9,21	43	28,29	152	44,06
تجار	0	0,00	6	15,38	3	7,69	30	76,92	39	11,3
المهن الحرة	8	12,31	13	20,00	12	18,46	32	49,23	65	18,84
المتقاعدين	0	0,00	17	40,48	0	0,00	25	59,52	42	12,17
بدون عمل	0	0,00	12	100	0	0,00	0	0,00	12	3,48
المجموع	15	4,35	150	43,48	30	8,70	150	43,48	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014+دفتر المقاطعات.

لقد أظهر تحليل استبيان عدد كبير من الوظائف التي تم حصرها في ستة فئات، منها خمسة مبينة وواحدة غير مبينة، هذه الأخيرة تضم البطالين بدون عمل، فبالنسبة للحالات المبينة يمكن التفصيل فيها إلـــى:

1- الإطارات العليا:وتتمثل في إطارات الوظيف العمومي على اختلافها، الإطارات الإدارية، أساتذة التعليم العالي، إطارات موظفي الولاية والقطاع الصحي،.....
2- الإطارات المتوسطة: وتضم أساتذة التعليم الابتدائي، المتوسط والثانوي، الممرضين التقنيين، الأعوان الإداريين،.....
3- تجار: وتشمل الذين ينشطون في القطاع التجاري..
4- المهن الحرة : سائقي حافلة،شاحنة نقل البضائع، طلاء السيارات "طولي"، ، البنائين، النجارين، اللحامين.....
5- المتقاعدين: وهـي الفئة ذات منحة، التي أحيلت على التقاعد حسب المعايير المعتمدة في ذلك للمؤسسة التي أشتغلوا بها.

ويتضح ان فئة الإطارات المتوسطة تشكل أكبر نسبة حيث بلغت 44,06% من إجمالي العاملين لتليها فئة المهن الحرة بـ 18,84% والتجار بـ 11,30%، وهـي نسبة معتبـــرة تـدل علـى ارتفاع المستوى الثقافي والفئات المؤهلة لخلق حركية على مستوى هـذه التجمعات الجديـدة.ثم تأتـي فئة الإطارات العليا بنسبة10,14 % ونسبة3,48% بدون عمل.

ومن ثمة يمكننا القول أن التركيبة المهنية للتجمعات الجديدة يتبين أنها تتميـز بالبساطة، حيث تأخذ فئة الإطارات المتوسطة حصة الأسد44,06% من إجمالي العاملين على مستوى هذه التجمعات، وهذه نسبة مقبولة نسبياً تدل على وجود جيل فتي يحمل معه مؤهلات التنمية، و يتطلع إلى مستقبل أفضل.

الشكل رقم 10 : البنية المهنية الاجتماعية لأرباب الأسر.

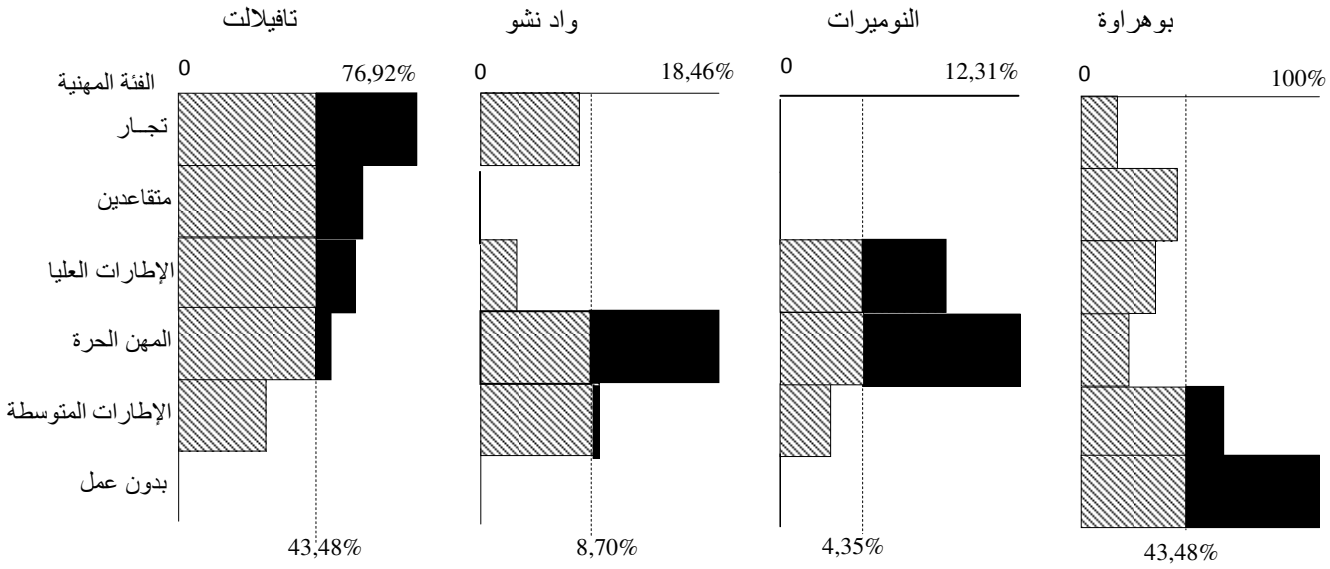

تحقيق ميداني ، أفريل، 2014.

2-الخصائص العمرانية للسكن في التجمعات الجديدة:

ان الدراسة العمرانية للتجمعات الحضرية الجديدة تساهم في التعرف على خصائصها العمرانية ونسيجها الحضري المرتبط بالواقع الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي.

2-1-سيادة السكن الفردي بالتجمعات الجديدة:

ان المتجول للتجمعات الحضرية الجديدة المدروسة يلمس نوعاً من تجانس الوحدات الحضرية ذات النَّمط الحديث الموحـد داخل الاحياء والنطاقات العامة المشكلة لها. و على هذا الأساس يمكننا الفصل في الأنماط السكنية التالية وهذا اعتماداً على المعيار المظهر الخارجي والداخلي أحياناً كما هو موضح في الجدول رقم (16) الموالي:

جدول رقم 16:نمـط المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة.

نمط المساكن	العدد	النسبة المئوية
فــردي	220	63,77
نصف جماعي	80	23,19
فردي مستحدث	25	7,25
أخر(سكن جاهز)	20	5,80
المجموع	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

يبدو من خلال الجدول رقم 16 أن النمط الفــردي استحوذ على أكبر حصة من مجموع المساكن الموجودة بالتجمعات، فهو يأخذ ثلث المساكن المحقق معها من أصل220أسرة وهذا ما يفسر الاقبال الكبير من طرف الساكنة لغرض ســـد حاجياتهم. ويحـل النمط النصف جماعــي في المرتبة الثانية بـ23,19%، ويأتي في المرتبة الثالثة النمط الفردي المستحدث بـــ 7.25%، كما نستحضر وجود نسبة منخفضة لنمط السكن الجاهزبـــ5.80%، وهذا النمط من المساكن يتركز بالخصوص بمجمعة واد نشـــو، وما يطبع هذه الأخيرة هو أن السكن الجاهز يشكل 90% لنسيجها الحضري، رغم ما أفرزته البرامج السكنية المقترحة من قبل السلطات المحلية في إطار امتصاص السكن الهش، ومحوا كارثة أكتوبر2008. فوجود السكن الجاهز كنمط بكل من واد نشو و بوهراوة راجع لوجود عقارات ملك للبلدية قادرة على استيعاب الكم الهائل للأسر المتضررة بالخصوص.

الشكل رقم 11:نمـــط المساكـــــن بالتجمعات الحضرية الجديدة.

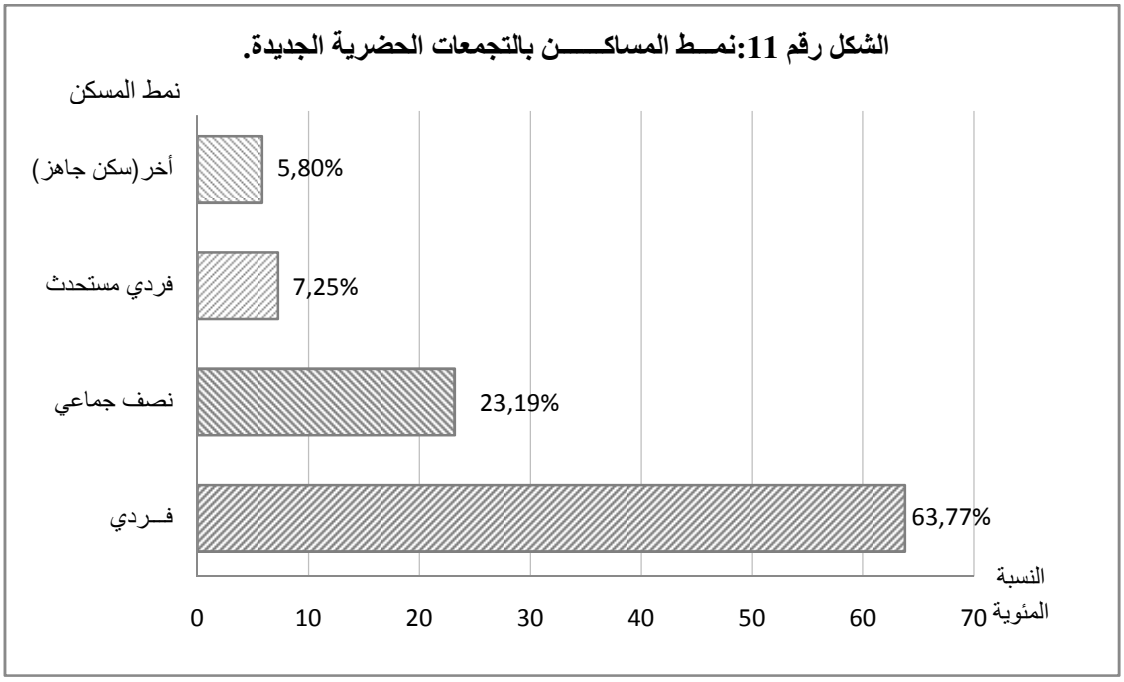

2-2-جل المساكن مكونة من طابق ارضي:

أحياناً لضيق المسكن يلجا السكان لتعلية بناياتهم بغية استغلال مكان لعدد اكبر من البنايات، وفي كثير من الأحيان الظروف والعادات والتقاليد والأعراف المتعارف عليها محلياً، هي التي تفرض عدد الطوابق التي تتخذها في الارتفاع نحو الأعلى .

فعند تجولنا عبر هذه التجمعات وقيامنا بعملية التحقيق الميداني لحظ أن معظم المباني لا يزيد ارتفاعها عن الطابق الثاني في جميع التجمعات، ومعنى هذا أن الامتداد الأفقي هو السائد فوجدنا الحالات الثلاثة الموضحة في الجدول التالي:

جدول رقم 17:ارتفاع المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة للعينة المدروسة .

ارتفاع المبنى	أرضـــي	طابق أول	طابقين	المجموع
العدد	226	113	6	345
النسبة المئوية	65,51	32,75	1,74	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

حيث تتكون أغلب المساكن من طابق أرضـــي+سطح بنسبة 65,51 % حيث يستعمل السطح ليلاً صيفاً وهذا التصميم للمساكن بسطح متبع من طرف الجميع في النمط الفردي، أما الطابق الأول جاء في المرتبة الثانية بنسبة65,51 % أي ما يعادل ثلثا العينة المحقق معهم، ويوجد بقوة على مستوى قصر تافيلالت أين يتكون المسكن من (سطح+ R+1)، حيثالطابق الأرضي يتكون من (مطبخ، غرفة ، تزفري، وسط الدار، فضاء صحي، فناء) والطابق العلوي يتكون (غرفة للأبناء،فضاء صحي، وسط الدار). أما السطح يتكون من(غرفة الغسيل، سطح الصيف). وما يلحظ بالتجمعات غياب الطابق تحت الأرض(الدهليـــز).

2-3- وضعية المساكن :

ان إبراز وضعية المباني تعطينا صورة عن الشكل الحضري للتجمعات السكانية وتضمن حلولاً حول تحليل التركيب العمراني للمساكن، وبالتالي معرفة المستوى الاقتصادي والاجتماعي للسكان. وعلى هذا الأساس صنفنا مباني التجمعات الحضرية الجديدة إلى ثلاثة مجموعات كما هو موضحا في الجدول: معتمداً في ذلك على هندسة المباني، تنظيمها، مظهرها الخارجي،حداثتها ومواد بنائها.

جدول رقم 18: وضعية المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة المحاذية لوادي ميزاب .

وضعية المساكن	العدد	النسبة المئوية
متوسطة	214	62,03
جيدة	117	33,91
رديئة	14	4,06
المجموع	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

حيث صنفت المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة على أساس أنها حديثة النشأة، فعمرها الزمني لا يتعدى 20سنة مما يفسر وجود ما يفوق 62% في وضعية متوسطة و33.91% في وضعية جيدة، في

حيـن لا تتعدى المساكن التي وضعيتها رديئة4.06% وهذه الأخيرة سجلت بساكنة البناءات الجاهزة من خلال تصريحهم برداءة مساكنهم، رغم توفرها على ضروريات الحياة والعيش الكريم. وعلى العموم معظم المساكن بالتجمعات في وضعية جيدة ومتوسطة بنسبة تزيد عن 95%.

4-2- حجم الأسر بالتجمعات الجديدة:

إن دراسة عـدد أفراد الأسرة يهدف من ورائه، إلى معرفة مـدى انعكاس ذلك علـى الوعاء المجالي، وكيفية التصرف في العقار المستفاد منه في صورة مسكن فردي، أو التجزئة بغية البحث عن حلول مناسبة تلبـي حاجات الأسر، وعلى أساسها تمكنا من وضع إستراتيجية لحجم المساكن وحجم الأسر، حيث ما يلاحظ من الجدول رقم 19، أن أغلبية المساكن ذات أسرة واحدة، وعرضها كالتالي.

جدول رقم 19: متوسط حجم الأسرة بالتجمعات الحضرية الجديدة المحاذية لوادي ميزاب .

المنطقة	2008			2014			حجم متوسط الأسر		متوسط الأسر لكل مسكن
	عدد الأسر	عدد المساكن	عدد السكان	عدد الأسر	عدد المساكن	عدد السكان	2008	2014	2014
النوميرات	41	41	106	15	15	60	2,59	4,00	1,00
بوهراوة	532	532	2744	150	146	720	5,16	4,80	1,03
واد نشـو	90	90	486	30	28	150	5,40	5,00	1,07
تافيلالت	450	447	3079	150	149	776	6,84	5,17	1,01
المجموع	1113	1110	6415	345	338	1706	5,76	4,94	1,02

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

انطلاقاً من معلومات منتقاة للتحقيق الميداني قمنا بحساب متوسط حجم الأسر و متوسط الفرد لكل مسكن للنماذج المدروسة حسب ما يلـي:

*TM = nombre des personnes / nombre des ménages

*متوسط حجم الأسر= عدد السكان / عدد الأسر.

*NM = la somme des ménages relevant des logements / Nombre de logement

*متوسط الأسر لكل مسكن= عدد الأسر/ عدد المساكن

من خلال التحقيق الميداني تبين لنا أن متوسط حجم الأسر بالنماذج المدروسة يتراوح مابين 4-6أفراد/المسكن. وهذا يعود إلى العامل الاجتماعي للسكان، مع وجود رغبة لدى فئة في سن الزواج لتشكيل أسر نووية[2] جـــديدة، ما يدعو مستقبلا في التفكير الجدي لإشراك المسكن بين أفراد العائلة أو الانفصال. و على العموم تبين عدم وجود اكتظاظ في المساكن على مستوى التجمعات الحضرية الجديدة، و ذلك مقارنة بمعدل شغل المسكن الوطني 6ساكن/مسكن.

وأما فيما تعلق بمتوسط الأفراد لكل مسكن بهذه التجمعات لم تتعـدى المعدل الوطني وهذا ما يعني ان جل الأسر مشكلاً من أسرة واحدة، وهذا ما يعكس الاستقلالية بعد الزواج لدى الأفراد.

2-5- اعتماد المواطن على إمكانياته الخاصة في التمويل:

معظم سكان التجمعات الحضرية الجديدة بـ60.87% قد اعتمـدوا على إمكانياتهم المادية الشخصية في بناء أو شراء وتملك مساكنهم ان لم تكن دفعة واحدة فهي على مراحل كما هو الحال بقصر تافيلالت، إذ يمكن لفرد حـديث الزواج شراء مسكن بإمكانياته الخاصة بحيث لا يكون قد اقترض قرضاً من الصندوق الوطني للسكن(CNL) أو هيئة أخرى. و ذلك لكي يلمس قيمة المسكن ويساهم في التنمية من خلال الحفاظ عليه. وكما هو معروف عند أهل المنطقة التماسك الأسري فهناك من تحفزه المساعدة الأسرية في تمويل مسكنه التي تهدف في أخر المطاف إلى السترة. كما لا ننسى بأن هناك بعض الأسر ميسورة الحال تمكنها المساعدات التي تمنحها لها الدولة لتمويل السكنات الريفية والمقدرة بـ100مليون دينار جزائري حيث استفاد منها متضرري فيضان أكتوبر2008، في إنجاز سكنات من صيغة النمط الريفي.

كذلك هناك فئة مقدرة بـ3.19% تلجأ في تمويل سكناتها من خلال استفادة من خدمات أصدقاء ومقربين فنلمس هذا عند بني مزاب من خلال التعاون فيما بينهم، بالإضافة إلى قرض أفرد مجتمعهم لبعضهم البعض لإنشاء مشاريع مصغرة وغير ذلك.

جدول رقم 20:طرق تمويل المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة.

طريقة التمويل	عدد	النسبة المئوية
تمويل شخصي	210	60,87
مساعدة عائلية	80	23,19
قرض من شخص	11	3,19
قرض من البنك	6	1,74
من طرف الدولة	38	11,01
المجموع	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

[2]-الأسرة النووية: وهي التي تحتوي على الأب والأم و أبنائهم غير المتزوجين.

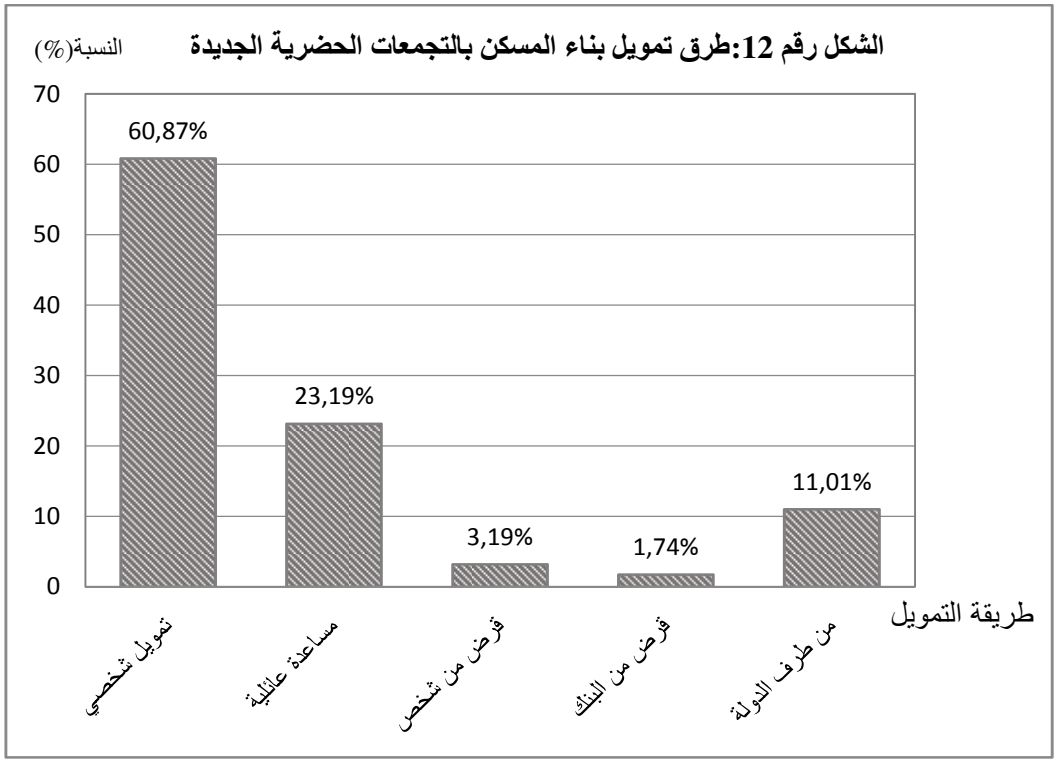

2-6- مصير المسكن السابق:

المسكن تصاحبه عـدة تغيرات منذ إنشائه إلى غاية زواله، حيث تصب هذه التغيرات في تحديد مصيره والحالة التي لحقت به، وبدوره يساعد في تفسير حدة أزمة السكن.

جدول رقم 21:مصير المسكن السابق.

مصير السكن السابق	عدد	النسبة المئوية
تعرضه لكارثة 2008	89	25,80
تم بيعه	45	13,04
تم التنازل عنه	65	18,84
تم كــرائه	54	15,65
لا يوجد	30	8,70
غير مصرح	62	17,97
المجموع	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

ان ربع(4/1) سكان العينة المدروسة بالتجمعات الجديدة تعرضت مساكنها لكارثة أكتوبر2008، والتي راحت سكناتها ضحية الواد وعلى إثرها تم إجلائهم لفترة مؤقتة على مستوى بوهراوة و واد نشو في سكنات جاهزة، فبمجمعة واد نشو لوحدها أنشئت بها 307 وحدة البناء الجاهز لاستقبال نسبة معينة من متضرري بلدية غرداية. وتأتي في المرتبة الثانية الحالات التي ترك فيها المسكن لأحد الأقارب بنسبة18.84 % ويتعلق الأمر بالأسر التي كانت تزاول إقامتها بالإحياء المجاورة لمركز مدينة غرداية،

وهناك حالات غير مصرح بها مقدرة بـ17.97% من عينة البحث التي لا تهتم بما آلت إليه مساكنهم، بالإضافة إلى وجود بعض الأسر لا يملكون أصلا مسكن.

2- مختلف التجهيزات بالنماذج المدروسة:

يتفق الكثير من الباحثين المختصين في ميدان السكان والإسكان على أهمية المرافق العمومية والتجهيزات الجماعية التي تساعد على الاستقرار البشري في أي مجتمع إنساني، إذ تجعل من المجال أكثر حيوية وديناميكية كما قد تخفف الضغط المفروض على مركز مدينة غرداية.

وتختلف درجة تجهيز التجمعات الحضرية الجديدة المدروسة حسب نوع المرافق بها وصنف هذه التجمعات، وحسب الجرد الكلي لمختلف التجهيزات المتواجدة على مستواه خلصنا إلى:

2-1-منطقة النوميرات"هيمنة التجهيزات التعليمية":

منطقة النوميرات بموقعها الاستراتيجي استطاعت في مدة قصيرة من عمرها أن تظهر كقطب نموذج بالمنطقة، من خلال احتضانها منطقتين هامتين ألا وهما المنطقة العلمية ببنورة والمنطقة العلمية بالعطف، و زد على ذلك انفصالها إلى مجالين، مجال سكني وأخر وظيفي. حيث تشغل التجهيزات بهذه المنطقة ما يفوق 70% من المجال المبني بمساحة إجمالية فاقت 77هكتار، وحظي المجال السكني بمساحة مبنية فاقت 29هكتارمن البرامج التي كانت مقترحة، وبعد المسح الكلي لتجهيزات المنطقة خلصنا إلـى الجدول رقم 22 الموالي:

جدول رقم 22:مختلف التجهيزات بمنطقة النوميرات.

التجهيزات	المساحة م^2
مديرية البيئة	3178
محافظة الغابات	1943
مكتب الإعلام والتوجيه السياحي	499,9
ديوان المركب المتعدد الرياضات	185500
المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني "محمد شريف مساعدية"	108300
جامعة غرداية	226000
مديرية الفلاحة	695,6
محطة الرصد الجوي	1213
مركز البحث في الطاقة المتجددة	99630
مركز مكافحة الهجرة الغير شرعية	1370
مشتلة البلدية	1370
مركز طبي	1947
مدرسة ابتدائية	965,7
أمن دائرة بنورة(في طور الانجاز)	1668
مستشفى (في طور الانجاز)	33790

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014

1-التجهيزات الإدارية:

تتوفر النوميرات على المرافق الحيوية منها مديرية البيئة، محافظة الغابات، محطة الرصد الجوي التي استحدثت مؤخرا على مستوى هذه المنطقة.

2-التجهيزات الأمنية:

شملت كل من مقر أمن دائرة بنورة(في طور الانجاز)،و مركز مكافحة الهجرة الغير شرعية.

3-التجهيزات الصحية:

شملت كل من العيادة المتعددة الخدمات التي لم تفتح بعد، بالإضافة إلى مستشفى (في طور الانجاز).

4-التجهيزات التعليمية:

سيادة التجهيزات التعليمية على اختلافها بالمنطقة، منها المعهد المتخصص ، مركز البحث، الجامعة وهذه الأخيرة تضم 08 معاهد بقدرة استيعاب 5482 طالب، وطاقم للتأطير يتكون من 111أستاذ، باعتبارها جامعة حديثة النشأة. يعتبر التعليم العالي الميدان الحقيقي للبحث العلمي الذي من شأنه أن يعمل على النهوض بشتى المستويات الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية وذلك لمواكبة التطورات.

5-التجهيزات الرياضية:

شباب اليوم في حاجة ماسة إلى المرافق الرياضية التي كان حضورها معتبرا بالمنطقة حيث تمثل في ديوان المركب المتعدد الرياضات.

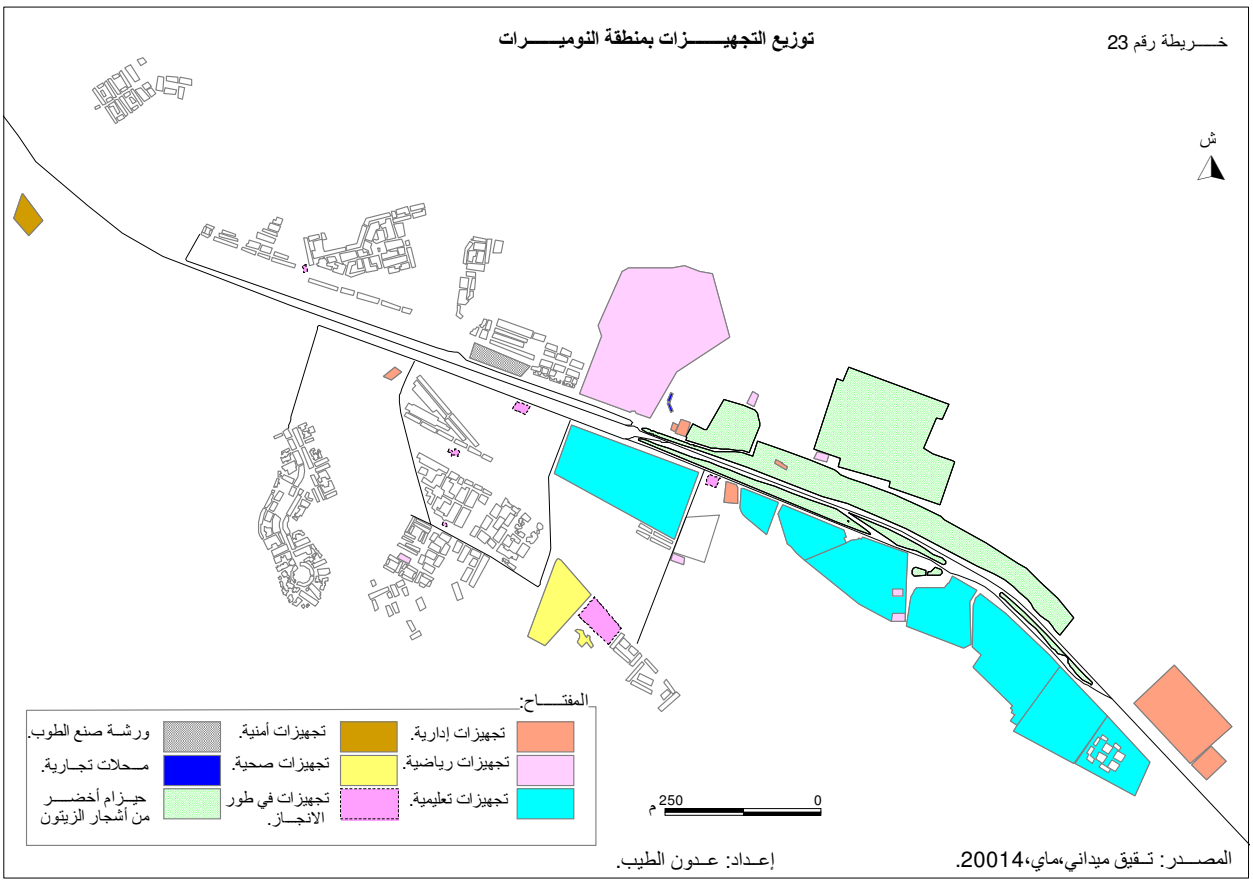

2-2-مجمعة بوهراوة:"تنوع في التجهيزات"

لقد شهدت هذه المجمعة تجهيزات حديثة النشأة ذات طراز معماري حديث التي روعي فيها استعمال مواد بناء حديثة، و تتوزع عبر جل أحياء المجمعة حيث أن معظمها يقع على امتداد الطريق الوطني رقم 01 ومنها ما هو حيز الخدمة وأخر في إطار الإنجاز.

مجمعة بوهراوة على أساس قربها من المدينة الأم برمجت بها بعض مديريات ومرافق هامة، وذلك عملاً على جذب هذا الكم الهائل من التجهيزات وتجسيدا للسياسة التي انتهجتها الدولة بغرض إخراجها من مركز المدينة نحو الأطراف، بالاضافة إلى تخفيف الضغط على عاصمة وادي ميزاب .حيث خلصنا في الأخير لحصر التجهيزات على اختلافها بالمجمعة كما يلي :

جدول رقم 23:مختلف التجهيزات بمجمعة بوهراوة

التجهيزات	المساحة م^2	التجهيزات	المساحة م^2
مركز تحويل الكهرباء	41200	قصر العدالة(طور إنجاز)	9938.27
مصحة الواحات	7461.52	مدرية الثقافة	1895.67
الوحدة الجهوية للحماية المدنية	17292.80	جمارك	1961.82
مصلى ومدرسة قرآنية	1509.76	ملحق بلدي	1465.57
السوق المغطاة	4636.85	قاعة علاج	1770
مركب ثقافي	2963.76	مركز إداري	695.32
مدرسة ابتدائية مختار سليماني	5900.72	أمن حضري	1459
وكالة بريدية	383.64	دار حضانة	770
مركب رياضي	7150.22	مجمع مدرسي	5000
مركز ثقافي ورياضي	12241.54	دار البيئة	1602
قصر المعارض	5965	ابتدائية الأمير عبد القادر	5719
درك وطني	14999.4	مسجد عقبة بن نافع (بوهراوة الجديدة)	4981
ثانوية قرمة بوجمعة	4768	الوكالة الولائية للشغل	886,9
متوسطة أول نوفمبر1954	6169	مركز طبي اجتماعي لأمن الوطني	338,4
متوسطة ربيع النحيب	6033	مؤسسة النقل الحضري والشبه حضري	38280
مركز ثقافي إسلامي (طور إنجاز)	1089	مديرية الأشغال العمومية	17308
المفتشية الولائية للعمل	499,1	مديرية السياحة والصناعة التقليدية	324,5
استثمار سياحي خاص	11023.66	مضمار تعليم السياقة	2306

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

إن مجمعة بوهراوة الوحيدة للنماذج الأربعة المدروسة، في مدة قصيرة من مراحل نموها استكملت مختلف التجهيزات، وهذا يسمح لها أن تكون مجمعة حضرية جديدة متكاملة في صيغة المدينة الجديدة، وعلى أساس أنها منطقة مستجابة للتوسع المستقبلي لمدينة "غرداية" ومع وجود الوعاء العقاري، فهي الخيار الوحيد لعاصمة الولاية أن تضع جل تجهيزاتها على مستواها، وتتدارك النقائص التي كانت تطرح بمركز المدينة.

1-وجود تجهيزات تعليمية على اختلافها:

والتي ضمت ثلاثة مجمعات مدرسية ابتدائية، ومتوسطتين، وثانوية واحدة، بالإضافة إلى دار الحضانة.

2- التجهيزات الإدارية:

في إطار تقريب الإدارة من المواطن والتكفل بانشغاله، تعززت المجمعة بمديريات ولائية التي تعمل على استقطاب سكان الولاية ككل، وجعل من المنطقة قطب إداري واعد .

3-التجهيزات الأمنية:

يعتبر العامل الأمني عنصرا محوريا في أي تجمع حضري،حيث تتوفر على مستوى مجمعة بوهراوة الوحدة الجهوية للحماية المدنية،الفرقة الجهوية للدرك الوطني، والوحدة الجهوية للجمارك ....

4-التجهيزات الصحية:

تبقى ضعيفة وشبه غائبة وما وجد منها سوى قاعة العلاج ومركز صحي، وهذا ما يفتح الباب للسكان بالتوجه نحو مركز المدينة و الأحياء المجاورة.

5-التجهيزات الدينية:

وتعتبر من المعالم التي تعمل على الرقي بالجانب الروحي، والفكري والثقافي، وعلى هذا الأساس وجدنا معظم المساجد بالمجمعة، في حالة أشغال مستمرة ما تعلق بعملية التوسع مع دخولها حيز الاستغلال.

6-التجهيزات الثقافية:

تجسدت التجهيزات الثقافية بالمجمعة في مركز ثقافي و مركز ثقافي إسلامي الذي هو في طور الإنجاز.

7-التجهيزات الرياضية:

إن مجتمعاتنا التي تطغى عليها الفئة الشابة فهي لحاجة ماسة إلى المرافق الرياضية والترفيهية والمسابح وغيرها بغرض النهوض بهذا القطاع، فنجد حضور ضئيل للمنشآت الشبانية بالمجمعة،منها مركب رياضي، وبعض الملاعب الجوارية.

خريطة رقم24 توزيع التجهيـــزات بمجمعة بوهراوة

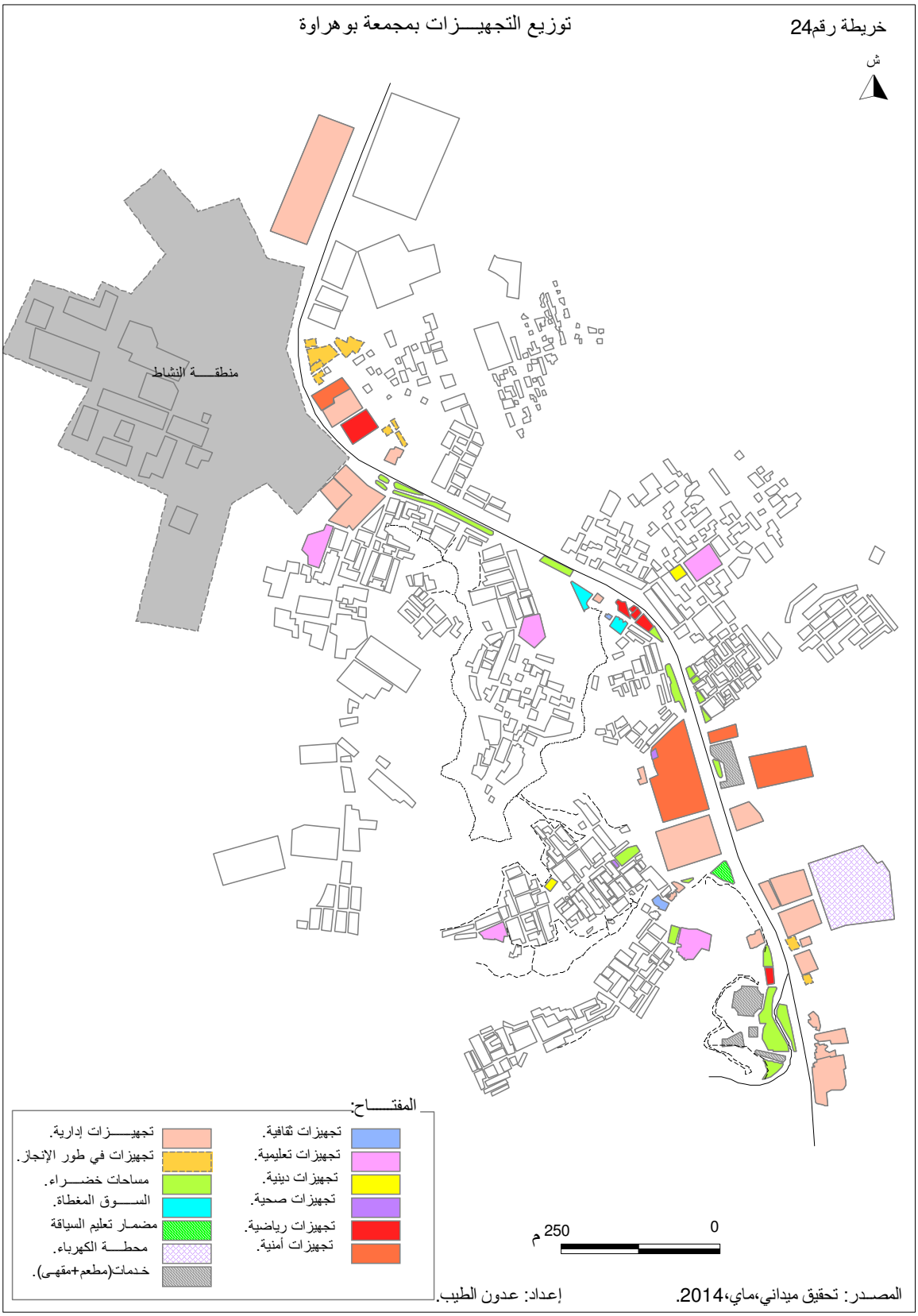

المصـدر: تحقيق ميداني،ماي،2014. إعداد: عدون الطيب.

2-3-مجمعة واد نشو:"غياب شبه كلي للتجهيزات".

إن مجمعة واد نشو التي جاءت بمثابة مدينة جديدة كما خطط لها، إلا أنها تعاني نقص فادح من حيث التجهيزات على حـد اختلافها. وهذا ما يؤثر على عدم الاستقرار بها، وعزوف السكان على الإقبال عليها. و انطلاقا من التحقيق الميداني توصلنا إلى التجهيزات التالية:

جدول رقم 24:مختلف التجهيزات بمجمعة واد نشو.

التجهيزات	المساحة م^2
ابتدائية واد نشو	4647
ابتدائية بناء الجاهز	3869
متوسطة البناء الجاهز	7213
عيادة متعددة الخدمات	394,8
فرع حماية المدنية	906,5
فرع توزيع المياه	906,5
درك وطنـــي	2843
فرع بلدية	898,5
فرع بريد	898,5
مسجد مصعب أبن عمير	4975
متوسط (في طور الانجاز)	6624
مركز تكوين(في طور الانجاز)	10890
ثانوية (في طور الإنجاز)	26160
سـوق	1814

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

إن المتجول داخل مجمعة واد نشو يجذبك شيئين هما وجود واد نشو القديمة على يمين الطريق و الجزء الباقي عبارة عن سكنات البناء الجاهز الذي تم تعزيزها ببعض التجهيزات بعد سنوات التي عقبت كارثة أكتوبر، فالتجهيزات التعليمية ضمت ثلاثة مؤسسات تعليمية منها ابتدائية ومتوسطة البناء الجاهز التي فتحتا في 2009/10/04 بالإضافة إلى ابتدائية واد نشو القديمة، كما شرع مؤخرا في إنجاز المؤسسات التالية التي هي قيد الانجاز متوسط، ثانوية، مركز تكوين. أما التجهيزات الإدارية تعرف شللا كليا بالمجمعة. كما نشهد غياب الهياكل الرياضية باستثناء بعض الملاعب الجوارية (ماتيكو)، كذلك التجهيزات الصحية التي لا يوجد منها سوى العيادة المتعددة الخدمات الوحيدة بالمجمعة، أما التجهيزات الدينية تجسدت في المسجد الوحيد مصعب أبن عمير. أما التجهيزات الأمنية فهي قليلة التي تعززت بها المجمعة مؤخرا شملت كلا من فرع الحماية المدنية، وفرقة الدرك الوطني.

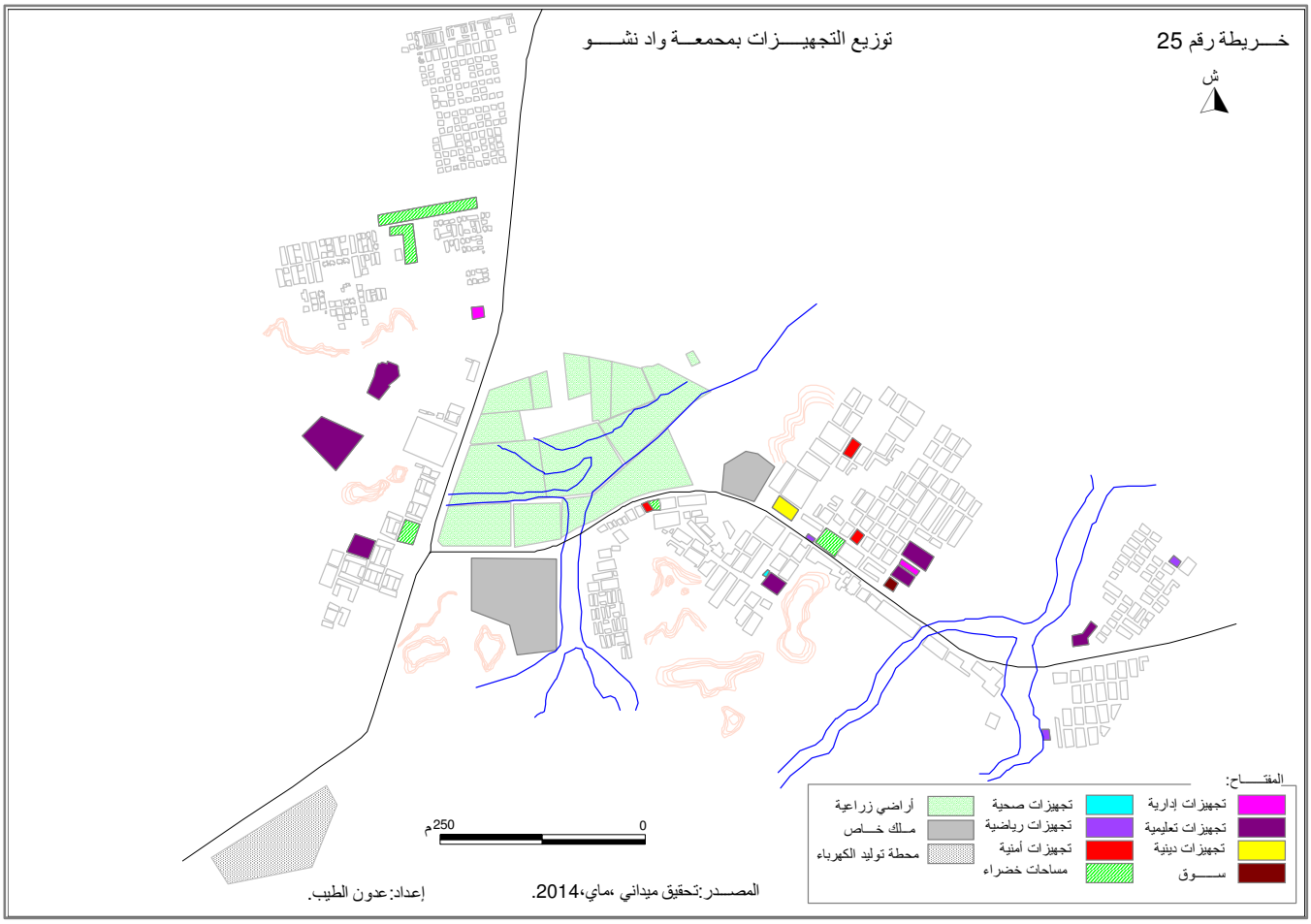

2-4-توزيع التجهيـزات بقصر تافيلالت:

من خلال جولتنا داخل القصر استلهمنا التخطيط المحكم لهندسته الداخلية والخارجية، حيث سجلنا تواجد تجهيزات متواضعة خطط لها مسبقاً تماشياً مع متطلبات عصرية واستجاباً لحاجيات سكان القصر. وما يميز هذه التجهيزات تموقعها مع حدود القصر لتفادي أثار الضجيج، ولكي يعم الهدوء بمختلف الوحدات الجوارية. كما سجلنا تواجد تجهيزات تجارية، ومعظمها مغلقة منها محلات تجارية ملك للخواص موجهه للإيجار وأخرى ملك لأصحابها، بالاضافة سجلنا تواجد بعض الحرف المتمثلة في ورشات خياطة والنسيج. و الجدول والخريطة الموالية توضح ذلك:

جدول رقم 25:مختلف التجهيزات الموجودة بقصر تافيلالت.

التجهيزات	المساحة م^2
مركز صحي	1706
ملعب	12860
قاعة رياضة	1633
مدرسة قرآنية	1909
مصـــلى	258

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

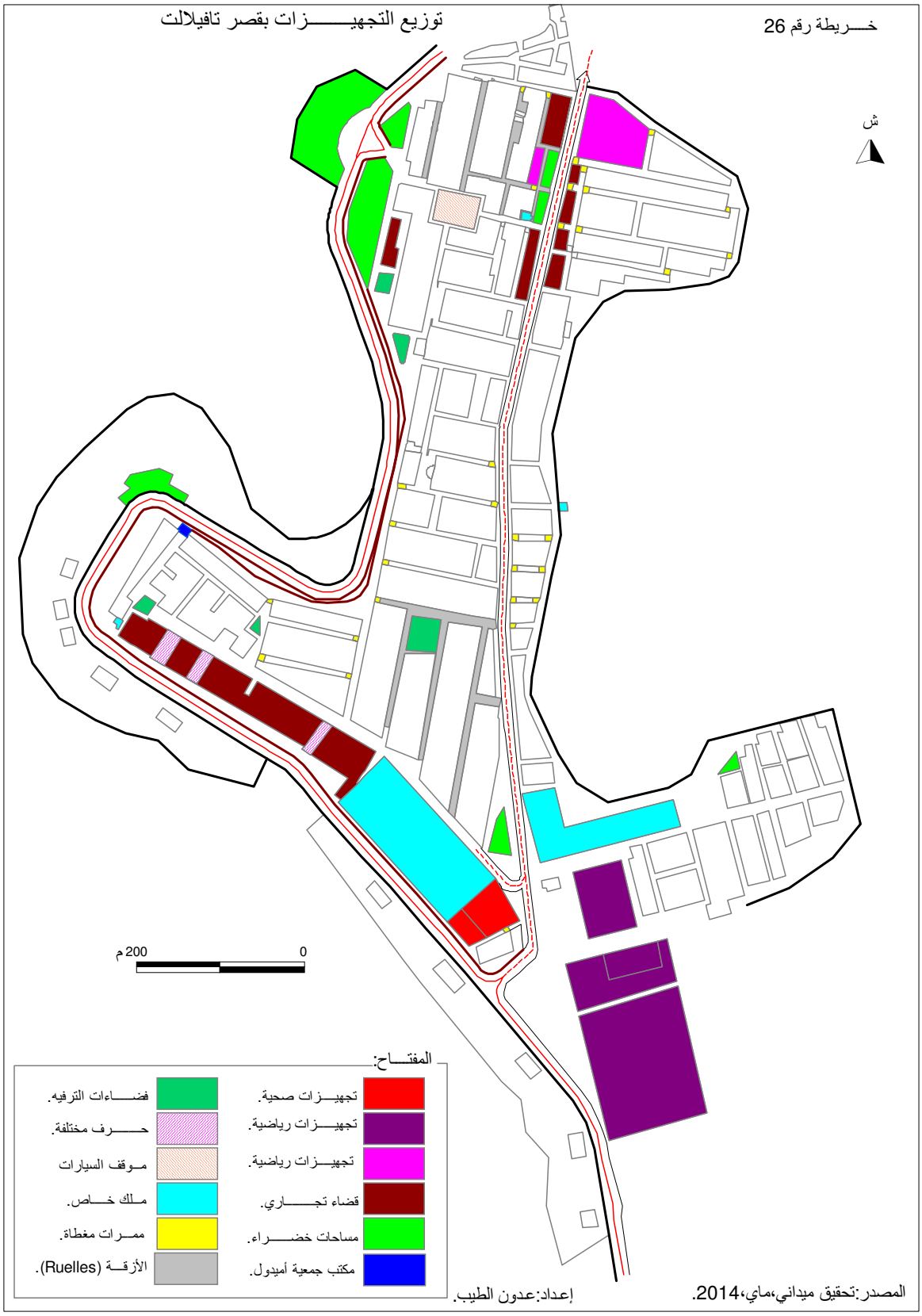
خـــريطة رقم 26
توزيع التجهيـــــــزات بقصر تافيلالت
ش
0
200 م
المفتـــاح:
تجهيـــزات صحية.
تجهيـــزات رياضية.
تجهيـــزات رياضية.
قضاء تجـــــاري.
مساحات خضـــــراء.
مكتب جمعية أميدول.
فضـــــاءات الترفيه.
حـــــرف مختلفة.
مـوقف السيارات
مـلك خـــاص.
ممـــرات مغطاة.
الأزقـــة (Ruelles).
إعداد:عدون الطيب.
المصدر:تحقيق ميداني،ماي،2014.

1-محافظة الغابات (النوميرات)

2- جامعة غرداية (النوميرات)

3-ثانوية قرمة بوجمعة(بوهراوة)

4-مركز ثقافي إسلامي طور الإنجاز (بوهراوة)

5-عيادة متعددة الخدمات (واد نشو)

6-مسجد مصعب أبن عمير (واد نشو)

صورة رقم 43: بعض التجهيزات بالنماذج المدروسة ،(أفريل،2014).

وما يلحظ على العموم بالحالات المدروسة غياب النشاط التجاري الذي يلعب دورا كبيرا في خلق حيوية وديناميكية الوسط المحلي، في هذا الصدد سجلنا وجود 10محلات بمنطقة النوميرات التي بقي مصيرها مجهولاً منذ إنشاءها إلى غاية اليوم، مع غياب الإقبال عليها بحكم موقعها. كذلك سجلنا 10 محلات تجارية بمجمعة واد نشو التي أقامتها الدولة ضمن مشروع مئة محل لكل بلدية عبر القطر، حيث وجدنا بمجمعة واد نشو محلين أحدهما لمواد غذائية وأخر لخدمات الحلاقة. أما مجمعة بوهراوة فالمحلات التي أقيمت من طرف الدولة دخلت حيز الخدمة كونها متواجدة بمواقع جيدة بين التجمعات العمرانية ما يسمح لها بالاستغلال الأمثل.وعلى العموم يبقى اقتناء الحاجيات مرتبط بمركز مدينة غرداية الممول الرئيسي في ذلك.

3-رصـد لانطباعات السكان اتجاه التجمعات الجديدة:

3-1-الأماكن المفضلة لتردد السكان:

أسفر التحقيق الميداني للعينة المحقق معها، في ما يخص الوجهة المفضلة للأسر خاصة في أيام العطل و أواخر الأسبوع حيث خلصنا إلى النتائج الموضحة بالجدول.

جدول رقم 26:الوجهة المفضلة لسكان التجمعات الجديدة.

الوجهة المفضلة	عدد	النسبة المئوية
الواحة	179	51,88
وسط المدينة (غرداية)	40	11,59
المدن المجاورة	62	17,97
مناطق خارج المدينة	22	6,38
بدون تصريح	42	12,17
المجموع	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

إن ما يفوق نصف الأسر المحقق معها وجهتهم المفضلة نحو الواحة لما توفره من راحة، زد على ذلك هناك من يملك مسكن ثاني على مستوى الواحة لذلك يقصدها أسبوعياً بغية تغيير الجو أو القيام ببعض الأعمال على مستوى الواحة. وجاءت نسبة 17.97%من وجهة العينة المدروسة إلى المدن المجاورة بغية زيارة الأقارب أو قصد الحمامات المعدنية، أو بغية التسوق بالمدن المجاورة. هناك فئة من السكان المقدر بـ 11.59% يقصدون مركز المدينة بغية اقتناء الحاجيات الضرورية، وهناك أيضا عينة مقدرة ب12.17% ليس لها وجهة محددة.

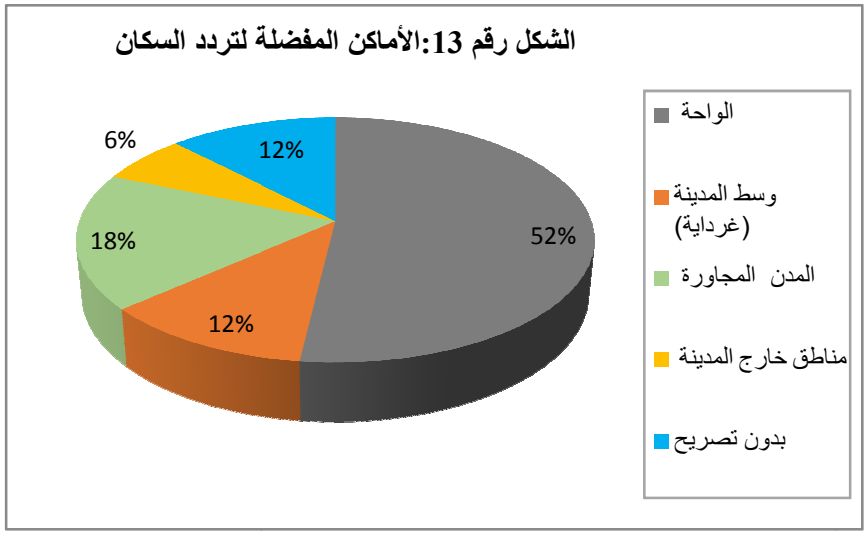

3-2-التصور الأمثل لتنظيم العمران بالمنطقة: "تراوح ما بين إنشاء قصور ومدن جديدة"

أسفر التحليل لأراء الساكنة الجدد بالتجمعات الحضرية، إلى ما يفوق 40%من السكان صرحوا بإنشاء قصور جديدة وإبداء رأيهم في ذلك، لأن القصر يضمن لهم الوسط المتكامل مع الانسجام والحميمية التي تربط الأسر، وهناك من يرى لا بدا من انشاء مدن جديدة للتحكم في العمران الذي طال معظم المدن بنسبة 37.68% إلا أن سرعان ما أفرزت المدن الجديدة بعض العيوب التي عادة لا نجدها بالقصور المشيدة عبر المنطقة. وهناك فئة قدرت بـ 11.59% التي تشيد بضرورة إشراكها في تنظيم العمران من خلال فتح أبواب الحوار، بغية الخروج بعمران تشاوري، وتبقى الفئة الأخيرة المقدرةبـ10.43% ليس لها إي علاقة ولا تبالي بالحالة التي آلـى إليها العمران .

جدول رقم 27:الطرق الأمثل لتنظيم العمران في نظر الساكنة الجدد.

فحوى تنظيم	عدد	النسبة المئوية
إنشاء قصور جديدة	139	40,29
أنشاء مدن جديدة	130	37,68
إشراك في أخذ القرار	40	11,59
أخرى	36	10,43
المجموع	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

الشكل رقم 14:طبائع جديدة حول الطرق الأمثل لتنظيم العمران.

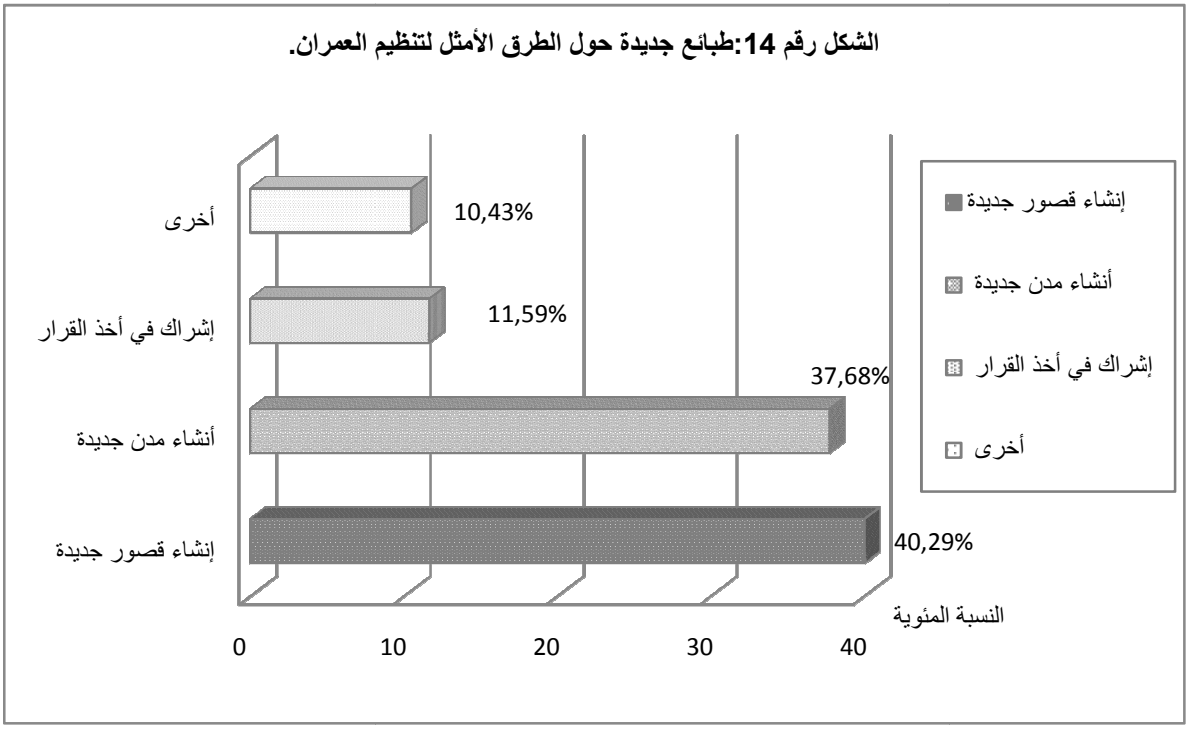

3-3- معاني ومضامين الأشكال الحضرية الجديدة"تجمعات جديدة"لساكني المنطقة

إن النسبة الكبيرة المعبر عنها لدى جمهور البحث اتجاه إنشاء تجمعات جديدة من"قصور ومدن جديدة" بالمنطقة إلى التوسع بمختلف أشكاله بنسبة فاقت 70% إلا أنه لم تشكل لهم هذه التجمعات سوى معاني لتوسع المدينة فقط التي لم يراعوا فيها الجانب البيئي، وتدهور الرقعة الخضراء التي زحف على حسابها العمران ووصلت إمدادات الاسمنت والحديد إلى غاية رئة واحتها التاريخية.

وهناك مجموعة مقدرة بـ 18.84% الذي أرجع اختيار مكان إنشائها كان الهدف منه حماية ما تبقى من واحات وادي ميزاب التاريخية، وما يمثل 8.70%جاء تصريحهم حول حماية الهوية المحلية من خلال خلق ازدواجية للنمط العمراني الحديث المصبوغ بمكنوزات النمط القديم في تشكيلة متجانسة، بغرض الحفاظ على الهوية التي زالت مع اكتساح العمران الغربي للمنطقة، وهناك مجموع قليلة لم تصرح بالمعاني التي تمثله لهم هذه الأشكال الحضرية التي نرجعها في رأينا إلى عدم المبالاة وعدم إدراكهم التدهور الذي مس جزء كبير من عمران المنطقة بما فيها القصور و أحياء التجمعات الجديدة.

جدول رقم 28:طبائع السكان اتجاه إنشاء تجمعات جديدة بالمنطقة.

معاني	عدد	النسبة المئوية
توسع المنطقة	242	70,14
المحافظة على الواحة	65	18,84
حماية الهوية المحلية	30	8,70
أخرى	8	2,32
المجموع	345	100

المصدر:تحقيق ميداني،أفريل،2014.

الشكل رقم 15:طبائع جديدة حول اتجاه إنشاء تجمعات جديدة بالمنطقة.

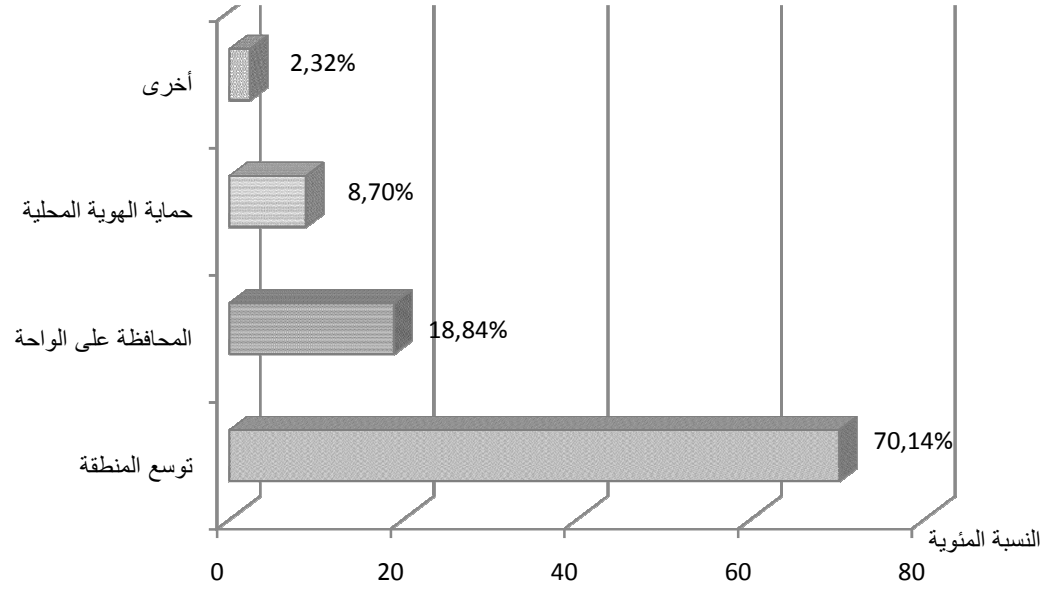

لاصة الفصل :

جاءت دراستنا في هذا الفصل للسكن والتجهيزات بالتجمعات الحضرية الجديدة لوادي ميزاب كتحليل لما تطرقنا إليه سابقا، و حوصلة لتحليل العمل الاستبياني. حيث يمثل كل من السكن والتجهيزات الشغل الشاغل للمواطنين، و خلصنا على ضوء كل هذا إلى:

سكان التجمعات الحضرية الجديدة في مجملها ذو أصول محلية، رغم وجود بعض الوافدين من بقية الولايات لغرض العمل. وكانت مجموعة من السكان دافعها الأساسي في تغيير المسكن كمنطلق الاستقلال عن الأسرة، أما من ناحية البنية المهنية للنماذج المدروسة كانت فيه سيادة العمل بكل أنواعه.

أما فيما يخص وضعية المساكن غلب عليها النمط الفردي، كما سيطرت فيها المساكن ذات الطابق "الأرضي + سطح" وهذا يعني أن الامتداد الأفقي هو السائد، كما يغلب عليها حالة المساكن مابين المتوسط والجيدة باعتبار أن هاته التجمعات حديثة النشأة كانت أول جيل ظهر منها في أواخر تسعينيات القرن الماضي.

أما فيما يتعلق بمعدلات إشغال المسكن وحجم الأسر لم يتعدى المعدل الوطني وهذا دليل على عدم وجود اكتظاظ بالمساكن، وفيما يخص تمويل السكنات كانت معظمها خاضعة للتمويل الشخصي.

أما جانب التجهيزات فسجلت حضورا متواضعا، والتي بدورها شجعت على الاستقرار ونشوء حركية دائمة على مستوى هذه التجمعات، أستوجب التحكم فيها بغية رفع الغبن عن المواطنين والتخفيف من معاناتهم، اتجاه التنقل المتكرر نحو مركز المدينة.

كما تم في الأخير الإشادة بانطباعات سكان التجمعات الجديدة اتجاه الاستراتيجية الجديدة المتبعة من طرف السلطة المحلية، بغية التصور والاختيار الأمثل لسياسة العمران الواضحة بالمنطقة.

الخلاصة العامة:

تعتبر الأنماط الحضرية الجديدة للنماذج المدروسة من المناطق الهامة لضمان تنظيم المجال وهيكلة الأنسجة الحضرية، من خلال توفرها على مختلف البرامج السكنية بنمطها الفردي والنصف جماعي، التي برزت بقوة منذ تسعينيات ومطلع القرن الحالي وفرضت نفسها على توسع المجال الحضري، لاسيما التجمع الحضري لوادي ميزاب الذي ظهرت به أشكال و أنماط مختلفة. و مواكبة لذلك، أفرج المجتمع المحلي لغرداية تجربة استحداث قصور ومدن جديدة مبكراً، الا أنها لم تراعى مضامين العمران القديم. حيث تعد منطقة واد ميزاب من المناطق التي تحفل بازدواجية العمران (القديم،الحديث).

تقع منطقة وادي ميزاب شمال الصحراء ضمن إقليم الجنوب الشرقي وتتميز بالتنوع والاختلاف الطوبوغرافي، وتشعب شبكتها الهيدروغرافية، حيث المنطقة السهلية لواد ميزاب تعرف تدرج في الانحدار مع حصرها للواد الذي يعبرها، مما جعلها عائق أمام مختلف أشكال العمران وبالتالي تؤثر على استقرار السكان وتركز التجهيزات وبرامج التنمية. كما بقيت المنطقة قابعة بالواد الذي يقطعها من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الشرقي، مع عدم مراعاة حقوق الارتفاقات وقوانين التعمير، توسعت المنطقة بشكل غير مخطط كان له تأثير كبير على تغير ملامحها العمرانية.

وفي هذا السياق حاولنا استعراض دراسة نقدية لمختلف المخططات الخاصة والمشاريع العمرانية التي جرى العمل بها في تنظيم المجال بواد ميزاب، حيث نقشت بعض مضامينها واتجاهاتها وخلصنا إلى وجود نقائص في البعض منها وخاصة ما تعلق بالجانب الاجتماعي والثقافي.

كما قمنا في جزء من العمل بإبراز خصوصيات العمران من خلال دراسة تحليل نموذج لقصر غرداية من الناحية العمرانية مع تحليل العناصر الحضرية المكونة للقصر، ووجدنا أن القصر ذو نمط عمراني يستجيب فيه الشكل مع المضمون. الا أن الحياة المعاصرة ومتطلباتها تتعرض مع مقاييس التخطيط للقصور القديمة. فاستحدثت مع مرور الوقت قصور ومدن جديدة تراعي الحياة العصرية، وتحفظ كرامة ساكنيها والتي رصدت لها عقارات لتجسيدها على أرض الواقع، واختيرت لها أرضيات على حدود المدينة الأم لاستيعاب الضغط السكاني المتزايد. حينها بقيت السلطة المحلية عاجزة أمام تطوير المجال العمراني، ففتح المجال أمام المقاولين المحلين الخواص لتعزيز الحظيرة السكنية في مجال إنتاج المباني، والذين برزوا بقوة في الجهة الجنوبية لوادي ميزاب بمشاريع سكنية من صيغة السكن التساهمي.

فالنماذج الحضرية الجديدة من صيغة القصور حُصرت في التجمع القصوري جنوب بن يزقن، ونماذج أخرى بمنطقة النوميرات مشكلة كتلة حضرية واحدة. فالتوسع العمراني بالنوميرات كان من إنتاج

الخواص الذين برزوا بقوة دون منازع، رغم مساهمة الدولة في إنتاج المباني الا أنها تبقى محدودة مقارنة بمساهمة الخواص.

وعند تطرقنا إلى تحليل هذه الأشكال للنماذج المدروسة وجد أنها تتميز بوحدة الشكل والنمط، والتباين الواضح لظروف النشأة، شغل المجال وتوزيع الأنماط السكنية عبر كل تجمع منها، يضاف إلى ذلك تباين في توزيع التجهيزات بالتجمعات الحضرية الجديدة التي تلعب دوراً محورياً في جذب السكان بهدف الاستقرار والاستقلالية عن الأسرة وزخم المدينة.

وقد تأكد لنا في الأخير أننا أمام نماذج حضرية جاءت استجابة لضغوطات وأوضاع أفرزتها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والمميزات الطبيعية، كان لا بد من التفكير بشكل جدي في نمطية التوسع الحضري لمنطقة واد ميزاب بشكل عام، والذي جعل من مجالها العمراني مجال تتقاطع فيه الرؤى وتجتمع فيه جميع الأطراف المعنية من (السكان، المسير،المخطط)، دون إقصاء إي طرف.

قائمة المراجع

1-المراجع عربية:

- إبراهيم بن يوسف،1992: إشكالية العمران الإسلامي، مطبعة ابوداود، الجزائر،ص168.

-ابن خلدون عبد الرحمان ،2000: كتاب العبر ، جزء السادس،دار الفكر بيروت،ص632.

- بالحاج معروف،2007: العمارة الإسلامية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، نشر دار قرطبة الجزائر،ص308.

- حسن فتحي،2001 : عمارة الفقراء، دار العين للنشر والتوزيع، القاهرة، ص209.

- خلف الله بوجمعة،2007: المدينة الإسلامية بين الوحدة والتنوع، دار الهدى للطباعة، الجزائر،ص167.

- خلف لله بوجمعة،2005: العمران و المدينة ، دار الهدى للطباعة، طبعة01، الجزائر .

- عبد الفتاح محمد وهيبه،1980: جغرافية العمران، دار النهضة العربية، بيروت،ص383 .

- فتحي محمد أبو عيانة،1995: جغرافية العمران، دار المعارف الإسكندرية،ص380.

- لمسن الناصر بن بابا،2011: العرف في التعمير والسكن والفلاحة والري بوادي مزاب، نشر جمعية إحياء التراث وحماية الآثار جمعية البيئة وحماية المجتمع، القرارة غرداية،ص36.

- محمد عبد الستار عثمان، 1988: المدينة الإسلامية،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت،ص367.

- مصطفى إبراهيم رمضان،1989: خواطر حول الوضعية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية في غرداية، مكتبة الإيمان، غرداية، ص 158.

- يوسف بن بكير الحاج سعيد،1992: تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية،المطبعة العربية 11نهج طالبي أحمد غرداية،ص256.

- يوسف بن بكير الحاج سعيد، 2006 : تاريخ بني ميزا ب المطبعة العربية– الجزائر،ص238.

- يوسف بن بكير الحاج سعيد،2011: الهوية المزابية، المطبعة العربية 11نهج طالبي أحمد غرداية،ص49.

2-مذكرات ورسائل جامعية:

- الأغواطي محمد عبد الوهاب ،2013: خصوصيات العمران الصحراوي، دراسة حالة مدينة غرداية - الجزائر-رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية،جامعة عمار ثليجيي الاغواط.

- دحمون منى ،2005: قصر بوسمغون بولاية البيض دراسة أثرية تحليلية ،رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية،جامعة الجزائر.

- سالم خيرة، زحاف جميلة، 2010: دراسة تأثير وداي ميزاب على مجاله، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة وهران.

- صابر سعيد،2012: الاختلافات السوسيومجالية في المناطق الحضرية الجديدة لمدينة حدودية "حالة مدينة مغنية"، رسالة ماجستير في الجغرافية والتهيئة، جامعة وهران.

- شيهاني عمر،1995 : التحولات العمرانية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير في التهيئة الإقليمية، جامعة هواري بومدين، الجزائر.

- عاشور دحمان،2001: استخدام الأرض بمركز مدينة غرداية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الدراسات التطبيقية الجامعية في الجغرافيا والتهيئة العمرانية ، جامعة وهران.

- عدون الطيب،ابليلة فوزية،2012: التحولات العمرانية والوظيفية لمجمعة صحراوية واقعة في الجنوب الشرقي، حالة زلفانة ولاية غرداية، مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة وهران.

- علال ليندة،2012: دور الحركة التجارية في ازدهار قصور إقليم توات و وادي ميزاب وتطورها خلال العصور الحديثة (10هـ إلى 13هـ/16م-19م)، رسالة ماجستير في العمران، المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات للهندسة المعمارية والعمران، الجزائر.

- فارس جمال ،2006: الديناميكية الحضرية في مدينة سيدي بلعباس مقاربة تحليلية و نقدية لأبعادها المجالية و السوسيو-اقتصادية، رسالة ماجستير في الجغرافية والتهيئة، جامعة وهران.

3-المجلات والجرائد:

- إبراهيم بن بن بكير بحاز،2005:"أوضاع وادي مزاب في القرن التاسع الهجري"، الجلسة الأولى للأيام الدراسية العلمية، ،الصادرة عن مؤسسة الشيخ عمي سعيد،ص1-8.

- بلقاسم الديب،2009: المدينة العربية وإشكالية الهوية بين العولمة والإقليمية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية " التواصل" الصادرة عن جامعة عنابة، عدد24،ص 165-187.

- جلول زناتي،2012: تقنيات التجديد الحضري للترات العمراني-حالة وادي مزاب- مجلة المخطط والتنمية، العدد26،ص197-215.

- حسين اسماعيل ،2012: العوامل المؤثرة في تغير النمط السكني لمدينة كلار، دراسة في علم الاجتماع الحضري،مجلة ديالى جامعة السليمانية، عدد55،ص1-52.

- حنان نادر الكعبـــي،2010: تخطيط وبنيوية عمارة الصحـــراء،مديرية الأبنية الحكومية لمحافظة العقبة، ص1-24.

- خلف الله بوجمعة،2008: دور المشاركة السكانية في تحسين البيئة العمرانية- حالة حي لاروكاد العشوائي بالمسيلة- مجلة العمران والتقنيات الحضرية، العدد الرابع ، ص35-40.

- خليفة عبد القادر،2010: من القصر الصحراوي إلى " المدينة الحديث" ،مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الاول،ص126-140.

- سناء دراويشه،2012: الفكر التربوي الخلدوني مقاربة بين الأصالة والمعاصرة، مقدم إلى مؤتمر ابن خلدون المنعقد في جامعة النجاح الوطنية، ص1-37.

- عقاقبة احمد و قواس مصطفي،2010: التعمير في وادي مزاب: بين حتمية التوسع وأولوية الحفاظ على الموروث العمراني، مؤتمر التقنية والاستدامة في العمران، كلية العمارة والتخطيط -جامعة الملك سعود، ص 243-260.

- كمال الكناني،2006: تخطيط المدينة العربية الإسلامية الخصوصية والحداثة، مجلة المخطط والتنمية، عدد15،ص1-15.

- مجلة العمران،2005: مجلة دورية تصدر عن كلية الهندسة المعمارية، جامعة غزة، العدد4،ص1-64.

2-مراجع باللغة الفرنسية:

1-Ouvrages:

-ALKAMA Dj., 2005 : « Une forte micro-urbanisation», in COTE M. (dir.) : La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien, Paris – Aix-en-Provence, Karthala – IREMAM, pp. 41-56.

-ALLAIN R.,2012 :« Morphologie urbaine», Géographie aménagement et architecture de la ville, Paris, Armand Colin,253p

-BAFOULOULOU S., 2013 : « Ghardaïa la Mystérieuse», Imprimerie des Oasis Ghardaïa, p63.

-BEKKOUCHE A.,2005: « Eléments d'analyse urbaine, théorie et application », Cahiers du CERES, n°14, 112p.

-BELGUIDOUM S., 2005 : « La restructuration de l'espace urbain : de la cité à la ville », in COTE M. (dir.) : La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien, Paris – Aix-en-Provence, Karthala – IREMAM, pp. 235-251.

-BEN YOUCEF B., 1992 : « Le M'zab, espace et société », Alger, I.A.D, 219 p.

-BEN YOUCEF B.,1999 : « Analyse urbaine, éléments de méthodologie », O.P.U, Alger,60p.

-BEN YOUCEF B.,2010:« Le M'Zab un parcours millénaire », ALPHA, Alger,253p.

-BENDJELID A., BRULE J-C., FONTAINE J., **2004** : Aménageurs et aménagés en Algérie, Paris, L'Harmattan, 419p.

-BISSON J., 2003 : Le Sahara : mythes et réalités d'un désert convoité, Paris, L'Harmattan, 479p.

-CHEVALIER J., PEYON J-P., 2010 : « Au centre des villes, dynamiques et recompositions », Paris, l'Harmattan,264p.

-COTE M., (dir.) 2005 : « La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien », Paris – Aix-en- Provence, Karthala – IREMAM, 306p.

-COTE M., 2005 : « L'urbanisation aujourd'hui au Bas-Sahara », in COTE M. (dir.) : La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien, Paris – Aix-en-Provence, Karthala – IREMAM, pp. 13-26.

-DENIS G.,1988 : « Architecture et urbanisme islamique » O.P.U. Alger, p109.

-DIDILLON J-M. DONNADIEU P.,1977 : « Habiter le désert ,les maisons mozabites », recherches sur un type d'architecture traditionnelle pré-saharienne, Bruxelles, Margada ,254p.

-FARHI A., 2005 : « Des métropoles actives», in COTE M. (dir.) : La ville et le désert, le Bas-Sahara algérien, Paris – Aix-en-Provence, Karthala – IREMAM, pp. 27-40.

-FREY.J-C.,2002 : « Urbanisme, morphologies et société », Ed, Institut d'urbanisme de Paris Université Paris XII-Val de Marne,295p.

-GIOVANNONI G.,1998 :« L'urbanisme face aux villes anciennes », Seuil, Paris, 345p.

-GODARO C.,1954 : « L'Oasis Moderne, essai d'urbanisme saharien », Maison des livres Alger,228p.

-GUERROUDJ T.,2011 : « Pourquoi faire de l'urbanisme », Confluences ,Paris,236p.

-KHELADI M.,1993 : « Urbanisme et systèmes sociaux, la planification urbaine en Algérie » ,O.P.U, Alger ,286p .

-RAVEREAU A.,1982 : « Le M'Zab, une leçon d'architecture », Paris, éditions Sindbad,221 p.

-RONCAYOLO M., 1990: « La ville et ses territoires », éd Gallimard, Paris, 275p.

-THIERRY P., :« Les faiseurs de villes » textes rassemblés par Thierry paquot, Collection Archigraphy Poche,503p.

2- **Revues :**

-ADAD M-C.,2008 : La participation de la population à son Habitat-Cas d'un Nouveau Ksar au M'zab, Sciences & Technologie D – n°28, pp. 67-76.

- **ADAD M-C.,2013 :** les anciens et Nouveaux ksour ;Etude Comparative, Cas du M'zab, Courrier du Savoir-n°16, pp.77-87**.**

-AMMOUR Idir, Projet de route des Ksour, Les Nations unies au chevet du patrimoine national, L'Expression, 21/10/2007. p 20.

-BENYOUCEF B., 2004 : « Les villes nouvelles du Mzab, autopsie d'une expérience locale » , Revue du Laboratoire d'aménagement du territoire, n°2, Université de Constantine, pp. 99 -118.

-BISSON J., 1989 : Le Nomade, l'oasis et la ville, Cahiers d'URBAMA n° 20, Tours, 288p.

-BISSON J.,1989 : « Le chaanbi et le Hammam : Zelfana, boite noire de l'aménagement au Sahara Algérien », in BISSON J.(dir.) :Le Nomade, l'oasis et la ville, Cahiers d' URBAMA n°20,Tours,pp.117-131.

-BOUSQUET C.,1986 : « Les nouveaux citadins de Beni Isguen, M'Zab (Algérie) », in Fascicule de Recherche ,URBAMA n° 17, Tours (tome 2), pp.435-450.

-BOUSQUET C.,1986 : « L'habitat Mozabite au M'zab » éd, CNRS Annuaire de l'Afrique du Nord Tome XXV, pp.257-269.

-COTE M., 2002 : « De quelques villes nouvelles au Sahara», Revue Méditerranée, tome99, n°3.4, pp.71-75.

-COTE M., 2002 : « Une ville remplit sa vallée : Ghardaïa», Revue Méditerranée, tome99, n°3.4, pp. 107-110.

-COTE M.,1998 :« Dynamique urbaine au Sahara »,Revue Insaniyat N°5,pp.85-92.

-HUGUET J., 1902 : Les Juifs du Mzab In: Bulletins de la Société d'anthropologie de Paris, V° Série, tome 3, pp.559-573.

-KHELIFA A.,2008 : « Villes du Sud d'Algérie en Mutations ,Ksars d'hier, villes d'aujourd'hui » Author manuscript, published in "Penser la ville – approches comparatives, Khenchela, Alger, pp1-10.

-KHODJA M-A., 2008 : Sauvegarde des tissus anciens à travers la réhabilitation des maisons traditionnelles : Cas de la vallée du M'Zab, Conférence Internationale sur la Médina, Tlemcen, 13 et 14 mai 2008, 64 p.

-MAACHOU H-M., 2013: « Le M'zab: De la Pentapole à la "Métropole" »,in Bulletin des Sciences Géographiques , n°28, pp63-70.

-RAVEREAU A. ,2003:" L'atelier du désert ",éd, Parenthèses Sindbad, ISBN 2-86364-120-4,pp1-18.

-SALHI M-B., 2006 : « Société et religion en Algérie au XXe siècle : le réformisme ibadhite, entre modernisation et conservation », Insaniyat, n°31, PP.33-61.

3-Mémoires et Thèses :

-BENYOUCEF B.,1999 : L'approche de l'espace socio-urbain. Problématique, tradition et modernité, Thèse de Doctorat d'état en Urbanisme, Université d'Alger.

-CHAOUCHE-BENCHERIF M., 2007 : La Micro-urbanisation et la ville-oasis; une alternative à l'équilibre des zones arides pour une ville saharienne durable Cas du Bas-Sahara, Thèse de Doctorat en sciences, option Urbanisme, Université de Constantine.

-GERDER A., 1992 :L'Algérie de le Corbusier les voyages de 1931, Thèse de Doctorat, Ecole polytechnique fédérale de Lausanne.

-KOUZMINE Y., 2007 : Dynamiques et mutations territoriales du Sahara Algérien. Thèse de Doctorat en Géographie, Université de Franche-Comté.

-SPIGA N.,2010 : Les Modalités de Transmission des Valeurs Ibadites dans la Famille Mozabite Contemporaine. Thèse de Magister en Anthropologie, Université de Constantine.

Documents :

-Monographie de la Wilaya de Ghardaïa, DPAT , 2010.

-Projet DELTA, 2002 :Plan d'action Cas de Ghardaïa, Etude faite par l'Union européenne, sous l'égide par Délégation Algérienne.

-Révision de P.D.A.U de la groupement de Ghardaïa, URBAT , 2007.

- Direction de la Programmation et du Suivi Budgétaires Annuaire statistique de la wilaya de Ghardaïa, 2012 .

Ministère de l'habitat, PDAU de la vallée du Mzab, Bureau d'étude URBATIA, Agence

de Ghardaïa, Année 1992.

- ورشات حول عقد البناء والكوارث الطبيعية، مديرية التعمير والبناء 2010/12/10.

-منشورات ديوان حماية وترقية سهل وادي مزاب: المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع المحمي لسهل وادي مزاب.

الملاحق

استمارة البحث الميداني

اسم الحـــي..... رقم المقاطعة..... رقم الجزيرة .....
عدد الأسر بالمسكن..... عدد الغرف.....

1-خصائص المسكن :

نمط الإسكان:

سكن ريفي ☐ ، التجزئة ☐ ،التعاونيات العقارية ☐، سكن اجتماعي تساهمي ☐، سكن وظيفي ☐
سكن اجتماعي ترقوي ☐، بناء ذاتي ☐ ، أخرى ☐ .

نمط البناء(السكن):

، النمط الحديث الموحد ☐ ،النمط الهش ☐، فردي تقليدي ☐، فردي مستحدث ☐ ، عصري ☐
أخرى ☐

حالة المبنى الحالي : رديئة ☐، متوسطة ☐ ، جيدة ☐ .

ارتفاع المبنى: ارضي ☐ ، طابق أول ☐ ،طابقين ☐.

كيفية الحصول على قطعة الأرض أو السكن:

إيجار عن القطاع العام ☐ ، إيجار عن القطاع الخاص ☐، شراء ☐، ورث ☐ ، بواسطة تعاونية ☐ ،
بواسطة جمعية ☐ ، عن طريق البلدية ☐ ، وكالة عقارية ☐ ، تعاونيات عقارية ☐ ، أخرى ☐ .

مصير السكن السابق:

تم بيعه ☐، تم كرائه ☐، تم التنازل عنه ☐ ، تعرض لكارثة ☐ متـى.....

نوع السكن:

فردي ☐ ، نصف جماعي ☐ ،جماعي ☐ ، أخر ... .

طرق تمويل المسكن :

شخصي ☐ ، من طرف الدولة ☐ ،مساعدة العائلة ☐،قرض من شخص ☐،قرض من البنك ☐

خصائص التجمعات :

الإنارة العمومية ☐ ، مساحة خضراء ☐، مساحات للعب للأطفال ☐، أماكن مجهزة لرمي نفايات ☐.
المساحات الحرة ☐ ، المساحات العمومية ☐

2-الطبائع الجديدة:

-ماهي المناطق التي تفضل الانتقال إليها:

وسط المدينة (غرداية) ☐ ، المدن المجاورة ☐، إلى الواحة(الغابة) ☐ ،مناطق خارج المدينة ☐

-ماهي الطرق المناسبة لتنظيم عمران المنطقة:

إنشاء قصور جديدة ☐ ،إنشاء مدن جديدة ☐ ،إشراككم في اتخاذ قرار ☐، أخرى ☐

-ماذا تعني لكم الأشكال الجديدة للتعمير(تجمعات وقصور جديدة) بالمنطقة:

توسع المنطقة ☐ ، حماية الهوية المحلية ☐ ، المحافظة على واحاتها التاريخية ☐

هل يعجبك شكل و نوع البناء: نعم ☐ لا ☐: لماذا .....

3-خصائص الأسر:

ميلاد رب الأسرة: حي..... بلدية..... دائرة..... ولاية.....

الإقامة السابقة لرب الأسرة..... مكانها(بالضبط).....

تاريخ الإقامة الحالية..... سبب تغير الإقامة..... .....

عدد أفراد الأسرة..... المتمرسون..... عدد الشغليين.....بدون عمل .....

أين يتم التمدرس: الابتدائي في ..... المتوسط في ..... ثانوي في .....

أخر ما هو .....

المسافة بين المسكن و المؤسسة التعليمية:

500م.....، 1000 م-1500م.....،2000م فأكثر.....

التركيب العمري

العمر	10-0	20-10	30-20	40-30	50-40	60-50	أكثر من 60
ذكور							
إناث							

الشّغِلون

	1	2	3	4	5	6	7
الجنس	الأب	الأم					
العمر							
الحالة العائلية							
المهنة							
مكان العمل							
وسيلة التنقل							
مدة التنقل							
العمل السابق							
مكانه							

اقتناء الحاجيات ومتطلبات السكان:

	المواد الغذائية	الخضر و الفواكه	ملابس وأحذية	أجهزة منزلية	العلاجات البسيطة
حالياً					
سابقاً					

ملاحظة: هذه المعلومات تستخدم لأغراض علمية بحتة.....شكرا جزيلا لتعاونكم.

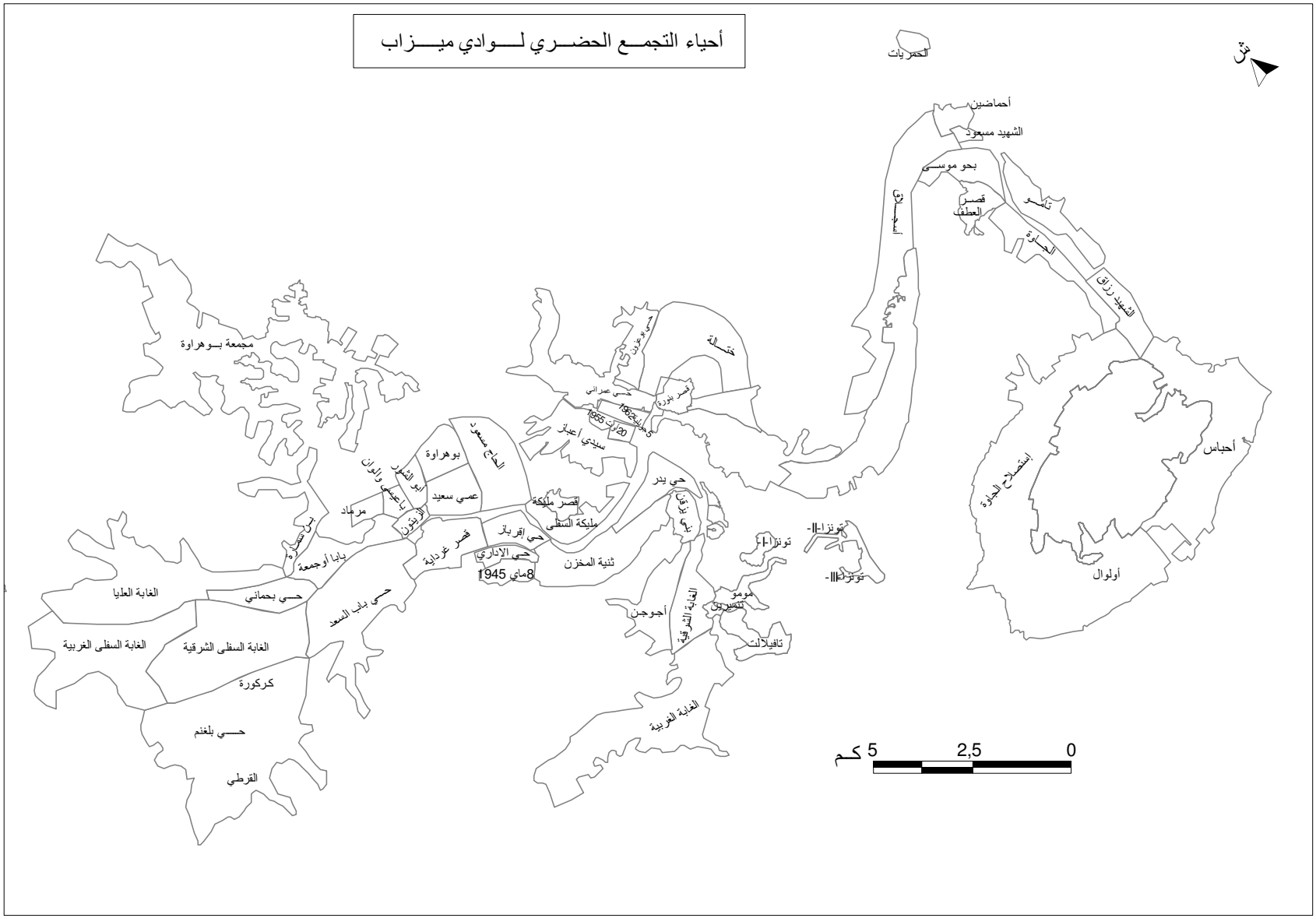
أحياء التجمع الحضري لوادي ميزاب
ش
الحمريات
أحماضين
الشهيد مسعود
بحو موسى
قصر العطف
تنانو
الحدوة
الشهيد رزاق
أحباس
أولوال
إستصلاح الحدوة
مجمعة بوهراوة
حي عمراني
قصر بورزق
1962 حي
20 أوت 1955
سيدي أعمار
بوهراوة
الحاج مسعود
أبو الشعور
باعويش والون
عمي سعيد
مرماد
أزيغون
قصر غرداية
حي الإداري
8 ماي 1945
حي إقرباز
قصر ملوكة
ملوكة السفلى
ثنية المخزن
حي بدر
حي بوراق
بلي بوراق
تونزا-I-
تونزا-II-
تونزا-III-
مومو تنسيرين
تافيلالت
أجوجن
الغابة الشرقية
الغابة الغربية
بابا أوجمعة
حي بحماني
الغابة العليا
حي باب السعد
الغابة السفلى الغربية
الغابة السفلى الشرقية
كركورة
حي بلغنم
القرطي
5 كم
2,5
0

تطور حجم السكان لبلديات وادي ميزاب (66-08).

البلدية		غرداية	بنورة	العطف	ضاية بن ضحوة
1966	ACL	37012	-	-	-
	AS	6790	2687	4219	1049
1977	ACL	57153	-	-	-
	AS	-	4003	5006	2319
1987	ACL	62251	18611	8553	5539
	AS	-	31	-	-
1998	ACL	87574	27733	12656	9110
	AS	9	-	4	194
2008	ACL	92937	35287	14689	12354
	AS	486	-	-	-

المصدر:(ONS)،66،77،87،98،08

أبواب قصر غرداية

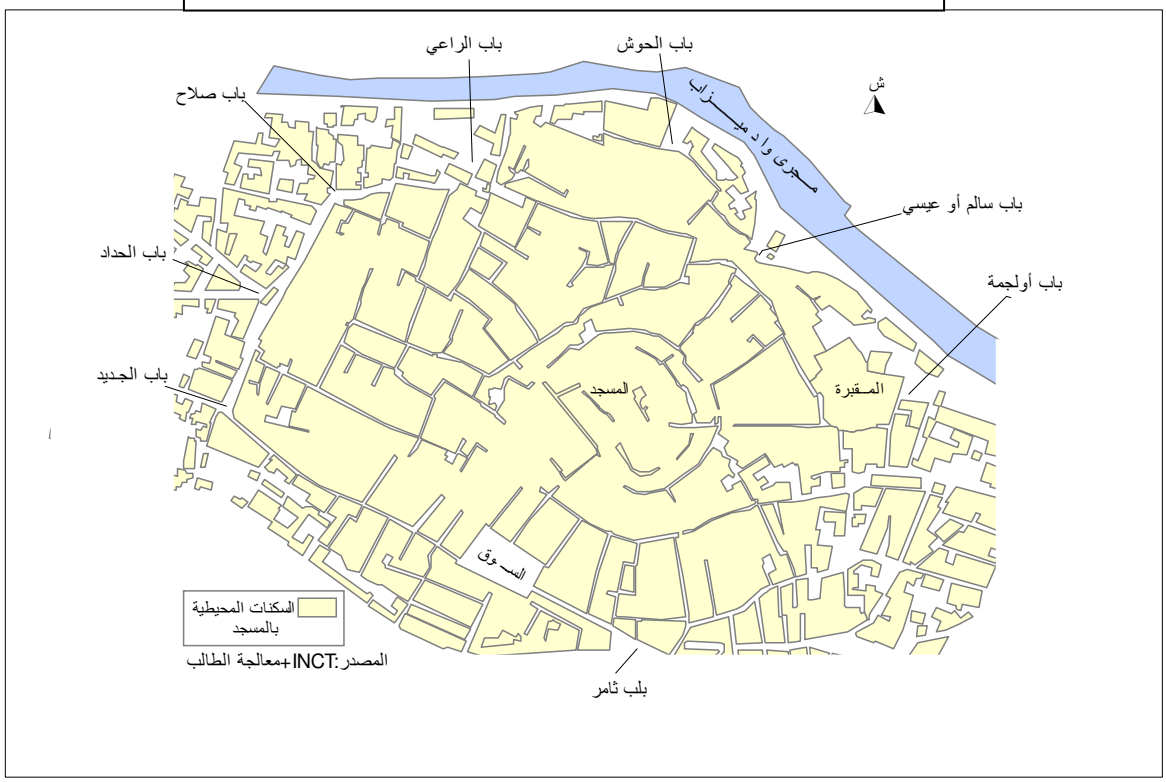

Liste des sigles utilisés :

A.A.D.L : Agence de Développement et d'Amélioration du Logement.
A.C.L : Agglomération chef-lieu.
A.F.L : Agence Foncière Locale.
A.N.A.T : Agence nationale d'aménagement du territoire.
A.S : Agglomération secondaire.
B.R.P : Bureau de recherche pétrolier.
C.D.E.R : Centre de Recherche d'énergie Renouvelable.
C.E.S : Coefficient d'emprise au sol.
C.E.T : Centre d'Enfouissement Technique.
C.N.E.P : Caisse Nationale d'Epargne de Prévoyance.
C.N.L : Casse Nationale du Logement.
C.O.S : Coefficient d'occupation du sol.
D.E.L.T.A : Développement Des Systèmes Culturels Territoriaux.
D.E.M: Digital Elévation Model.
D.L.E.P : Direction du logement et des équipements publics.
D.P.A.T : Direction de la planification et de l'aménagement du territoire.
D.P.S.B : Direction de la Programmation et du Suivi Budgétaires.
D.U.C : Direction de l'urbanisme et de la construction.
E.P.L.F : Entreprise Publique pour le Logement Familial.
I.N.C.T : Institut National de Cartographie.
L.S.P : Logement social participatif
M .N.T : Modèle numérique de terrain.
M.O.D.I.S : Moderate Resolution Imaging Spectroradiometer.
N.P.C : Nouveaux pôles des croissance.
O.N.S : Office nationale de statistique.
O.P.G.I : Office Promotion et de Gestion Immobilière .
O.P.V.M :Office de protection et de promotion de la Vallée du M'zab.
P.C.D: Plan de développement communal.
P.D.A.U : Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme.
P.D.A.U : Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme.
P.D.L : Plan de développement local.
P.M.U :Plan de Modernisation Urbaine .
P.O.S : Plan d'occupation des sols.
R.G.P.H : Recensement général de la population et de l'habitat.
R.H.P : Résorption de l'Habitat Précaire.
S.C.I.A : Société civile Immobilière Amidoul.
T.I.N: Triangulated Irregular Network.
U.N.E.S.C.O : United Nations educationnal, scientific and cultural organization.
U.R.B.A.T : Bureau d'Etudes d'Urbanisme Tiaret.
Z.E : Zone éparse.

قائمة الجـــــــداول

1- مناطق مجال الدراسة..... ص10
2- توزيع عينة التحقيق حسب حجم اسر المقاطعات بالمناطق المدروسة..... ص13
3- تطور عدد سكان بالتجمع الحضري لوادي ميزاب..... ص39
4- الحجم السكاني للتجمع الحضري لوادي ميزاب خلال التعدادات السكانية (1966-2008)..... ص42
5-تطور السكان التجمعات الحضرية الجديدة للنماذج المدروسة 1998-2008..... ص44
6- مشاريع مخططات شغل الأراضي لبلديات سهل وادي ميزاب..... ص68
7-استخدامات الأراضي لبلديات سهل وادي ميزاب..... ص70
8- برامج التجزءات التي أشرفت عليها وكالة غرداية..... ص118
9- السكن الفردي المنجز من طرف ديوان الترقية والتسيير العقاري..... ص120
10- مشاريع السكن الفردي المنجزة من قبل الخواص..... ص121
11- مشاريع السكن نصف جماعي المنجز من قبل OPIG..... ص123
12- الأصول الجغرافية لأرباب الأسر حسب مكان الميلاد..... ص140
13- الأصول الجغرافية لأرباب الأسر حسب مكان الإقامة السابقة..... ص141
14- دوافع الإقبال على التجمعات الحضرية الجديدة..... ص142
15- البنية المهنية الاجتماعية لأرباب الأسر في التجمعات الحضرية الجديدة..... ص144
16- نمـط المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة..... ص146
17- ارتفاع المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة للعينة المدروسة..... ص148
18- وضعية المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة المحاذية لوادي ميزاب..... ص148
19- متوسط حجم الأسرة بالتجمعات الحضرية الجديدة المحاذية لوادي ميزاب..... ص149
20- طرق تمويل المساكن بالتجمعات الحضرية الجديدة..... ص150
21- مصير المسكن السابق..... ص151
22- مختلف التجهيزات بمنطقة النوميرات..... ص152
23- مختلف التجهيزات بمجمعة بوهراوة..... ص154
24- مختلف التجهيزات بمجمعة واد نشو..... ص157
25- مختلف التجهيزات الموجودة بقصر تافيلالت..... ص158
26- الوجهة المفضلة لسكان التجمعات الجديدة..... ص161
27- الطرق الأمثل لتنظيم العمران في نظر الساكنة الجدد..... ص162
28- طبائع السكان اتجاه إنشاء تجمعات جديدة بالمنطقة..... ص164

قـــائمة الــخرائط

1- موقع مناطق الدراسة من التجمع الحضري لوادي ميزاب ص11
2-موقع مدن وادي ميزاب ص25
3-الموقع الإداري لبلديات وادي ميزاب..... ص28
4-حدود التجمعات الحضرية الجديدة ضمن المجمع الحضري لوادي ميزاب..... ص30
5-طبوغرافية منطقة وادي ميزاب..... ص33
6-مجسم سطح منطقة وادي ميزاب..... ص33
7-منطقة واد ميزاب الارتفاعات المجسمة (3D) نموذجTIN..... ص35
8-توزيع الانحدارات بمنطقة وادي ميزاب..... ص37
9-الشبكة الهيدروغرافية بمنطقة وادي ميزاب..... ص38
10- تطور الحجم السكاني للتجمع الحضري لوادي ميزاب خلال التعدادات السكانية (1966-2008)..... ص43
11- توزيع سكان التجمعات الحضرية الجديدة بمنطقة وادي ميزاب2008..... ص46
12-مراحل التوسع العمراني للتجمع الحضري لوادي ميزاب..... ص65
13-استخدام الأرض بالتجمع الحضري لواد ميزاب..... ص69
14-وضعية منطقة النوميرات في سنة 1998..... ص107
15- محددات الكتلة العمرانية لمنطقة النوميرات..... ص108
16- محددات الكتلة العمرانية لمنطقة بوهراوة..... ص110
17- وضعية منطقة واد نشو في الفترة 1988-2008..... ص111
18- محددات الكتلة العمرانية لمنطقة واد نشو..... ص112
19- الأنماط السكنية لمنطقة النوميرات..... ص128
20- الأنماط السكنية بمجمعة بوهراوة..... ص130
21- الأنماط السكنية بمجمعة واد نشو..... ص131
22- نمط شغل المجال بقصر تافيلالت..... ص134
23-توزيع التجهيزات بمنطقة النوميرات..... ص153
24- توزيع التجهيزات بمنطقة بوهراوة..... ص156
25- توزيع التجهيزات بمجمعة واد نشو..... ص158
26- توزيع التجهيزات بقصر تافيلالت..... ص159

قـــائمة الـــــــــصور

1- براعة الإنسان في تعامله مع الطبيعة.(التكامل مابين الموقع وتاريخ المكان.)..... ص04
2- نصب تذكارية (Carrefour) غرداية على محاور الالتقاء الطرق..... ص04
3- صورة قمر صناعي (ASTRA)التي تم التقاطها لوادي ميزاب سنة 20011..... ص11
4- نمط المسكن الفردي مع حديقة بشكل فيلا بغرداية 68/67..... ص54
5- سكنات فردية بحي سيدي أعباز1976..... ص54
6- سكنات فوضوية بحي مليكة، متواجدة على مجرى الوادي..... ص71
7- واحـــة غرداية –تآكل الأراضي الفلاحية..... ص71
8- بئـر تقليدي بالساحة ابن رستم..... ص81
9- باب الحداد، قصر غرداية..... ص81
10- بـرج بوليلة بني يزقن..... ص81
11- شارع ،بقصر غرداية..... ص81
12- النسيج العـــمراني لقصر غرداية..... ص83
13- مدخل المسكن..... ص89
14- وسط الـــدار،..... ص89
15- السقيفـــــة..... ص89
16- الـــــــــدرج..... ص89
17- نمـوذج لمطبـــــــــــخ مزابي..... ص89
18- تيـــــزفري..... ص89
19- أرضية المشروع التي أقيم عليها قصر "أغرم أنو أعزام..... ص93
20- موقع قصر الحمريات -العطف-..... ص94
21- موقع " أغرم أنو أعزام" بالنوميرات..... ص94
22- موقع المجمع القصوري، جنوب قصر بني يزقن..... ص96
23- موقع منطقة النوميرات..... ص108
24- منطقة بوهراوة(image satellite,.2008)..... ص110
25- قصر تافيلالت ،(image satellite,.2008)..... ص114

26- قصر تافيلالت. (Google Eerth,.2013)..... ص114
27- سكن نصف جماعي من الوكالة العقارية، قرب قاعة العلاج بوهراوة..... ص124
28- سكن نصف جماعي من إنجاز(OPGI) ، قرب مـدخل رب واد نشـو..... ص124
29- سكن فردي تساهمي من إنجاز الخواص "بابا أوسماعيل"، بمنطقة النوميرات..... ص124
30- تجزئة البناء الذاتي ، بحـي بوهراوة الجديـدة..... ص124
31- النمط الفردي بمنطقة النوميرات، الموجه لأساتذة التعليم العالي..... ص128
32- النمط الحديث، فردي تساهمي بمنطقة النوميرات..... ص128
33- سكنات وظيفية -نمط فردي- بمجمعة بوهراوة..... ص129
34- النمط النصف جماعي ،حـي الجمال مجمعة بوهراوة..... ص129
35- النمط النصف جماعي ،حـي 168 مجمعة بوهراوة..... ص129
36- النمط الفردي الحديث ،حـي بوهراوة الجديدة..... ص129
37- سكنات البناء الجـــاهز- نمط فردي- واد نشـو..... ص132
38- النمط الفردي الحديث لسكنات اجتماعية ،بمجمعة واد نشو..... ص132
39- النمط الحديث النصف الجماعي ، مجمعة واد نشو..... ص132
40- المدخل الرئيسي، قصـــر تافيلالت..... ص133
41- مساحة خضراء بواجهة قصـــر تافيلالت..... ص135
42- مختلف فضاءات لقصـــر تافيلالت..... ص135
43- بعض التجهيزات لنماذج المدروسة..... ص160

الفهـــــــرس العام:

شـــــكر

إهــداء

مقدمة عامــة..... ص01

الإشكالية ص05

التعريف بمجال الدراسة..... ص09

المنهجية والهدف من الدراسة..... ص12

الفصل الأول : المميزات الطبيعية والبشرية

مقدمـــة ص21

1-السياق التاريخي لمدينة غرداية..... ص21

1-1- العهد الأول : "المنطقة قبل التواجد الاباضي"..... ص21

1-2- العهد الثاني:"المنطقة بعد التواجد الإباضي"..... ص22

1-3- العهد الثالث:"الانفتاح والازدهار التجاري بالمنطقة"..... ص22

1-4- العهد الرابع : الغزو الاستعماري ص23

2-المسار التاريخي لاستقرار بني مزاب بالمنطقة..... ص23

3- تأسيس مدن واد ميزاب..... ص24

4- المميزات الطبيعية..... ص26

4-1- تقديم عام لولاية غرداية..... ص26

4-2-الموقع المتميز لمدينة غرداية..... ص27

4-3- موقع منطقة وادي مزاب..... ص27

4-4-الخصائص الطبوغرافية للمنطقة ومعالجة معطيات المجال الطبيعي..... ص31

4-4-1-الطوبوغرافيا وتفاصيل ملامح السطح..... ص31

4-4-2- توزيع الارتفاعات..... ص34

4-4-2-1- وادي مزاب (Vallée du M'zab)..... ص34

4-4-2-2-منطقة سهلية..... ص34
4-4-2-3- منطقة جبلية..... ص36
4-4-3- توزيع الانحدارات:"سيادة الانحدار الشديد"في حدود التجمع الوادي..... ص36
4-4-4-الشبكة الهيدروغرافية..... ص37
5- المميزات الديمغرافية..... ص39
5-1- تطور سكان التجمع الحضري لوادي ميزاب..... ص39
5-2-تطور الشبكة العمرانية لوادي ميزاب..... ص41
5-3-سكان التجمعات الحضرية الجديدة المدروسة ص44
-خلاصة الفصل..... ص47

الفصل الثاني التوسع المجالي بأشكال وأنماط تعميرية مختلفة

مقدمة..... ص49
1-مورفولوجية منطقة وادي ميزاب..... ص50
2- واقع التعمير والتوسع العمراني لوادي ميزاب..... ص50
3-بعض المخططات العمرانية التي عرفتها المنطقة..... ص52
3-1-مشروع " أندريه رافيرو"لفترة 1962-1972:"الحد من التدهور العمراني"..... ص53
3-2-مشروع ألبير سبير(Albert SPEER) **:**"المشروع الاقتصادي"..... ص55
3-3-مشروع لوكوربزييه (Le Courbusier)"تصاميم نموذجية للمنطقة"..... ص55
3-4- مشروع بويون (**pouillon**): "الجمع بين الحداثة والتقليد"..... ص56
4- تطور النسيج العمراني..... ص56
5- مراحل التطور العمراني وأشكال التوسعات بالمنطقة..... ص59

5-1- المرحلة الأولى: ما قبل الاستعمار من (1053 إلى 1857م)..... ص59

5-2- المرحلة الثانية: فترة الاستعمارية (1857 إلى 1962م)..... ص60

5-3- المرحلة الثالثة: من الاستقلال إلى يومنا هذا. (إطاحة المستعمر وبداية ثورة البناء)..... ص61

5-3-1 -مرحلة1962-1966:الأحياء المحيطية كمظهر هام للتوسع..... ص61

5-3-2-مرحلة 1966-1974:من التوسع الدائري إلى الزحف الخطي ص62

5-3-3-مرحلة 1975-1985:توسع بواسطة التوطن الصناعية..... ص62

5-3-4-مرحلة 1986-1997:تواصل النمو المجالي..... ص63

5-3-5-مرحلة1998 -2008: انفجار المجال المبني وتنوع أنماطه وتعدد الفاعلين. ص63

5-3-6-مرحلة 2008-2014:مساهمة الدولة في محو كارثة 1أكتوبر2008 ودعم وتيرة التعمير الآمن..... ص64

6-مخطط توجيهي موحد لبلديات وادي ميزاب..... ص66

6-1-مخطط شغل الأراضي: اعتماد73مخططا لتنظيم المجال بالتجمع الحضري لوادي ميزاب..... ص67

6-2- تباين في شغل المجال أهم سمات استخدامات الأرض..... ص70

6-3- تشبع المنطقة على أثر استنزاف العقار الحضري..... ص72

خلاصة الفصل ص74

الفصل الثالث: خصوصيات العمران الصحراوي

مـقدمة ص76

1-العمران الصحراوي المتجدر..... ص77

2-العمران الميزابي: أين تعد القصور أهم سمات هذا العمران..... ص78

2-1-مفهوم القصر..... ص79

2-2-مفهوم القصور الميزابية ص79

2-3-الخصائص العمرانية للقصور الميزابية..... ص80

3-خصوصية النسيج العمراني بمنطقة وادي ميزاب..... ص82

3-1-مفهوم التيبوموفولوجي..... ص82

3-2-النسيج العمراني "نموذج قصر غرداية "..... ص84

3-3- خصائص النسيج القديم..... ص84

3-3-1-العضوية..... ص85

3-3-2-الوظيفية..... ص85

3 -3-3-الانسجام..... ص85

3-3-4-المركزية..... ص85

3-3-5-الحرمة..... ص85

3-4-المسكن..... ص86

4-تجربة استحداث القصور بمنطقة وادي ميزاب..... ص91

4-1- القصور سمة العمران بالمنطقة..... ص92

4-1-1-مشروع القصر الجديد الحمريات "بلدية العطف"..... ص92

4-1-2-مشروع" أغرم أنو أعزام" بالنوميرات..... ص93

4 -1-3-مشروع"المجمع القصوري" بني يـــزقن..... ص95
4-1-3-1- قصر تينميـرين (ksar Tinemmirine)..... ص95
4-1-3-2-قصر تــونزا(I) "Tawenza"..... ص96
4-1-3-3- قصر تــونزا(**II- III) "Tawenza"**..... ص96
5-مساهمة الدولة في التنمية واستمرار القصور..... ص97
1- مشروع دلتا"DELTA"..... ص97
2-مشروع "طريق القصور..... ص97
خلاصة الفصل..... ص98

الفصل الرابع تحليل الأنماط الحضرية الجديدة بمنطقة وادي ميزاب

مقدمة..... ص100
1-تطور الملكية العقارية في الجزائر..... ص101
1-1المرحلة الأولى: الملكية العقارية خلال الفترة الاستعمارية..... ص101
1-2-المرحلة الثانية : الملكية العقارية بعد الاستقلال..... ص101
1-2-1-الملكية العقارية من الاستقلال إلى عقد الثمانينيات ص102
1-2-2-الملكية العقارية بعد عقد الثمانينيات ص102
2 –المتدخلين في تسيير العقار الحضري..... ص103
2-1-الدولة بمختلف مؤسساتها..... ... ص103
2-2- المتدخلون الخواص..... ص103
2-3- الملاك العقاريون..... ص104
3-الدراسة العمرانية للنماذج المدروسة..... ص104
3-1-التعريف بالتجمعات الجديدة نمطاً وشكلاً..... ص105

3-1-1-منطقة النوميرات:"Zone de la science"..... ص106
1-نشأة منطقة النوميرات..... ص106
2- الموقع..... ص106
3-الموضع..... ص106
3-1-2-منطقة بوهراوة"مجمعة ثانوية"..... ص109
1-نشأة منطقة بوهراوة..... ص109
2- الموقع..... ص109
3-الموضع..... ص109
3-1-3-منطقة واد نشو"مجمعة ثانوية"..... ص110
1-نشأة منطقة واد نشو..... ص110
2- الموقع..... ص110
3-الموضع..... ..... ص111
3-1-4-منطقة تافيلالت "قصر تاجديدت "..... ص112
1-نشأة قصر الجديد تافيلالت ص112
2- الموقع..... ص114
3-الموضع..... ص114
4-أشكال إنتاج المجال المبني للعينة المدروسة لوادي ميزاب..... ص117
4-1-السكن الفردي المبرمج..... ص117
4-1-1تجزئات البلدية..... ص117
4-1-2-تجزءات الوكالة العقارية ص118

4-1-3- السكن الفردي المنجز من طرف ديوان الترقية والتسيير العقاري..... ص119
4-1-4 السكن الفردي"تجزئات الخواص"..... ص121
4-2- السكن نصف جماعي المبرمج..... ص122
4-2-1 - السكن نصف جماعي المنجز من طرف ديوان الترقية والتسيير العقاري..... ص123
5-الأنماط و الأشكال الحضرية الجديدة..... ص125
1-الأنماط المعمارية..... ص125
1-2-النمط الحديث الموحد..... ص125
2-الأشكال الحضرية للتجمعات الجديدة..... ص125
2-1-مؤشرات تحديد الشكل الحضري..... ص126
2- 1-1-الاستمرارية أو اتصالية المباني..... ..... ص126
2-1-2-مؤشر الاستيلاء (CES)..... ص126
2-1-3-مؤشر شغل الأراضي(COS)..... ص126
3-استخدامات الأرض للنماذج الحضرية الجديدة..... ص127
3-1 منطقة النوميرات"تباين في شغل المجال"..... ص127
3-2-مجمعة بوهراوة"سيادة السكن الفردي"..... ص129
3-3- مجمعة واد نشـــو"تنوع الحظيرة السكنية"..... ص131
3-4- قصر تافيلالت. "تنظيم محكم في شغل المجال":..... ص133
6- منطقة النوميرات رهانات الاندماج .....حتمية أم خيار؟..... ص136
خلاصة الفصل..... ص138

الفصل الخامس السكن و التجهيزات بالتجمعات الجديدة

مقدمة..... ص140

1-السكن والسكان بالتجمعات الجديدة..... ص140

1 -1-أصل سكان التجمعات الجديدة وإقبالهم المتواضع عليها ص140

1-1-1-حسب مكان الازدياد..... ..... ص140

1-1-2-حسب مكان الإقامة السابقة..... ..... ص141

1-1-3- دوافع تغير الإقامة و إقبال على هذه الأوساط ص142

1-1-4-البنية المهنية الاجتماعية لأرباب الأسر:الشغل أهم السمة الغالبة على التجمعات ص144

2-الخصائص العمرانية للسكن التجمعات الجديدة..... ص146

2-1-سيادة السكن الفردي بالتجمعات الجديدة..... ص146

2-2- جل المساكن مكونة من الطابق ارضي..... ص147

2-3- وضعية المساكن ص148

2-4- حجم الأسر بالتجمعات الجديدة..... ص149

2-5- اعتماد المواطن على إمكانياته الخاصة في التمويل..... ص150

2-6- مصير المسكن السابق..... ص151

2- مختلف التجهيزات بالنماذج المدروسة..... ص152

2-1-منطقة النوميرات"هيمنة التجهيزات التعليمية"..... ص153

2-2-مجمعة بوهراوة:"تنوع في التجهيزات"..... ص154

2-3-مجمعة واد نشو:"غياب شبه كلي التجهيزات"..... ص157

2-4- توزيع التجهيزات بقصر تافيلالت..... ص158

3- رصــد لانطباعات السكان اتجاه التجمعات الجديدة..... ص161

3-1- الأماكن المفضلة لتردد السكان..... ص161

3-2- التصور الأمثل لتنظيم العمران بالمنطقة: "تراوح ما بين إنشاء قصور ومدن جديدة" ص162

3-3- معاني ومضامين الأشكال الحضرية الجديدة"تجمعات جديدة"لساكني المنطقة ص163

خلاصة الفصل..... ص165

الخلاصة العامة..... ص166

قائمة المراجع..... ص168

مـلاحق..... ص174

فهرس العام..... ص185

الملخص:

الأنماط الحضرية الجديدة لمدينة غرداية جاءت على إثر إنشاء أقطاب جديدة للنمو الحضري بغية تخفيف الضغط عن مدنها الخمسة القابعة بالوادي وحفاظا على ما تبقى من موروثها الحضري. حيث بادرت السلطات المحلية الغرداوية إلى إنشاء تجمعات حضرية جديدة كخطوة أولى سابقة من نوعها، أملاً في تخفيف الضغط السكاني و جذب الاستثمارات والزيادات السكانية لتعمير المنطقة التي كانت نتيجة طبيعية للزيادة المطردة للسكان. فاتجهت الأنظار نحو تعمير المناطق المنبسطة المتواجدة خارج نطاق الوادي، التي صحبتها مشاكل عديدة منها: مرفولوجية، تعميرية،هيكلية والسوسيو-اقتصادية، ومن النقائص التصميمية، الوظيفية، التسييرية، ومن تضييع للقيم الثقافية والهوية المحلية. وتعود المسؤولية في ذلك إلـــى:

1- الصيغة الإنتاجية للمجال المبنـي للمتعاملين العموميين والخـواص، مع تجاهل الخصوصيات المحلية لدى البعض.

2- الشكل المعماري والتعميري المنتج لبعض التجمعات التي لم تأخذ بعين الاعتبار خصائص الموقع، المحيط الطبيعي والعمراني، المعطيات الثقافية، ومقاييس التعبير الجمالي والرمزي للمنطقة.

على ضوء هذا، جاءت التجمعات الحضرية الجديدة المحاذية لوادي ميزاب كتوسع مستقبلي للمنطقة على المدى المتوسط والبعيد، كأهم تجربة محلية بالمنطقة مع إشراك مختلف الفاعلين في الميدان، من جمعيات محلية وخواص الذين أظهروا براعتهم في إنتاج المجال، وبالخصوص المشاريع المنجزة من قبل الممثلين الاجتماعيين والخواص في كل من التجمع القصوري جنوب بن يزقن و النوميرات.

إن الطبيعة الاجتماعية لسكان وادي مزاب وما يمتازون به من عادات وتقاليد، تعد الركيزة الأساسية لإنجاز أو اقتراح لأي مشروع سكني في هذه المنطقة، لذلك فإن المشاريع و البرامج المنجزة جنوب بن يزقن أخذت بعين الاعتبار هذه الخاصية التي يعود فيها الفضل إلى فتح مجال البناء أمام الخواص، وهذا ما لا نجده بالمشاريع التي تم إنجازها في كل من مجمعتي بوهراوة وواد نشو اللتان عرفتا إقبال محتشم لساكني المنطقة وذلك تحت تأثير عوامل وضغوط جانبية.

ان نمو و توسع هذه التجمعات الحضرية الجديدة من خلال البرامج السكنية و التجهيزات ستطرح كرهان مستقبلي لدى السلطات المحلية لحل مشاكل التعمير والاندماج في المحيط الحضري، والحد من تدهور النسيج القديم للمنطقة.

الكلمات المفتاحية: الأنماط الحضرية، واد ميزاب، الفاعلين،إنتاج المجال،الاندماج.

Résumé :

Les nouveaux modèles urbains de la ville de Ghardaïa sont arrivés à cause de la création de nouveaux pôles de croissance. Pour essayer de réduire les pressions de population sur l'ancienne ville du M'zab (pentapole) qui est situé au cœur de la vallée et pour préserver ce qui reste du patrimoine urbain. L'intervention de l'Etat par les autorités locales de Ghardaïa à créer de nouvelles agglomérations urbaines pour alléger la pression de la population, pour attirer l'investissement et pour maitriser la croissance démographique. L'espace urbain était le résultat naturel de l'augmentation constante de la population.et toute la vision était dirigée vers la reconstruction des zones plates en dehors de la portée de la vallée, qui souffrent des problèmes morphologiques, urbanistiques, structurels et socio-économiques, des défaillances perceptuelles, fonctionnelles et gestionnaires et des déperditions les valeurs culturelles et identitaires locales. La responsabilité incombe à la fois :

- Au mode de production de l'espace bâti, pour les opérateurs (public/privé) sans prise en compte des spécificités locales.
- A la forme architecturale et urbanistique produite pour les agglomérations sans respecter les caractères du site, l'environnement naturel et urbain, les données culturelles et les valeurs d'expression esthétique et symbolique de la composition urbaine du M'zab.

À la lumière de toutes ces données, l'Agglomérations de vallée du M'zab arrive comme une extension de la région à long et moyen terme. Cette expérience locale est la plus importante dans cette région avec la participation des différents acteurs, des associations locales et les propriétaires qui ont démontré une compétence dans la domaine de la production de l'espace, surtout les projets réalisés dans la zone de Noumérate et au sud de ben isguen par les promoteurs privés.

La nature sociale des habitants de la vallée du Mzab et l'avantage de ses coutumes et ses traditions sont une base essentielle dans la réalisation et la proposition d'un projet résidentiel. C'est pour cela, les projets et programmes réalisés au sud de Ben isguen ont pris en compte de cette propriété. Lorsque les crédits bancaires se sont ouverts aux propriétaires le champ de la construction c'est ouvert (Grace à cette propriété le champs de construction des entreprises privé a été ouvert).

La croissance et l'expansion de ces agglomérations urbaines à travers des nouveaux programmes résidentielles vont parier leur avenir avec les autorités locales pour résoudre les problèmes de la reconstruction et l'intégration dans le contexte urbain, et de limiter la dégradation de tissu ancien de la région.

Mots clés: modèles urbains, vallée du Mzab, les acteurs, production de l'espace, de fusion.